



# شعر الجهاد

في عصر الحروب الصليبية

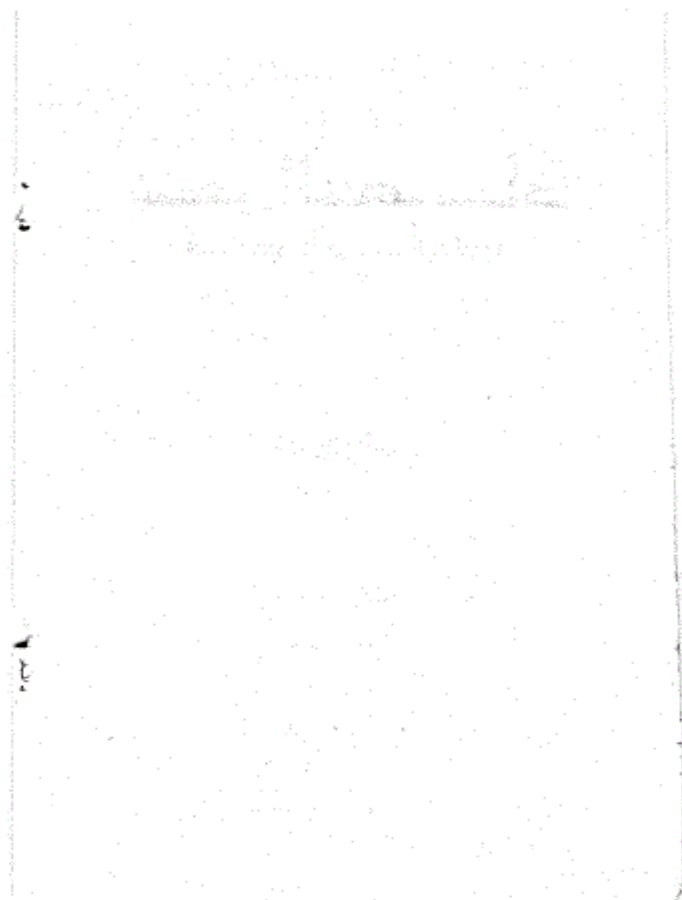
مكتبة  
طلعت صبح النور

الطبعة الأولى

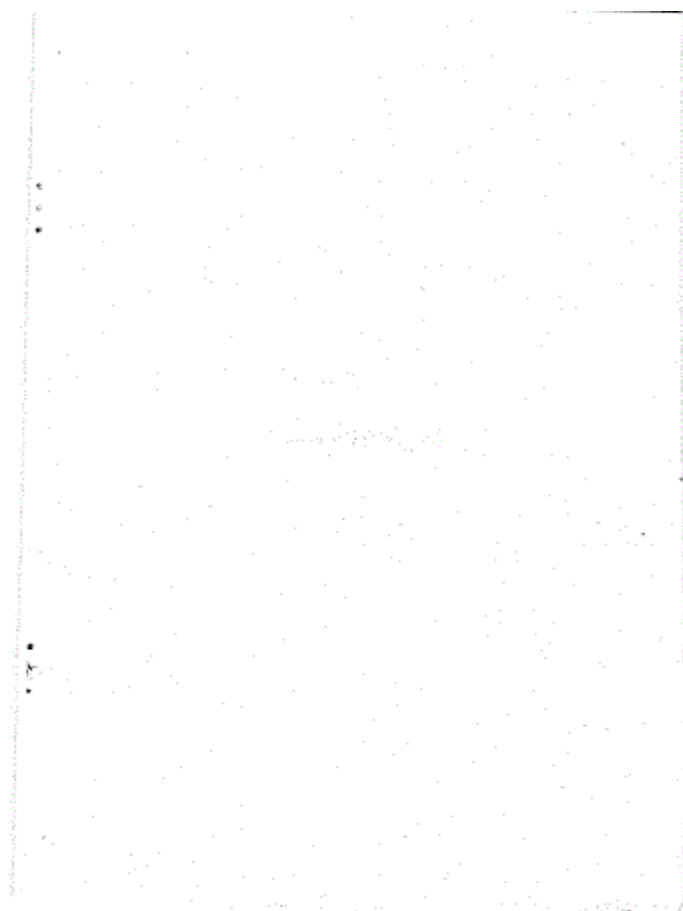
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة مكتبة صبح النور - الرياض ١٤١١ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



### إهداء

إلى القارئ العربي ، الذي أعتر بما بيني وبينه ، وإلى كل من  
تفضل بمد يد المساعدة في هذا العمل بشكل أو بآخر ، وإلى كل من  
أفصح لي مجال الدراسة والبحث .

إلى كل هؤلاء أهدى هذه الدراسة المتواضعة ، آملاً أن أكون  
قد قدمت للقارئ العربي الإسلامي بعض ما يستطيع أن يتذكر به  
ماضيه ، وأن تبقى آثار هذا الكفاح العربي المجيد تتردد في جنبات  
العالم الإسلامي ، وتتناقل الأجيال أنباءه في اعتزاز ، وأن نقف دوماً  
على تراثنا العريق في طريقنا إلى بناء مستقبل أمتنا الإسلامية .

واقع الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل ٢

المؤلف

Handwritten text, likely a letter or document, written in cursive script. The text is dense and fills most of the page. The handwriting is somewhat faded and difficult to read, but appears to be a formal or semi-formal communication. The text is written on a piece of paper that is slightly aged and has some minor stains.

\*\*\*\*\*  
القدمة  
\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*





## المقدمة ،

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فهذا مؤلف بعنوان "شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية" وهو  
موضوع يتناول شعر الجهاد ، ذلك الشعر الذي يصف أجياد المسلمين وبأس  
أبطالهم في حرمات الوغى وزخامات الزال ، ويلاءم في حروبهم مع الصليبيين  
وتحملهم لما لا يطاق من الشدائد والشقات .

وليس ينكر أحد أن شعر الجهاد يعد على رأس الموضوعات الشعرية التي  
تتصل بعصر الحروب الصليبية اتصالا مباشرا ، فهو نتاج طبيعي للعصر  
وعصراجه ، وقد عني بتسجيل العراجات والمعارك الكبرى ، ونقل لنا صورة  
لما كان في العصر من جهاد وبطولات قد لا نجد لها أنثرا في مكتب التاريخ  
والسير .

ومن معالم هذا الشعر أنه لم يقف عند حد تسجيل الممارك الكبرى ، بل  
وأبناء يرصد أحداثها ويتحدث عن تاريخها ، إلى درجة جعلنا نقول إنه أصبح  
مجالا يرصد خطوات هذا الحروب ويصور العراعات بين الإسلام والصليبية ،  
وصار من المستطاع اتخاذ هذا الشعر مفسرا لأحداث التاريخ فقد أخذ حقائقه  
ميدانا جال فيه فسجلها وحمل شعور الناس بها .

وقد بدأت الحروب الصليبية عام ثمان وثمانين وأربع مائة للهجرة يوم أن  
وضع الصليبيون أرجلهم بأرض الشام يريدون الاستيلاء عليه ، ويتطلعون إلى  
فتح المقدس واستمرت تلك الحروب لمدة قرنين من الزمان ١٠٩٠ - ١٢٩٠ هـ .

على حد قول أكثر المؤرخين ، والواقع أن هذه الحروب قد تركت آثاراً هامة على حياة المسلمين بصفة عامة وعلى الأدب العربي بصفة خاصة .

ومهمة حقيقة هامة لا سيّما إلى إنكارها عند دراسة شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية ، تلك أن العرب قد عرفوا الحروب في الجاهلية والإسلام وقد عرفوا الكفاح والنضال حين هاجم الروم بلاد المسلمين في صدر الإسلام بل إن غزو المسلمين لبلاد الروم ، أو غزو الروم المسلمين لم ينقطع في عصر من العصور منذ أن تاخت بلاد الإسلام بلاد الروم .

ومهمة حقيقة أخرى لا بد من الإشارة إليها وهي أن الآثار التي تركتها الحروب الصليبية في الأدب العربي قد قامت على أساس من الأدب العسري للروث ، بمعنى أننا نجد لمظاهرها مشابها في الأدب العربي الذي كان قبل عصر الحروب الصليبية ، وأن أسس هذه المظاهر متاملة في الأدب العربي .

ومع ذلك فيمكننا أن نقول إن الحروب الصليبية تمتاز بأنها ذات مظهر ديني طبعها بطابع خاص ، وجعل المراع فيها لاصراها بين فريقين ولكن بين عقيدتين ، وهذا بالإضافة إلى أن الإسلام كان قويا في عصوره الأولى ، فكان يصمد ويدفع العدوان ، بل ويتوغل في أرض المعتدين وذلك كما حدث في عهد الدولة العباسية ، أما في عهد الحروب الصليبية فقد حطمت الفزاة قوى المسلمين واحدة تلو واحدة ، وطعموا في أن يستولوا على كل بقاع الإسلام وذلك إلى جانب ضخامة الجيوش التي استخدمت في هذه الحروب ، وما صحبها من جانب الفرنج من قسوة وتدمير لبلاد المسلمين .

والحق إنه كان لشعر الجهاد دور قيادي في التصدي لموجات الزحف

العالمي كما كان له دور قيادي كذلك في الحفاظ على تراث العرب والمسلمين . وسأحاول في هذه الدراسة أن أبرز هذا الدور ، وأن ألقب القارىء على تراث أمنا وصورة من صور كفاحتنا حتى يمكن أن نصل حاضرنا بماضينا ومستقبلنا من جهة ، وحتى نستطيع أن نرسم أمام أبنائنا الطريق من جهة أخرى ، فيستخزون من هذا الدور نبراسا يكشف لهم عن ماضيها ، ويساعدهم على توجيه خطواتهم في المستقبل ، وحتى يمكن أن نتلمس من كل تلك المقومات ما يخص أبنائنا حتى نلجس تلك السيول الجارية من الأفكار التربوية التي هي قبلة بأن تنصف بكل من لا يثبت أقدامه على قواعد متينة من الإيمان بماضيها وما لنا فيه من أجداد وحضارات .

وإذا كان عصر الحروب الصليبية يمتاز بأنه عصر صورة من القهر والضعف الذي فرضته ظروف التخلف السياسي والاجتماعي ؛ وكان عصر تصميم على دور الخطر ، وقد استلح أجدادنا أن يلقوا في وجه موجات التغلغل الصليبي وأن يحطروا جهدهم على مشهور صفتهم الموحدة ونضالهم المستميت ، فما أجددنا اليوم بأن نربط بين ماضيها وحاضرنا ، ونقف وقفا الأباء والأجداد ، فنكون أشد إحساسا بالقوى الأجنبية التي تترصدنا ، والتي تتعامل لإزالة الكيان العربي الإسلامي وإذائته في موجات من التغريب ، وأن نتمسك بأصول تراثنا ومقرماته الروحية والفكرية حتى لا يضيع كياننا في زحمة التيارات الغربية كاضاع كيان كثير من الأمم .

والواقع أن عصر الحروب الصليبية يمثل إحياء لتراث العربي الإسلامي وعرضا على اللود عنها عند التيارات الفكرية الأجنبية ، كما يمثل استنهاض في

الدفاع عن دياره ضد عوامل الضياع والفتور والضعف . وقد أدت أحداث هذا العصر - وعلى وجه الخصوص أحداث الحروب - إلى بروز شعر الجهاد كمامل أسامي وقوى أدى إلى تغيير مجريات أحداث تلك الحروب وأثر على حياة المسلمين وواقعهم . وجدوا بأنهم عرف أن هذا الشعر قد واكب أحداث الحروب الصليبية ، وعاش أكثر مراحلها ، وقد حل شعراء الجهاد على عواتقهم عبء الدعوة إلى الجهاد ، ومقاومة المحتلين ، وتوحيد القوى الإسلامية لمقاومة الغزاة المحتلين ، وظل شعر هؤلاء الشعراء قويا مؤثرا حتى خرج الصليبيون نهائيا من بلاد المسلمين في المشرق .

وبما أن هذا الكتاب أن يبرز هذا الدور الذي كان لشعر الجهاد لى كيف كان شعراء الجهاد يبذلون الجهد ، ويعرضون المسلمين على الجهاد وقتل الصليبيين كلما رأوا انصرافهم عن الحق ، أو تفرقهم فيها بينهم ، ومدى ما كان لقصائد هؤلاء الشعراء من أثر بارز في ذلكاء الجبهة في نفوس المسلمين حتى استطاعوا فيما بعد تطهير بلادهم نهائيا من الصليبيين .

كما أن هذا الكتاب يمثل محاولة الربط بين شعراء العالم العربي الإسلامي في هذا العصر بصفة عامة ، وبين شعراء الشام ومصر بصفة خاصة . وتبرز هذه المحاولة كيف أن تيار الثقافة الإسلامية أخذ في التحول إلى عصر النهضة وكيف أخذ هذا التيار يزداد تحت منطف الصليبيين حتى صارت العاصمتان القاهرة ودمشق تنفردان بالزعامة الأدبية في عصر الحروب الصليبية .

بقى أن أشير إلى أن هذا الموضوع الذى قصدنا لدراسته في هذا الكتاب موضوع يجد الباحث فيه مقالة غير يسيرة ، لأن شعر هذا العصر لم تتوفر عليه

جهود الباحثين كشأن غيره من الموضوعات الأدبية ، إذ المعروف أنه ليس لكثير من الشعراء الموجودين في هذا العصر دواوين شعرية ، الأمر الذي فرض على أن أجوب المراجع القديمة ، وأن أحترق في أسفار اللغة والأدب كي أقدم للقارئ خلاصة لدراسة شعر الجهاد في عصر من عصور الإفاقة العربية الإسلامية ، عصر بهل الأدب فيه أسماء أولئك الأبطال الذين عاشوا غمار الحروب الصليبية ، وأبلا فيها بلا حسنا ، ووضعا أساس النضال العربي المجيد ضد الصليبيين ، وخطبوا في التاريخ أجيادا بطولية في الكفاح ضد الناصبين ، كما حياهم التاريخ والأدب ، وبقيت آثاره تتردد في جنبات الشرق العربي ، وتتأقل الأجيال أنباه في غر واعتزاز .

والحق أنني نظرت في موضوع هذه الدراسة فوجدت أن نشأة شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعصر ، وبالمبدعين الذين أبدعوه ، وبما أحاط بهم من ظروف وملابسات ، فإن كل إنتاج أدبي يعطى بالآثار التي تليها له البيئة ، وإن كل أديب يتأثر في إبداعه الفني أشد التأثر بالظروف والملابسات المحيطة ، والآراء والذعرات التي وجدت وجتدت ويومر بالتالي تمييزا صادقا عن الواقع الذي يعيشه ، والأحداث التي توافدت على مجتمعه ، ويحاول إظهار شخصية هذه الفترة من الحقبة الزمنية في أدبه .

لذا فإن تقسيم الموضوع ارتبط هو الآخر بظروف العصر الصليبي ومؤثراته العامة ، ملتزما في ذلك المنهج التاريخي والفني في آن واحد . فن خلال هذه الفترة الزمنية تميزت الخصائص الفنية لشعر الجهاد بقصد فهمه ، وإدراك الآثار التي خلفها لنا شعراء العصر الصليبي ، ورد هذه الآثار إلى

وحدات مشتركة الطوايف متلاقية للميزات .

وجاء تقسيم هذه الدراسة عبارة عن أربعة فصول مسبقة بمدخل تمهيدى وقد جعلت لكل فصل من الفصول موضوعا وعنوانا ، تندرج تحته وتلتف حوله أفكار وموضوعات جزئية تبلور في مجموعها التنظير العام للفصل : وفي المدخل التمهيدي درست أسباب الحروب الصليبية ، وذكرت فكرة موجزة عن أحوال الشرق الإسلامى عند بداية الحروب الصليبية ، وذلك لتكشف النقاب عن الملاميات والظروف التى سهلت للصليبيين القيام بعملاتهم وتحقيق أغراضهم . ثم ذكرت أهم أحداث الحروب الصليبية في كل من الشام ومصر .

وفي قسم آخر من هذا المدخل التمهيدي وقفت عند الحديث عن أثر الغزو الصليبي في نفوس العرب والمسلمين . إذ الواقع أن الغزو الصليبي قد أثر تأثيراً فعالاً في جميع مناح الحياة تأثيراً انعكس بدوره على الحياة الفكرية والثقافية وصفة عامة وعلى الأدب بصفة خاصة ، وقد انضمت هذه الملامح شيئاً فشيئاً في محاولات الأدباء ، كتاباً كانوا أم شعراء .

أما الفصل الأول فكان جديراً بأن يدرس بين دفتيه نهضة الشعر في عصر الحروب الصليبية ، وذكرنا الأسباب والروافد التى جعلت الشعر ينهض في ذلك العصر نهضة تدابير نهضة العلم ، واتى أوجعناها إلى ما يأتى :

١ - الأحداث السياسية .

٢ - تفجيع الأحكام للشعر والشعراء .

٣ - العناية بجمع الشعر ودراسه .

٤ - كثرة عدد الشعراء .

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن الأغراض والفنون الشعرية التي لها علاقة بالجهاد في عصر الحروب الصليبية ، وذكرت أن هذه الأغراض قد واكبت أحداث الحروب ، وعاشت أكثر مراحلها ، واستمرت مع كثرتها وتعددتها قوية مؤثرة حتى خرج الصليبيون نهالاً من بلاد المسلمين . وهذه هي أهم موضوعات شعر الجهاد التي ذكرناها :

١ - شعر الدعوة إلى الجهاد .

٢ - تصوير المارك الخريبة .

٣ - مدح أبطال الحروب الصليبية .

٤ - التأسف والتحسر على ما أصاب المسلمين .

٥ - الفخر والحاسة .

٦ - الزناد .

٧ - الهجاء .

وقد حاولت أن ألتزم أثناء تحليلي للنصوص الشعرية بوجهة النظر الواقعية وحاولت أيضاً أن أفسر النص الشعري على ضوء الظروف والملايسات التاريخية وفي الوقت نفسه سميت جهدي لأن ألقب أمام عتبات النقد الأدبي لاحتواؤه على عالم كل شاعر في محاولة لتحليل قيمه وخصائصه الفنية .

ودرسه في الفصل الثالث الخصائص والسمات العامة التي يتسم بها شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية ، ولقد انتظرت إلى أن شعر الجهاد يتسم بطابع خاص يميزه عن غيره من الشعر لأن الشعراء شعروا خاصاً تجاه ظروف



العصر وأحداثه ، ثم ذكرت تلك الخصائص التي تميز شعر هؤلاء الشعراء عن شعر من عدام عن سبقه أو عاصروهم ، وهي :

- ١ - الخاسة للتدفقة وحرارة العاطفة .
- ٢ - بروز روح الجهاد والقوة والممانى الإسلامية .
- ٣ - تسهيل الأحداث الكبرى .
- ٤ - الصق الفن في نقل التجربة .
- ٥ - خصائص عامة .

أما الفصل الرابع والأخير من الكتاب فقد خصصته للحديث عن الآثار البارزة التي تركتها الحروب الصليبية على الشعر ، واستعرضت في هذا الفصل أثر هذه الحروب على الموضوعات الشعرية من ناحية وعلى أساليب الشعر من ناحية أخرى .

و. آيت أن من الآثار التي أحدثتها الحروب الصليبية على موضوعات الشعر :

- ١ - تشابه الشعر في أرجاء العالم الإسلامي .
- ٢ - ظهور شعر الحث والتحريض .
- ٣ - ظهور الطابع الإسلامي في الشعر .
- ٤ - ظهور فن « رثاء المدن » و « هجاء المتخاذلين » .

وذكرت كذلك أن الحروب الصليبية كما تسببت في انجاء الشعراء إلى موضوعات لها علاقة بوجسود الصليبيين ، تسببت أيضاً في إدخال بعض الألفاظ على لغة الشعر ، ودرست كذلك في قسم آخر من هذا الفصل مذاهب شعراء العصر واتجاهاتهم الفنية وبيئت أن أهم هذه الاتجاهات هي :

١ - اتجاه العنمة والبديع .

٢ - الاتجاه التقليدي .

هذه هي دراستنا في خطوطها العامة ، وقد أفدت فيها من كل ما كتب حول هذا الموضوع من قريب أو من بعيد ، سواء كان ذلك في كتاب أو مجلة أو في صحيفة ، وكانت مصادرى الأولى التي اعتمدت عليها هي الكتب التي أرخت أيضا لعصر الحروب الصليبية ، وكذلك الكتب التي تعرضت لشعر الحرب بعمامة ، وشعر الجهاد بصفة خاصة ، كما أفدت من الدراسات النقدية التي تناولت أدبنا القديم أو الحديث بالتحليل والتفسير .

وبعد فمزمع محاولة أرجسـو أن أقدمها بمحاولات ، وأمل أن تفتح أبوابا أخرى جديدة ، وأن يتطلع بها طلاب العلم والمعرفة ، وأمل أن أكون قد وقفت في بعض ما إليه قصدت ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل ؟

الدكتور

طلعت صبح السعيد

المنصورة في ربيع أول ١٤١١ هـ  
أكتوبر ١٩٩٠ م

مدخل تهیه لی

\*\*\*\*\*  
\* ١ - أسباب الحروب الصليبية . \*  
\* ٢ - حالة الشرق الإسلامي عند بداية الحروب الصليبية . \*  
\* ٣ - أثر الغزو الصليبي في نفوس العرب والمسلمين . \*  
\*\*\*\*\*

## ١ - أسباب الحروب الصليبية

المراد بالحروب الصليبية هي تلك الحروب التي قامت بين المسلمين في المشرق الإسلامي وبين الصليبيين القادمين من أوروبا بقصد احتلال بيت المقدس وبلاد الشام ومصر، والقضاء على الدولة الإسلامية من جهة، ووقف الزحف والانتشار الإسلامي في أوروبا من جهة أخرى... وهي حروب جمعت تحت راية الصليب جحافل جرارة.

والحروب الصليبية على حد قول أكثر الباحثين: «حركة كبرى نبعت من الغرب الأوروبي للمسيحي في العصور الوسطى، وانتقلت شكل مجسم وم حربي استعماري على بلاد المسلمين وبخاصة في المشرق الأدنى بقصد امتلاكها. وقد انبثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت قرب أوروبا في القرن الحادي عشر واتخذت من استغاثة المسيحيين في المشرق ضد المسلمين شعاراً دينياً للتعبير عن نفسها تعبيراً عملياً واسع النطاق» (١).

وقد اتفق معظم الباحثين والمؤرخين على أن الهدف من الفروقات الصليبية على بلاد المسلمين في المشرق إنما هو الاستيلاء على بيت المقدس، والوقوف في وجه الزحف الإسلامي الذي كان يفترو العالم. ولعل هذا هو السبب الذي جعل

(١) الحركة الصليبية، الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: ١/ ٢٦ المجلد المهرية، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ م

هذه الغزوات تصطبغ بصيغة دينية وتكون حروبا دينية في مطلقاتها (١)  
وفي رأي أن للحروب الصليبية أسبابا كثيرة . . على أن من أهم الأسباب  
التي حلت الصليبيين على غزو البلاد الإسلامية في المشرق ما يلي :

أولا : الأسباب الدينية :

إن الأسباب الدينية هي الأسباب الأولى والأخيرة لذلك الحقد الصليبي  
وأن ماعدا هذه من أسباب أخرى مع صحتها إنما تنفرع وتتغيب عن الأسباب  
الدينية ، فالهدف الأساسي للصليبيين إنما هو القضاء للإسلام ومحاولة القضاء  
على المسلمين .

وبعدتنا لتاريخ أن الحجاج الذين كانوا يذهبون إلى بيت المقدس لزيارة قبر  
المسيح والأماكن المقدسة كانوا يعاملون معاملة طيبة من الحكام المسلمين  
وحيث حكم الفرنج بيت المقدس أخذوا يعاملون هؤلاء الزوار معاملة قاسية ،  
الامر الذي انعكس عليهم بالآثر السيئ ، وتأثر أيضا البابا ، لإدراكه للناس  
حين أبلغ هذه المعاملة السيئة ، لاسيما وأن من قاموا بتوصيل ذلك إليه قد  
صوروا له الأمر أكثر من حقيقته ، ولهذا أخذ يدعو إلى غزو بلاد المسلمين  
وضرورة احتلال بيت المقدس .

وحيث تم اجتماع المجمع الديني الكبير في مؤتمر كليرمونت ، خطب البابا  
خطبة مشهورة زعم فيها أن المسلمين في بيت المقدس قد أهانوا قبر المسيح ،  
واستغل البابا هذه الفرصة ، وكأنه يريد أن يفتح ضعف المسلمين آنذاك فأخذ

( ١ ) انظر الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، محمد المروسي المطبوع ص ١٠  
نشر دار الكتب الشرقية بتونس ، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ

يحاول إيقاف الشعور العدائي عند التصاري تجاه المسلمين ، كما يتخذ من الأماكن المقدسة هدفا لدعوته (١) وقد حرض ألوف الفرسان من التصاري على حمل الصليب ، واستعادة مقدسات المسيحيين في القدس ونهر يرها من المسلمين . وقد غالى البابا في هجومه على المسلمين ، وفي إثارة الأحقاد في نفوس الأوروبيين ودعوتهم إلى غزو أراضي المسلمين ، ومن ثم وعده جمهور كبير من جميع الطبقات أن يرحلوا إلى فلسطين (٢) ويتحقق من ثم رغبة البيزنطيين في كسر شوكة المسلمين واسترداد مصر والشام ، والواقع أن البابوات والرهبان قد وكروا في دعايتهم للحروب الصليبية على الجانب الدين ، وكان لهم دور بارز في إلهاب حماس السنج في أوروبا ، واستنهاضهم لتحرير المقدسات من المسلمين هذا على الرغم من أن المسلمين لم ينفقوا عقبة في وجهه المسيحيين ولكنهم قد أناحوا لهم حرية العبادة والزيارة .

ثانياً : الأسباب السياسية :

لم يكن الحافز الديني هو الدافع الأول والأخير وراء الغزو الصليبي ، بل كانت هناك أسباب أخرى سياسية ، إذ كان السلاجقة الأتراك يسيطرون سلطتهم على بلاد الشام ، وقد اضطر الإمبراطور الروم . الكيسوس ، إلى دفع جزية للمسلمين ، الأمر الذي جعل الإمبراطور ياجاً إلى البابا لإدانة الثاني .

( ١ ) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة أحمد شلبي ٥ / ١٠٧ .  
 النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٧

( ٢ ) انظر تاريخ العرب ، مطول ، تأليف فيليب حتى وآخرين ٢ / ٧٥٢ ، ٧٥٣ .  
 مطابع القندور - بيروت الطبعة الرابعة ١٩٦٥

يطلب منه المساعدة ، ويعطيه مجاورة الأتراك (١) .

ورغبة من البابا في توحيد الكنيستين الغربية والشرقية ، تحت سيطرته  
لجده يستجيب لهذا الطلب ، وأخذ من ثم يدعو إلى الحروب الصليبية ضد  
المسلمين (٢) .

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن الأوجاع الداخلية في أوروبا كانت غاية في  
الاضطراب ، وكرر فعل لذلك كله حاول الأوروبيون أن يتجمعوا تحت ظلال  
هدف واحد مشترك وهو مجاورة المسلمين واحتلال بلادهم .

ثالثاً : الأسباب التجارية :

ولم تكن الأسباب التي مرت هي فقط الأسباب التي كانت من وراء هذا  
الغزو ، إذ الحقيقة أن ملوك أوروبا كانوا يطعمون في حضارة الإسلام وكنوز  
الأمة العربية ، فقد كانت أمة متقدمة غنية ، فأנסوا منها ضعفاً وسألوا أن  
يرتوا تلك الحضارة الزاهرة وذلك الفنى العريض .

وهناك أهداف وأطماع اقتصادية وتجارية تتصل بحب السيطرة والعلم في  
التوسع ، وهي حرص تجار الغرب على إخماد موانئ تجارية لهم في بلاد  
الشرق على الساحل الشرقى والجنوبى للبحر الأبيض المتوسط كي يتم وصل  
أوروبا عن طريق هذه الموانئ ببلاد المسلمين في المشرق ، ولا يخفى أن المسلم

(١) انظر قصة الحضارة ، تأليف ول ديواننت ، وترجمة محمد بدوان ، ١١ / ٤

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، نشر جامعة الدول العربية ١٩٥٧

(٢) انظر أثر المدينة الإسلامية في الحضارة الغربية ، الدكتور / مختار القحطاني

ص ١٧١ ، طبعة الأهرام ونشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٢



الإسلامي آنذاك كان يتهم بالرجاء والتقدم والعلم ، وكانت أوروبا تعيش في فقر وجبل ومرض وغير ذلك . ومن ثم أخذ التجار بدورهم يبتلون أموالا طائلة لتشجيع الدعوة لتلك الحروب والتجهيل بقيادها .

يؤكد ذلك أن الحاربين الصليبيين حينما احتلوا مدينة دمياط في الحملة الصليبية الخامسة عرض عليهم الملك الكامل أن يعطيهم بيت المقدس ومعظم مدن فلسطين على أن يدخلوا عن دمياط وسائر المدن الساحلية في مصر لسكرهم ورفضوا هذا العرض الأمر الذي يؤكد وجود المنصر التجاري عند (الحاربين) (١)

رابعاً : أسباب أخرى :

ولعل الناظر المدقق في الدوافع التي كانت من وراء قيام الغزو الصليبي وبده الحروب الصليبية يدرك أن هناك أسباباً أخرى غير تلك التي ذاعت وانتشرت ومن أهم هذه الأسباب أن كثيراً من هذه الجاهات التي تدفقت إلى الشرق الإسلامي إنما تدفقت إليه بقصد الحروب بما أصاب أوروبا من قحط وجوع ، هذا فضلاً عن القوضى التي سادت بسبب هذا القحط ، وهذا يعني أن الحروب الصليبية إنما كانت بدلا من حروب أهلية يتقاتل فيها الأوروبيون مع بعضهم البعض (٢) .

(١) انظر الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، تأليف السيد الرياض العربي لجنة التأليف والترجمة والنشر ، نشر النهضة المصرية ١٩٦٣ .

(٢) انظر الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ص ١٠ دار نهضة مصر للطبع والنشر الطبعة الثانية ١٩٧٩

## ٢ - حالة الشرق الإسلامي عند بداية الحروب الصليبية

لا بد من ذكر فكرة موجزة عن أحوال الشرق الإسلامي عند بداية الحروب الصليبية وذلك لتبين الظروف والأسباب التي سهلت للصليبيين القيام بأغراضهم وتحقيقها دون أية مقاومة تذكر من المسلمين .  
وغنى عن القول أن ذكر أن الأمة العربية الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري قد مرت بسلسلة من عهود الضعف والتفكك لانقسام الدولة إلى عدد من الدولات في أنحاء البلاد العربية الإسلامية مرقا وغربا ، الأمر الذي أثر في حركتها الحضارية وجعلها تبطل في تطورها .

والحقيقة أن عصر الحروب الصليبية هو عصر الجزر الإسلامي العربي ولما ولد الصليبي في منطقة الشرق الأوسط في مصر والشام والعراق ، ويرجع هذا الجزر إلى عسكرة هراقل كلبا تمثل الضعف والتفكك والخلاف في الهدف الإسلامي ، خلافا سياسيا واجتماعيا وفكريا ومذهبيا ، فضلا عن الانقسام و كثرة الدولات ، فقد كانت تسيطر على العالم الإسلامي والعربي عدة قوى :  
الدولة العباسية في مايتها وضمها ، إذ كان خلفاؤها لا يسكنون سلطانا فعلياً وإنما كانوا رمزا للسلطة الدينية ، وكان هذا الساطن لا يندى بقداد والإلاد القريبة من الشام والدولة الفاطمية في مصر .

وفي مصر كان مركز الخلافة الفاطمية الشيعية ، وكانت هذه الخلافة ضعيفة ، وكان الحكام لا يسمون إلا في مصالحهم الخاصة ، وكانت الأحوال الاقتصادية والعيشية مضطربة نتيجة للإسراف البالغ والبذخ الذي كان فيه

الخلفاء ورجال الدولة ، فأنز هذا في قوة مصر وجيشها ، ولم تتمكن بطبيعة الحال من الصمود أمام المحميات الصليبية .

وفي بغداد كان مركز الخلافة العباسية ، وقد سيطر الأتراك السلاجقة على الخليفة ، وأصبح كل الأمور بأيديهم ، ولم يكن للخليفة سوى السلطة الاسمية فقط .

وجدير بالذكر أن تقول إن الخلاف بين هاتين الخليفتين كان على أشده وكان هناك صراع مستمر بين الخلفاء ، وكان كل خليفة حريصا على استنفاد كل مالمدى الآخر ، ويمكن أن تقول إن الصراع قد وصل إلى درجة قصوى داخل الخلافة نفسها ، والذي يدل على ضعف المسلمين وتفككهم وبمقدم من منافع عقيدتهم ما ذكر من أن المسلمين الواقفين تحت حكم الصليبيين كانوا يعاملون معاملة أفضل من معاملة المسلمين الواقفين تحت حكم إخوانهم المسلمين (١) . وفي الشام بعدها متشعبة إلى ولايات صغيرة ، ولم يكن لآى حاكم علاقة بالحاكم الآخر المهم إلا إذا كانت هذه العلاقة علاقة عداء وكرهية وأطماع . ولعل هذا هو السبب الأول الذى جعل مدن ساحل الشام تسقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي الصليبيين الغزاة ، على الرغم مما أبدته هذه المدن من بسالة في الدفاع وصلابة في الجهاد .

وهذه هي أم أحداث الجروب الصليبية في كل من الشام ومصر (٢) :

- (١) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٧٥ دار صادر بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م
- (٢) قدمت الحملة الأولى عام ٤٩٠ هـ ، وكانت الثانية عام ٥٤٢ هـ ، وكانت الثالثة عام ٥٨٥ هـ ، والرابعة عام ٥٩٧ هـ ، والخامسة عام ٦١٤ هـ ، والسادسة عام ٦٢٦ هـ ، والسابعة عام ٦٤٨ هـ .

#### أولا : في الشام :

كما هو معروف أن الصليبيين الغزاة قد دخلوا بيت المقدس لسبع بقين من شعبان عام ٤٩٢ هـ بعد حصار له دام وقتا طويلا ، وقد استطاعوا أن يكتسروا إمارات صليبية في بلاد الشام مثل إمارة الرها ، وإمارة أنطاكية ، وإمارة بيت المقدس ، دون أن يستطيع الشام أن ينهض بسبب الدفاع من أرحه . وقد فعل هؤلاء الغزاة أعمالا شنيعة بالمسلمين ، ومضوا يتنصرون البلاد ويبتزون الرعب في النفوس ، كما ينشرون الذعر في القرى والمدن ، حتى لاقت المدن المفتوحة على أيديهم لهول ما عرف من ألوان التخريب والتدمير ، ونال سكانها أقصى ما ينال من القتل والتعذيب ، وكان الصليبيين يريدون بمها قتلوا أن يبتزوا الرعب في أقدسة المسلمين ، وينشروا الفرع في صفة وقهم ، ولم يأنهم عن أعمال التدمير والتخريب في المدن أنها كانت قد وصلت في ذلك العهد إلى أوج بعدها . وليس على مقدار حق الصليبيين على المسلمين ما ذكره ابن الأثير يصف فيه المذبحة في أوقتها الصليبيون بالمسلمين ، والتي راح ضحيتها عدد كبير من أئمة المسلمين وعليهم وعبادهم وزهادهم (١) .

والواقع أن المسلمين قد استمروا في غفلتهم وعلى ضعفهم وتنافرهم وتشتتهم ، حتى ظهر عماد الدين زنكي ، وكان من أحسن الملوك سيرة ، ومن أرفقهم بالامة . وكان فضلا عن ذلك كله مجاهدا مقداما لدرجة جعلته يدرك أهمية اتحاد المسلمين . وقد بذل الشيء الكثير في سبيل ذلك واستطاع أن يجمع

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢٨٢/١ بيروت ١٩٩٦ وانظر أيضا قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ٤/٢٥ .

المسلمين حوله ، وأن يستميتهم ويستثير حميتهم ، وأن يزيد من حماسهم للجهاد في سبيل الله .

ولم يقف عماد الدين عند حد مقاومة الصليبيين ولكنه أخذ يستدعي ما ملكه شهرا شيرا ، وتمسك بفضل ذلك من الانتصار على الصليبيين . ففي سنة ٥٣٤ هـ استطاع أن يستولى على حصن بارين ، وعلى للمرة ، و . كفر طاب ، وفي سنة ٥٣٩ هـ استولى كذلك على مدينة الرها (١) . وليس يخفى ما لهذه المواقف من أهمية وخطورة ، الأمر الذي جعله يمدد للصليبيين الثقة في أنفسهم من جهة ويكسر شوكة الصليبيين الغزاة من جهة أخرى ، ومع ذلك فلم يمهله القدر فقد استشهد في الليلة الخامسة من شهر ربيع الأول عام ٥٤١ هـ وبعد وفاة عماد الدين حيا الله سبحانه وتعالى رجالا مؤمنا غليظين ، فقد آل القسم الشرق من دولة عماد الدين إلى ولده سيف الدين ، وآل القسم الغرب منها إلى ولده نور الدين محمود ، فاتفق أثر والده ، وكان نور الدين يتوقد حماسة وشجاعة ، وكان كل هممه إخراج الصليبيين من بلاد المسلمين ، وأن يوحّد المسلمين ضد الصليبيين ، فحاصر دمشق مرّتين : للمرة الأولى في عام ٥٤٦ هـ وللمرة الثانية في عام ٥٤٩ هـ واستطاع في هذه المرة أن يحقق طموحه وأثر يستولى على دمشق (٢) فاستولى من ثم على حصن سارم عام ٥٥١ هـ

(١) الروضتين للمقدسي ١ / ٣٤ - ٣٦ دار الجليل بيروت بدون تاريخ . وانظر عن شجاعة عماد الدين : البداية والنهاية لابن كثير : ٢٢١ / ١٢ ، مكية النصر بالرياض ومكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦ م .

(٢) انظر ذيل تاريخ دمشق لابن يعلى القلاسي ص ٣١٥ مطبعة الآباء =

وعلى بانياس في السنة التي تليها (١) .

وقد حمل نور الدين بعد ذلك على طم مصر إلى دولته ، وجرت محاولته الأولى في ذلك عام ٥٥٩ هـ كي تتحقق الوحدة الكبرى بين بلاد المسلمين ، ومع عدم تمكنه من تحقيق هذا الحلم أثناء ذلك إلا أنه قد استطاع تحقيقه عام ٥٦٦ هـ وذلك في محاولته الثالثة . ومن ثم نجده يحاول بالاتفاق مع صلاح الدين الأيوبي الهجوم على بيت المقدس إلا أن هناك ظروفًا حالت دون تنفيذ ذلك ثم توفي نور الدين يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة ٥٦٩ هـ (٢)

في هذه الآونة كان على صلاح الدين أن يعدّ العدة ويخرج للاقاة الصليبيين من جهة وأن يقوى صفوى المسلمين ويبعد إليهم التجمع من جهة أخرى فخرج من مصر عام ٥٧٠ هـ قادداً دمشق ثم استولى على حصن وحماه وتمكن كذلك من الاستيلاء على مدينة حلب ، فوجد بذلك بين القاهرة ودمشق وحلب وتم له مراده من تحقيق الوحدة الإسلامية بين مصر والشام (٣)

وبعد أن فرغ صلاح الدين من توحيد البلاد الإسلامية أخذ يولي وجهه تجاه حشرب الصليبيين أنفسهم والحيولة دون محاولتهم الاستيلاء على مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فجهز جيشاً قوياً وانجسه به إلى الأردن لللاقاة

== اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ م وانظر أيضاً : نور الدين محمود ، الدكتور / حسين مؤنس ص ٢٤٤ . الشركة العربية للطباعة والنشر بمصر . الطبعة

الأولى ١٩٥٩ م (١) الروضتين ١ / ١٥٤ .

(٢) الروضتين ١ / ٢٢٨ .

(٣) انظر الحركة الصليبية الدكتور / سعيد عبد الفتاح هاشور ٢ / ٧٤٢

الصليبيين ، ولم ينتظر صلاح الدين حتى يجمع العدو شمله المبدد ويوجد صفوفه  
واكثته معني يتاح انتصاراته ، وأخذت مدن العدو تسقط في يده الواحدة  
تلو الأخرى . والتقى الجيشان في مكان يدعى «حطين» ووقعت الواقعة يوم  
السبت الموافق ١٥ من ربيع الأول عام ٥٨٣ هـ وتمكن المسلمون بقتل وحدتهم  
وتصميمهم على الجهاد وبقتل ذكاهم قائد صلاح الدين أن ينتصروا على  
الصليبيين وأن يأسروا عددا كبيرا من فرسانه وقواده .

وما أن سقطت البلاد المحيطة بالقدس حتى شمر صلاح الدين عن ساعد  
الجد وذهب إلى بيت المقدس يريد فتحه . والحق أن انتصار المسلمين في حطين  
كان مقدمة لفتح بيت المقدس لأن الغزاة الصليبيين قد جموا في هذه الموقعة  
التي خسروها خيرة فرسانهم ولم يبق لديهم عدد آخر يستطيع أن يحارب صلاح  
الدين في حروبه التي سيبتها بقصد الاستيلاء على بيت المقدس .

ثم انجسه صلاح الدين إلى بيت المقدس عام ٥٨٣ هـ وبذل الصليبيون كل  
ما يمكنهم من أجل الإبقاء على بيت المقدس : وحين تقابل الجيشان وأدرك  
الصليبيون أنهم أضعف من المسلمين وأنهم إلى المذبحة أقرب منهم إلى النصر  
أرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون الأمان فأجابهم إلى ذلك مقابل قدية  
يدفعونها ، وبذلك حقق القائد العظيم للمسلمين أعظم نصر في تاريخ  
الحروب الصليبية ، وحده أنه أخرج النصارى من بيت المقدس ، ليس هذا  
لأنه يلهو بجهوده هذه قد هيا لمن يأتي بعده مواصلة الدرب وإخراج  
الصليبيين من أرض المسلمين دون مقاومة تذكر .

وبعد وفاة صلاح الدين ( ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ ) عاد الضعف إلى صفوف

المسلمين ، وتفرقت كلمتهم واختلف حكامهم . لكن الله سبحانه قد هيا للمسلمين الظاهر بيبرس الذي استطاع بفعل الله وقوته أن يطهر البلاد الإسلامية من وجس الصليبيين ، إذ قام بالاستيلاء على حصونهم واستطاع أن يستولى على إمارة أنطاكية التي كانت تعد أول إمارة صليبية أسست في الحقبة الأولى وكان سقوطها مقدمة لسقوط الكيان الصليبي في الشام وإعلانا لحركة الجهاد التي شنها المماليك ضد الصليبيين والتي بها قضوا على البقايا الصليبية من الشام (١) . ثم استولى الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون على معظم مدن الساحل عام ٦٩٠هـ وتمكن عام ٦٩٢هـ من أخذ بعض المدن من الصليبيين ، وبهذا يمكن أن نقول إن دولة الصليبيين في الشام قد انتهت لتختتم بذلك حلقة من حلقات الاستعمار الأوروبي ويطرد آخر جندي صليبي (٢) . ولا يغوتنا دور العلماء المخلصين الذي دعوا إلى الجهاد وأيقظوا الأمة الإسلامية من سباتها ، بل وشاركوا في الحروب ، كما لا يغوتنا كذلك دور الصمراء الذين شاركوا بتصاندهم القصيدة ثلث الأخرى ، وجدير بنا أن نقول أن قصائد هؤلاء الصمراء كانت ذات أثر في الحروب بل وفي مجسرات الأمور كلها .

- (١) انظر الظاهر بيبرس للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ص ٧٢ . سلسلة أعلام العرب ١٤ . مطبعة مصر بدون تاريخ .
- (٢) انظر مصر في العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى للدكتور / على إبراهيم حسن ص ٢٦٦ . مطبعة الاعتقاد بمصر ، نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ .



ثانياً : في مصر :

والحق أن مصر إبان احتلال الصليبيين للبلاد لم تكن على حال يسمح لها بأن تنهض بدور فعال في الدفاع عن الشام ضد الحملات الصليبية . وقد أدرك الصليبيون أن نجاح نور الدين الحرفي في الشام لم يترك لهم مجالاً للتوسع في هذه البلاد وأن الطريق الوحيد للفتوح لهم إنما هو في مصر نظراً لضعف الخلافة الفاطمية التي كانت فيها آنذاك .

وفي سنة ٥٥٢ هـ قام ملك بيت المقدس عموري ، بغزو مصر ، لكنه سرعان ما انفضحت منها بعد أن اضطر إلى ذلك ، وفي سنة ٥٥٣ هـ أرسل نور الدين قائده شيراكوة ليحجم معصر إلى الدولة الإسلامية ، وتمكن شيراكوة من هزيمة عموري ، ملك بيت المقدس ، ولما حاول ملك بيت المقدس الاستيلاء على القاهرة عام ٥٩٤ هـ نجده لا يتمكن من ذلك ، ومن بعده تمكن ملك بيت المقدس غننادي برن ، عام ٦١٥ هـ من دخول مصر وعاصمتها دمياط والاستيلاء عليها وذلك بفضل مساعدة الخليفة الصليبي الخامسة التي قدمت من أوروبا عام ٦١٦ هـ (١) وبعد ذلك اتجه الأوربيون الغزاة إلى القاهرة وعندما وصلوا إلى المنصورة التقوا بجيش المسلمين وكانت من ثم هزيمتهم وانتهت محاولتهم بالفشل التراجع .

وفي عام ٦٤٢ هـ تمكن المسلمون من استعادة بيضا المقدس من أيدي الصليبيين ومن ثم تاروت ثائرة الصليبيين مرة أخرى ، وظهرت دعوات أخرى تدعو لحلة

(١) الهجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١/٩٧٠ ووزارة الثقافة والإرشاد القومي في مصر ، بدون تاريخ .

صليبية جديدة على العالم الإسلامي ، وقد بين الملك « لويس التاسع » هذه الفكرة ، وبعد تفكيره رأى أن يتجه أولا إلى مصر ثم بعد ذلك إلى الشام واستطاع لويس أن يستولى على دمياط عام ١٢٤٧ ، ثم اتجه إلى القاهرة ، وعند المنصورة تمكن المماليك بقيادة بيبرس من هزيمته ، وانتهت الحملة السابعة من حملاتهم (١) .

وهنا سؤال لا بد من طرحه وهو : ما هي النتائج التي حققتها الحروب الصليبية ؟ وفي الإجابة على هذا السؤال نقول إن هذه الحروب قد أخفقت أخفاقا تاما ، فالصليبيون لم يتمكنوا من تحقيق أى هدف ، إذ عادت القدس إلى المسلمين ، واستردت الثغور الإسلامية كلها وأصبحت في أيدي المسلمين . ويمكن أن نضيف إلى ذلك فنقول إن حاسة المسلمين وتقضيهم للجهاد ، وإثارة مصلحة الدين الإسلامي عسل مصالحهم الخاصة ، وتمتعهم اخراج الصليبيين من بلادهم ، وانغافهم حول القادة المسلمين الذين قادوهم إلى الجهاد . . . كل هذه الأمور جعلت الصليبيين يخفقون تماما في تحقيق أى هدف من أهدافهم .

ويجب ألا ننسى كذلك أن المسلمين كلنا تناسوا خلافتهم ، وكلنا أخطأوا في أعمالهم فلهذا لم يلبد وأن يحققوا انتصارات باهرة على الصليبيين وعلى العكس من ذلك فهم إذا تفرقوا واختفوا فإنه سيحل بهم الدمار

( ١ ) انظر تاريخ الحروب الصليبية تأليف سلفين رنسيان ، ترجمة الدكتور / السيد الباز العرينى ٣ / ٤٥٢ ، ٤٧٢ مطبعة النجوى بيروت ، الطبعة الأولى ونشر دار الثقافة سنة ١٩٦٧ م

والهلاك .

وكان من نتائج هذه الحروب أن تعمس الشعراء والخطباء ، وشاركوا  
بقصائدهم وخطبهم ، وكان من نتائج ذلك ما عرف بأدب الحروب الصليبية ،  
وهو أدب ملزم مؤثر ، ويظهر في جللته من الشعر الحماسي الذي يبعث الحمم  
ويدعو إلى الجهاد والقتال ، وقد برز في هذا العصر شعر الجهاد كظاهرة  
عامة لها أثر قوي في إذكاء روح الجهاد بين المسلمين .



### ٣- أثر الغزو الصليبي في نفوس العرب والمسلمين

بدأت الحروب الصليبية في أواخر القرن الخامس الهجري ، وقد تمكن الصليبيون في حملتهم الأولى من الاستيلاء على مدينة الرها وجعلها إمامتهم الأولى ، وقد توغلت جماعة منهم جنوباً فاستولوا على أنطاكية وأسسوها لتكون الإمارة الثانية ، ثم واصلوا زحفهم فاستولوا على بيت المقدس ، وكان لسقوط بيت المقدس أثره الكبير في تحول مجرى الحوادث وفي نقطة الروح القومية عند المسلمين .

يقول الشاعر أبو المظفر الأيوبي (١) يصف تفرق المسلمين واستيلاء

(١) الأيوبي هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأيوبي ، نسبة إلى بلدة أيورود في مقاطعة أصفهان تلك التي ولد فيها ، وكان ينسب إلى بني أمية وعبد شمس ، حتى أنه كان كثير الاعتزاز بنسبه هذا في شعره ، كما كان دائم الفخر بعرويته ، وقد انتقل إلى بغداد ، وأخذ يتصل بالخلقاء والوزراء ، وأصبح من لحول شعراء عصره ، وقد لقب بـ «المتنبي الصغير» وله ديوان مشتمل على حقهقه الله كنور عمر الأسد ، ونشره في مجلدين كبيرين . كان الأيوبي من الشعراء الذين يتجهجون الشعر العربي القديم في الصياغة والمعاني جميعاً ، وقد غلب حب البادية على نفسه ، وكان شاعراً طموحاً يذكرنا بالمتنبي في روح قصائده . « انظر من بدأ من ترجمته في : وفيات الأعيان ، معجم الأدباء ، شذرات الذهب ، المعبر ، الوافي بالوفيات ، وانظر الجزء الأول من ديوانه » .

المسلمين الزناد على القدس الشريف عام ٤٩٢ هـ (١):

من جفا دماء بالدموع السواجم      فلم يبق منشا عرصة للراجم  
وشبر سلاح المرء دمع يفيضه      إذا الحرب شبت نازها بالعوارم  
فلأجسا بنى الإسلام إن وراءكم      وقائع يلحقن الذرا بالناشم  
وكيف تنام العين مل جفونها      على هفوات أيقظت كل نائم  
ولأخوانكم بالشام بعضى مقبلهم      ظهور المذاكى أو بطون القشاعم  
تسومهم الزوم الهوان وأنسىتم      تجرون ذيل الخفض فعل المسالم  
وكم من دماء قد أبيضت ومن دى      توارى حياء حسنها بالمعاصم  
يميت السيوف البيض عمرة الطبا      وسمر العوالي داميات اللهازم  
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة      تظل لها الولدان شيب القوام  
وتلك حروب من يغيب عن غمارها      أسلم يقرع يمددها سن نادم  
سلفت بأيدى للمشركين قواضيا      ستغمد منهم فى الطل والجناجم  
يكاد حرب المستعين بطيبة      ينادى بأهل الصوت بأآل هاشم  
أرى أمى لا يشرعون إلى العدا      رماحهم والدين وأهى الدعائم  
ويحتفون النار خوفا من الردى      ولا يحسبون العار مغربة لازم  
أترضى صناديد الأعراب بالأذى      وينفض على ذل كاة الأعاجم  
... إلخ .

وبعد معركة القدس تواترت انتصارات المسلمين وهزائم الصليبيين ، فأخذ

(١) ديوان الأبيوردى ، تحقيق الدكتور / عمر الأسد ٢ / ١٥٦ ، ١٥٧

وبلاحظ البداية والنهاية ١٢ / ١٥٦ والكامل فى التواريخ ١٠ / ٢٨٥ .

الصلبيون يستولون على المدن الساحلية مدينة تلز الأخرى وتمكنوا من السيطرة على الشام ومن التحكم في منافذ العالم الإسلامي إلى المغرب . وكان لا مفر من أن يبدأ المسلمون يحسون بالحسرة لتلك المزايم المتعاقبة ويشعرون بالأسى لاستيلاء الصليبيين على أجزاء من العالم الإسلامي ، ولما أذاقوه للمسلمين من قتل وتخريب ، وقد دفعهم هذا الشعور إلى محاولة المقاومة والدفاع ورد المعتصمين .

وما كاد القرن السادس يقترب من منتصفه حتى هب المسلمون يمدون المدة للتحرير من العدوان الصليبي ، وقامت من ثم دعووات للجهاد أشرف عليها الفقهاء والعلماء في المواقف الإسلامية ، وأخذوا يدعون إلى التجمع وإلى تسيان الخلافات والامتناع الديني والنزاع الذي كان سببا في الفرقة والضعف . والحقيقة أن العالم الإسلامي آنذاك كان في حاجة إلى تغيير الأعراف والقواد التي كانت تنصب بينهم الخلافات الشخصية والتي كانت تتيح الفرصة للمسدود الصليبي أن يفتح المدن ويستولي على الحصون والقلاع كما هو الحال في معركة أنطاكية (١) تلك التي كان لتفرق الكلمة وعدم الوحدة ومحاولة الانقسام أثر كبير في المزايم التي لحقت بالمسلمين فيها .

وينبغي أن نذكر أنه كانت هناك ردود فعل قوية تجاه هذا النزو الصليبي وبدأت حركة هذه الردود في إظهار آثارها فكانت غسرة عماد الدين التي بمقتضاها استعاد الزها ، وكان هذا السقوط ذا أثر قوى في تعلم الصليبيين لكمة عنيفة ، كما كان نذيرا باضمحلال نفوذهم وتقلص ملهم ، كما كان سافرا للمسلمين

من ناحية أخرى يشجعهم على كساح الأعداء ومتابعة طردهم من الأراضي الإسلامية، ويزيد من حماسهم، وقد بلغ الخراس الديني مبلغه عند العامة كآثر من تلك الآثار وكرد فعل لها.

ولم يلبث عماد الدين كثيرا، فقد اغتاله غلمان عند قلعة جعفر، وقد أعقبه ابنه نور الدين محمود. والحق أن نور الدين قد لعب دورا ممتازا في معارك ود الفعل الإسلامي، وكانت له آثار كبيرة في تجميع المسلمين، واستطاع بشكل أو بآخر أن يمثل البطولة الإسلامية المنتظرة فكان دائم الاستعداد للحرب وتقوية المسلمين، إذ كان ينفق الأموال الطائلة على السلاح، وكان يبنى القلاع والحصون والأسوار القوية، وقد عاش عدة معارك ذات أثر وأمكنه أن يسيطر سلطانه على جزء كبير من الشام، وأن يترك الرعب والظلم في نفوس الصليبيين. ومع ذلك كله فلم تكن مهمة نور الدين سهلة ميسورة، إذ أخذت موجات الصليبيين تقدم من جديد وبخاصة بعد استعادة الرها، وقد تمكن نور الدين من استرداد دمشق دون قتال وذلك بمساعدة نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه، وتم أسر جوسلين أمير الرها. وبقى أمام نور الدين فتح القدس فغاض عدة معارك استطاع بموجبها إجلاء الصليبيين عن مصر وبذلك دخلت مصر الحرب الصليبية بكل قوتها، وكان صلاح الدين الأيوبي الذي استطاع ببطولته السياسية والحربية أن يجمع المسالم الإسلامي، وأن يحول الهزائم إلى نصر، وكان لا يتصاهر في حطين، واستبلاحه على بيت المقدس دوى هائل هلك له جنباة المسالم الإسلامي، وترددت في أنفائه أصداة البقائر وتفتى الصحراء ولهج الخطباء.

وقد واصل خلفاء صلاح الدين من ملوك الدولة الأيوبية في مصر والشام سياسته في حرب الصليبيين ، وقام الصليبيون من جهتهم وفي عهد آخر ملوك الأيوبيين بقيادة قوية على مصر في عام ١٢٤٨ هـ عرفت بحملة لويس التاسع ملك فرنسا ، وقد هاجموا دمياط ، ثم تقدموا إلى مدينة المنصورة حيث أقيمت الجيوش المصرية بقيادة تور اتشاه ابن الملك الصالح أيوب ، وتم انتصار المسلمين ، وتم كذلك أسر لويس التاسع ، وأودع في دار ابن لقمان بمدينة المنصورة .





\*\*\*\*\*  
\* الفصل الأول \*  
\* نهضة الشعر في عصر الحروب الصليبية \*  
\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*  
\* أولاً : الأحداث السياسية . \*  
\* ثانياً : تشجيع الحكام للشعر والشعراء . \*  
\* ثالثاً : العناية بجمع الشعر ودراسة . \*  
\* رابعاً : كثرة عدد الشعراء . \*  
\* خامساً : الأسباب الدفينة . \*  
\*\*\*\*\*

كما شهد عصر الحروب الصليبية تطورات سياسية واجتماعية شرس كذلك نهضة أدبية حقيقية لأن الأدب جانب من جوانب الحياة ، ومن الصعب أن نتصور تقدم العصر في جميع الجوانب وركوده وتمثله في جانب واحد هو الأدب ، ولا شك أن العصر قد أمده روافد عديدة دمهت دمه وهو دعم نجد آثاره في النهضة الأدبية تلك التي يمكننا التعرف على بواعثها من النقاط التالية :  
أولا : الأحداث السياسية :

إن عصر الحروب الصليبية عصر جدير بأن نحدث فيه نهضة أدبية قوية ، إذ شهد هذا العصر عدة ظواهر جديرة بالتسجيل والدراسة ، وفيه حدثت تطورات سياسية هامة سادت العصر من مبادئه إلى نهايته ، فالأحداث السياسية فيه والحياة الاجتماعية التي سادت فيه ، كل هذا كان له أثر في الشعر ، إذ لزمه بلون العصر ووسمته بجمعه .

فالأحداث المنيعة التي شهدها العصر ، وقد حل في البلاد الإسلامية عدو ينشر الفزع والاضطراب ، وهو لا يفتأ يغير عسلي أحرار البلاد العربية وثغورها . وعلى الجانب المقابل كان أمصال البلاد التي غزاها الصليبيون يتحرقون غيظا على أوطانهم التي اغتصبها الصليبيون ، ولذلك أخذوا يجمعون قواهم ، ويرجعون صفوفهم ، ووقفوا لهذا العدو يدفعونه حينما يقررون عليه حينما آخر .

كما شهد العصر في مصر والشام دولا تزول وتنشأ مكانها دول أخرى وملكا يزول ليسل محله آخر ، وعقائد دينية تسطر ثم لم تلبث أن تنهار لتحل محلها عقائد أخرى . وليس من شك في أن هذه الأحداث قد انعكست في الشعر

ومجمل وقائمتها . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنها تثير المواقف ، وتثير مختلف الانفعالات ، وتدفع إلى نظم الشعر بل إلى الإبداع فيه .

وقد شهد هذا العصر أحداثاً سياسية مجمل الشعر وقائمتها :

فهذا هو الوزير المصري ، وهذا هو مركزه في آخر عصر الدولة الفاطمية وقد كان أعداؤه يترصدون به الدوائر لكي ينتصروا ملكه ، ويسلبوه سلطانه ومتعبه ، والوزير حيال كل ذلك لا يخرج من أن يستخدم كل مافي يده من قوة للفتك بأعدائه . وهذه صورة الشعر تربط مدى الخصومة بين الوزراء الفاطميين الفاضلين عسى زمام السلطان وبين الخائفين عليهم العظاميين فيهم والمتأففين لهم ، والوزراء حيال هذا كله يلجأون إلى استخدام العنف والقسوة للاحتفاظ بسلطانهم .

يعدح القاضي الفاضل (١) بعض وزراء الدولة الفاطمية

(١) أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن بن الحسن اللخمي البيسانى . ولد ببيسان عام ٥٢٩ هـ ونشأ بمصر وتعلم ، واشتغل بالدرس والأدب والرسائل ، وكان كاتباً بارعاً قديراً ، واستطاع أن يلى بعض المناصب الهامة في دواوين الفاطميين ، وقد أسند إليه العهد بن الصالح بن رزيق الوزير الفاطمي ديعوان الجيش عام ٥٨٨ هـ كما ذكر عمارة الجنى والروستين ١/ ١٣٠ طبعة مصر ١٢٨٨ هـ . وقد تولى الكتابة لإصلاح الدين ، وصحبه في وقعة الرملة ، وغادر مصر إلى الشام عام ٥٨٩ هـ ، وكان أستاذ الكتاب والبلاء في عصره وله نظم لكنه لم يرق إلى مرتبة رسائله يقول ابن حجة الحموى عنه : « كان نظم القاضي الفاضل رحمه الله ونثره »

فيقول (١) :

سبقك رؤوس أهاديك بأرجلهم      مقرب حثفها التقريب والحبيب  
وما أهدتم على أهداء هوانكم      هذا التأسد إلا بعد ما كلبوا  
بلمتوهم مناسهم في ترقعهم      واقوم ما ارتفعوا إلا إذا صلبوا  
لا يرقبوا فيكم أن تنجاب نائبة      فإن جحدك من أنصاره النوب  
لا يحسبوا لللك أمرا أنت كاسبه      فالملك أمر بأمر الله مكتسب  
فليس له كل مغرور فليس له      يرغمهم في سوى أربابه أرب  
وكان للخلاف الذي جرى بين خلفاء الفاطميين ووزرائهم صدام في  
العصر ، فقد استبد الوزير الفاطمي أبو هلي بن الأفضل بالسلطان ، واستبد  
بكل السلطة من الخليفة الفاطمي ، بل إنه اعتقل الخليفة الحافظ ، وأخذت  
الفتن تتصاعد في هذا العصر حتى تسببت في قتل الخليفة الظاهر .  
يقول الشاعر ابن أبي أسعد ينمى على الوزير نصر بن عباس هذا الفعل

الشيخ (٢) :

وأنفق من إتمامهم في هلاكهم      وأظهر ما قد كارب عنه يتناق  
ومد يدا قد طاولوها إليهم      وحلت بأهل القصر منه جوائق  
سقى دبه كأس المنايا وما انقضى      له الشهر إلا وهو للكأس ذائق

== كفرى رهان واسكنه نثر أكثر مما نظم وثمرات الأوراق ص ١٥١ طبعة  
مصر ١٣٠٠ هـ .

(١) ديوان القاضي الفاضل ، تحقيق وشرح وتقديم د / أحمد أحمد بدوي ص ٤٦  
(٢) الروضتين ١ / ٩٨ مطبعة وادى النيل بمصر ١٢٨٧ هـ .

وحين ولي الوزارة شاور السعدي في أواخر الدولة الفاطمية نجده يحاول أن ينفرد بكل السلطان في الدولة ، يأخذ يستعين بنور الدين محمود لاستعادة مناصبه التي كانت قد سلبت منه ، وما أن تحقق له ذلك حتى أظهر العداوة لنور الدين ، بل إنه أخذ يستعين بالفرنج على التخلص منه ، وانتهى الأمر بقتله وبولي أسد الدين شيركوه الوزارة .

وكرر فعل ذلك أقل بعض الشعراء يهجون شاورا ويصفونه بالفساد وعائلة الفرنج أعداء البلاد . فهذا هو المهاد الكاتب (١) يأخذ برحبت بشيركوه وزيراً ، ويستشير بهذه الوزارة في فتعر على الفرنج واسترداد بيت المقدس .

( ١ ) أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج محمد بن حامد المعروف بالمستطاب الكاتب الأصمعي صاحب التصانيف والرسائل والشعر . ولد بأصبهان ونشأ بها وقدم بغداد في صباه عام ٥٣٤ هـ فلق بها الفضلاء وحجب العلماء ، وخرج من بغداد إلى الشام عام ٥٦٢ هـ ونزل في دمشق عند القاضي الشهير زورعي ، وقد لقي أثناء وجوده بالعام نجم الدين أيوب والد البطل السباعي والحسبي صلاح الدين ، ومدحه عز وأسد الدين شيركوه ، كما أن للمهاد في نور الدين مذائح كثيرة ، وقد اتصل الورد بينه وبين القاضي الفاضل ، وأقام المهاد بدمشق يكتب للسلطان إذا غاب الفاضل بمعسر . ثم أقامه صلاح الدين مقام الموفق خالد القيسراني في ديوان الاستيفاء لجمع بين الإشراف والاستيفاء ومنصب الانتقاد ، وقد جاء المهاد إلى مصر واتصل بأفاضلها وعلمائها ، ولكنه سرعان ما خرج منها حين استدعاه صلاح الدين للخروج لغزوة الرملة عام ٥٧٣ هـ لللائحة الصليبيين في فلسطين ، وقد لحق المهاد =

يقول جنى. أسد الدين شيركوه (١) :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب  
فتح مصر، وأرجو أن قصير بها  
لقد رفقتنا إلى الرحمن أيدينا  
شكا إليك بنو الإسلام بينهم  
في كل دار من الأفرنج نادبة  
من شر شاور أنقذت العباد فكم  
هو الذي أطعن الإفرنج في بلد الإله  
وإن ذلك عند الله محسوب  
ويقول القاضي الفاضل قصيدة طويلة يصور فيها عودة أسد الدين شيركوه

بعد أن أقبل الفرج إلى مصر لينصروا شاوروا، ومنها (٢) :

تلقى العدا بالعدا، حدث به عجبا  
أن الهدى خدمت في نصرة العلب  
وحين سقطت الخلافة المملوكية في مصر وعادت مصر إلى الدولة المملاكية،  
كان هذا يعد من أهم الأحداث، وقد أثنى عليها الكاتب قصيدة يلقى فيها

==  
بالسلطان صلاح الدين في دمشق في السنة نفسها وظل يلزمه في تنقله،  
وبعد وفاة السلطان وتولى ابنه الأفضل الأمر في دمشق أقر المهاد على إنشاء  
الكتب دشنا، وظل يدرس في مدرسته المهادية في دمشق إلى أن توفي بها  
عام ٥٩٧ هـ انظر الروضتين لأبي شامة ١/٢٠٠، ٢٠٦، ٢٦٦ و ٢٢٥/٢  
طبعة مصر ١٣٨٨ هـ .

(١) الروضتين لشهاب الدين ١/ ٥٩ : دار الجليل بيروت .

(٢) انظر القصيدة في ديوان القاضي ص ٤٦ وانظر أيضا الروضتين ١/ ١٣٢

نور الدين والخلفاء العباسيين في بغداد . ومن هذه القصيدة (١) :

قد خطبنا المستنصر بمصر • نائب المصطفى إمام العصر  
وخذلنا نصرة المعتد العاصد ، والشاعر الذي بالقصر (٢)  
وأشعنا بها شام بن العبا • من قاستيشرت وجوه النص  
وتركتنا الذي يدعو ثبورا • وهو بالذل تحت حجر وحصر  
وبهاض مناير الدين بالخطبة • تهاشئ في أرض مصر  
ولدينا تضاعفت نعم الله وجلت عن كل عهد وحصر  
فأغتنى الدين ثابت الركن في مصر عطايا الحق مصون الثغر  
واستنارت عزائم الملك العبا • دل نور الدين الكريم الأغر  
عرف الحق أهل مصر وكانوا • قبيله بين منكر ومقر  
والذي يدعى الامامة بالفـ ..... اهرة الخط في خضيش القهر  
ما يشام الامام إلا بحق • ما تهاز الحناء إلا بمصر  
خلفاء الهدى سراء بن العبا • من والطيبون أهل الطهر  
بهم الدين ظاهر مستقيم • ظاهر قوة قوى الظاهر  
وما أن يتوفى العاصد حتى يعنى الشعراء بشمتون بالدولة المنقـ رنة  
ويستبشرون بتوحيد البلاد تحت حكم الخلافة العباسية ، ويقال الشعراء  
للوالون الأيوبيين من جهتهم يذمون رجال الدولة الفاطمية وعهودها ، وقد  
يحدث أن يرث على هؤلاء الشعراء من هو باق منهم على الولاء للفاطيين .

(١) الروضتين في أخبار الدولتين ١ / ١٩٨ دار الجليل بيروت .

(٢) يريد بالمعتد في البيت وزير بغداد المعتد الدين .



وقد أئندد الأحذب بن أبي حصينة بين يدي نجم الدين أيوب والد صلاح الدين أبياتا ينشئ فيها يسكنى أحد قصور الفاطميين « القلعة » فقال (١) :

يا مالك لا أرض لك طسرفا منها وما كان منها لم يكن طسرفا  
قد عمل الله هذى الدار تسكنها وقد أعد لك الجنات والنفوس  
تسرفت بك عن كان يسكنها قاليس بها العز والنابس بك التسرفا  
كان بها صدقا والدار لؤلؤة وأنهم بلؤلؤ صارت لها الصدقا  
وقد رد حمارة الجني (٢) على هذه الآيات أبيات قال فيها (٣) :

أنف يامن هما السادات والحلقا وقلع حافظته في عليهم سحفا  
جملتهم صدقا جسدوا بلؤلؤة والعرف بازاليسكنى اللؤلؤة الصدقا  
ولنا هي دار حل جوهرم فيها وشف فأسفاها الذي وصفا

(١) غنارات من ديوان حمارة الجني ص ٢١٣ طبعة مدينة شالون ١٨٩٧ م مع كتاب التكت المعربة في أخبار الوزراء المصرية .

(٢) ولد حمارة في اليمن بين قوم من العرب تنصبوا ليدلوهم وحافظوا على لغتهم وهو يمثل في شعره الاتجاه إلى القديم ، فشعره جيد رصين ، قوى الأسلوب وهو ينبج في شعره نهج أبي تمام وللمنتهى ، وكان فاضل الحوى ، وقدرنى الفاطميين بقصائد كثيرة تد من أروع شعره ، وبعد أن انتهى ملكهم وذهلت دولتهم التحق بتدعة قورائفاء وأخذ يندسه ويحرمه على غزو اليمن له ديوان شعر منهم يذكرنا بشعراء المصور الزاهرة ، وقد توفي عام ٥٩٩ هـ .  
• راجع الروضتين ١ / ٢١٦ - ٢٢٨ مصر ١٢٨٨ هـ .

(٣) غنارات من ديوان حمارة الجني ص ٢٩٢ .

فقدال : لثاوة عجبها بهجتها وكونها حوت الأشراف والشرقا  
فمن بسكانها الأيات إذ سكنوا فيها ومن قبلها قد أمكنوا الصفا  
والجوهر الفرد نوو ليس يعرفه من الهوية إلا كل من عرفا  
لولا فهمه فيهم لكان على ضعف البصائر للأبصار عتظفا  
فالكلب ياكل أسنى منك معرفة لأن فيه حفاظا دائما ودفا  
والحقيقة أنه يطول بنا للقيام لو حاولنا وصف كل ما كان من أثر للأحداث  
السياسية في الشعر .. وحسبنا أننا أشرنا إلى أن الشعر في عصر الحروب  
الصليبية قد تلون بكل هذه الأحداث السياسية .

ثانياً : تشجيع الحكام للشعر والشعراء :

كان عصر الحروب الصليبية عصر إحياء للفكر والثقافة الإسلامية والعربية  
كما كان عصر إحياء أدبي ، وتمثل هذا الإحياء في نهضة الأدب بصفة عامة  
والشعر بصفة خاصة والاهتمام بالأدب والشعر وتقديرهم للشعراء ، والحق أن  
الشعر في هذا العصر كان رائداً للناس جميعا ، وقد عكس تجربة الشعراء على  
أوطانهم ودينهم ، ولذلك لم ييغل عليه الحكام بكل غال أو نفيس ، وأخذوا  
يشجعون الشعراء ويتسابقون في تفريرهم ، بل إن كثيرا منهم قد سعوا إلى  
أن يكونوا شعراء .

والحق أن العصر الصليبي كان عصرًا موانيا للأدب ، فقد أحب الأدب  
الحلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والعلماء ، وكان الحكام يراحمون العلماء  
والأدباء ويحصلون من مجالسهم حلقات لأرباب المعرفة ، كما حرصوا على اجتذاب  
الشعراء واتخاذهم ألسنة تنافع عنهم وتدعو إلى مساعدتهم .

وقد حاول كثير من أولئك أن يكرروا من بين الأدباء ، ويمكننا أن نقول  
إننا لانكاد نجد حاكما من حكام العصر : خليفة ، أو سلطانا ، أو ملكا أو وزيرا  
لم يفسح صدوره للشعر ، ويتخذ اسمه مدحاً في شعر الشعراء .

يضاف إلى ذلك أن الحكام كانوا يجيزون الأدباء ، وكانوا يراحمون  
الشعراء ويجعلون من مجالسهم حلقات ينصتون فيها إلى شعرهم ، وكانوا  
ينفقون المظايا على الشعراء ، وقد أجسروا عليهم أرواقا ثابتة وجعلوا لهم  
مرتبات يتقاضونها ، وكانوا يتأثرون بالشعر ويؤثر فيهم ، وكان كثير منهم  
يقرض الشعر ويبنى نظمته . وقد نتج عن ذلك أن ازداد اهتمامهم به وبروايته  
وتقدمه (١) ، وأخذوا بمقدون مجالس الشعر به في مجالسهم ، بل إن بطرقة  
بعض الحكام كانت تدفع بالشعراء إلى الالتفاف حولهم التقاطا يذكرنا  
بالمورد الزاهرة للشعر العربي .

ففي ظل الخلفاء الفاطميين كان إفساد الشعر بين أيدي الخلفاء مظهرا من  
مظاهر القوة والمظامة التي كانوا حريصين عليها ، وكانوا يجيزون على الأدب  
ويجلسون للشعراء مجالس ينصتون فيها إلى شعرهم وينفقدون إنتاجهم  
ويكافئونهم على مقدار جودتهم ، وكانوا يتأثرون بالشعر ، ويمكن أن نقول  
لأنهم كانوا يتخذونه وسيلة للدعاية وللتأثير مبادئهم والترويج لمقائدهم ، بل إن  
بعض الشعراء كان أشد ما يكون حرصا على أن يودع مفاخره فيها أنشأ من  
شعر ، وقد وجد كثير منهم في الشعر متنفسا يوجهون فيه ببعض آمالهم ،  
ويسرون إليه بتطلعاتهم وطموحاتهم ، وكان الوزراء الفاطميون يتخذون

(١) انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردى هـ ١٨٣ طبعة مصر ١٣٣٥ و ١٩٥٣ م

العصر وسيلة لتعريفهم والدعاية لهم ، وقد أساءوا أنفسهم بعبققة من المثقفين  
للمتأخرين في الأدب ، فكان ولا بد أن يأخذ هؤلاء الوزراء أنفسهم بانقراض  
هذا الفن حتى يجمعوا بين ألوان التفوق .  
ومن الشواهد التي نستقيها الدلالة على اهتمام الخلفاء بالشعر وعلى تفهمهم  
لشعره ، ما حدث في عهد الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله من أنه كان يكافئ  
الشعراء على قدر إجادتهم القول والتجيز فيها ينشرون (١) .  
ويحكى حمارة البني صاحب كتاب « التكتف المصرية » أنه قد وفد إلى مصر  
في ربيع الأول عام ٥٥٠ هـ والخليفة بها آنذاك هو الفاطمي الظاهر ، وكان  
وزير هو الملك الصالح بلال بن رزيق ، وأنه حين حضر للسلام على الخليفة  
ووزيره في قصر الخليفة أنفدتهما قصيدة أولها :  
الحمد للعيس بعد العزم والمهم . . . حمدا يقوم بها أوليت من التعم  
ثم يقول إنه قد أفضى عليه خلق منبهة من ثياب الخلافة ، وأن الصالح  
دفع له خمسمائة دينار ، ثم أخرج له خمسمائة دينار أخرى (٢) .  
وقد اتدى وزراء الدولة الفاطمية وولاتها بالخلفاء في إجازة الشعر  
والإعناق عليهم ، ولا سيما أن هؤلاء الوزراء في العصر الذي جرت فيه  
الحروب الصليبية كانوا هم الحكام الحقيقيين في معظم هذه الحقبة من الزمن  
وكان بعضهم شاعرا يتذوق الشعر ويقرب قائله ويثيبهم ، وكان منهم من له  
ديوان شعر .

(١) انظر خطاط القريري ٢ / ٣٢٩ .

(٢) التكتف المصرية في أخبار الوزراء المصرية ص ٣٢ طبعة مدينته شالون ١٨٩٧

وتنهج هذا النهج الأيوبيون (١) من بعدم حين آل إليهم الأمر في مصر والشام ، فلم يستطيعوا أن يتناولوا عن الأدب والآداب ، ولا أن يتركوا ما كان عليه حال الأدب من تشجيع في العصر الفاطمي ، فهم ليسوا أقل قدرا من العرب في هذا الشأن ، ولم يكونوا راضين عن أن ينظر إليهم على أنهم أقل ندوة لهذا الفن الجليل من العرب الذين يقدرونه ويعرفون مكانته ، فلا غرابة إذن أن يحرصوا على أن يحيطوا أنفسهم بما اعتاد حكام العرب أن يحيطوا أنفسهم به من آداب وشعراء ، وأن يعالجوا هذا الفن ويأخذوا أنفسهم بممارسته وقرعته . يضاف إلى ذلك أن في الشعر دعابة يثبتون بها ملكهم وقواعد عروشهم ، وهو وحده كفيل بأن يؤدي الرسالة التي يريدونها من شعوبهم كما أنهم يرون أن الشعر كفيل بأن يفرس في نفوس وعابا لهم الحب والولاء لهم .

وبعد ثلثا ابن خلكان من علاقة صلاح الدين بالشعراء فيقول : إن أحد الشعراء أنشد صلاح الدين شعرا يقول فيه :

الله أكبر جاء الفوس باديها • ورام أسهم دين الله باديها  
فأفيضت عليه عطايا صلاح الدين ، وكان أن أعطاه ألف دينار (٢)

- (١) انظر أدب الدول المتتابعة عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، للدكتور عمر موسى باشا ، والحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، للدكتور عبد المظيف حمزة ، وانظر كذلك : الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي ، للأستاذ محمود مصطفي ص ٢٧٤ وما بعدها . نشر دار الكتاب العربي ١٣٨٧ • ١٩٩٧ م .
- (٢) وفيات الأعيان ٢ / ٤٠٥ الطبعة الميمنية ١٣١٠ •

ولم لا يكون كذلك ؟ وقد رأى هؤلاء المسلمون حين تصوروا أنفسهم للجهاد ضد الصليبيين أن الشعر الذي يتحدث عن الجهاد إنما هو موقد للحمية في نفوس المسلمين ، وهو باعث قوى لهم حسلى الاستثارة في الجهاد واسترداد بلادهم المصوبة ، وكان كبار الدولة يدركون كذلك ما للشعر من أثر بالغ في النفس فتطرب له ، ويتميز لمعناه .

ومن أثر الشعر في نفوسهم ما يروى من أن معركة داورت بين صلاح الدين والفرنج بقرب باناس سنة ٥٧٥ هـ وانتصر فيها صلاح الدين ، وكان عن أبي فيها أعظم البلاد عز الدين فروخ شاه ابن أخى صلاح الدين ، متأثرا بالشعر ومدفوعا به ، فقد حكى أنه قال : ذكرت في تلك الحسام بين القتلى ومما :

فإن تسكن الدولاب قسما فلنسا ٥ لمن يرد للثورت الزوام تتولى

ومن هون الدنيا على النفس ساعة ٥ والبيض في عام السكاه صليل

فبان للثورت في عين فألفيت نفسى إليه ، (١) .

ويذكر التاريخ أن كثيرا من حكام المماليك لم ينظر في الأدب وكانوا ينظرون الشعر ويعنون به ، إذ كان الأمر نظم ونظم ونظم في الأدب ، وكان الأفضل بن بدر الجمالي شاعرا ، وكان مرام وزير الخافض شاعرا كذلك . على أن من أعظم وزراء العهد الفاطمي الأخير حنظلة من الشعر هو طلائع بن وزيرك ووزير الفارز والعاقد ، وكان حنظلة وزير الماضد بن نظام للوشحات الجيدة (٢) .

(١) الكامل لابن الأثير ١ / ٢٠٦ الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ .

(٢) انظر نماذج من أشعار هؤلاء في الزمخشري ، الجزء الأول ، والنجوم الزاهرة ، الجزء الخامس ، وخطوط القرطبي ، الجزء الثالث والرابع .

ويروي القزويني شعرا للآمر يحدثنا فيه عن عزمه على الجهاد والذهاب  
إلى بغداد كي يوجد الصف، ويجمع الشمل يقول (١) :

دع اللوم عنى لست منى بموثق • فلا بد لى من صدمة التحقق  
وأستق جيايدى من فرات ودجلة • وأجل شمل الدين بعد التفريق  
ويقول (٢) :

أما والذي حجع إلى ركن بينه • جرائم ركبنا • قلدة سبها  
لأقبح من الحرب ، حتى يقال لى : • ملكه صمام الحرب فاعزول الحربا  
ويؤزل روح الله : عيسى بن مريم • فيرعى بنا محبا ، ونزعى به محبا  
وقد تشبه حكام ووزراء الدولة الأيوبية بملوكهم من خلفاء ووزراء الدولة  
الفاطمية ، وبمكنتنا كذلك أن نقول إن الشعر قد جرى على ألسنة كثير من  
أبناء الأسرة الأيوبية . إذ كان ليروي بن أيوب وأخو صلاح الدين ، شعر  
بليغ ، وله نماذج كثيرة من شعره أوردناها صاحب النجوم الزاهرة .  
وكان صلاح الدين يحب الشعر ، ويستحسن الجيد منه ، وكان يحفظ كثيرا  
من أشعار الخفاصة ، وكان يتغنى بهذه الأشعار في مجلسه . . يضاف إلى ذلك أنه  
كان يدرك ما للشعر من تأثير في النفوس ، ولذلك كان يقرأه له مع غيره ،  
وكان يبدأ به رسائله .

ولعل الذى يدل على تأثير الشعر في نفس صلاح الدين ما روى من أنه كان  
يقول في ملا من الناس : « لا تظنوا أنى فتحه البلاد يسوقكم ، ولكنى فتحها

بقلم القاضي الفاضل (١).

ومن ذلك ما روي من أن سيف الإسلام ملفتين أعاصير الدين كانت  
نفسه تنطلع إلى العيين وبخاصة بعد موت أخيه شمس الدولة ، فأشار إلى ابن  
الحلي أن يقرض قصيدة يضمها هذا الحسب ، وأن يشدها ويسمها صلاح  
الدين ، فأنشأ الحلي قصيدة كان منها :

جرد لنا السيف الصقيل فتنة \* فالسيف لا ينحسر إلا للفقير  
شد به أزر العسلا ، فإنه \* نعم فنى من مخرج الجود ، ومن  
القائل المسمع في مقالته \* والصادق التذلل لآمين المؤمنين  
فلسا سمع صلاح الدين هذه القصيدة أذن لسيف الإسلام في المدير  
لولاية اليمن (٢).

وكان للأفضل غازي ، ابن صلاح الدين ، شعر حسن ، وكان فروخ  
شاد به شاهنشاه أدبياً شاعراً ، وكان شعره جيداً إذا قيس بأشعار الملوك ،  
وكان لعمر بن شاهنشاه ديوان من الشعر ، وكان جرام شاه بن فروخ شاه من  
أشهر الشعراء ، وليوسف بن محمد بن غازي صاحب ملك حلب ، حفيد غازي ،  
شعر جيد في الخراب الذي لحق بحلب حين مر عليها التار ، وكان لذلك الكامل  
ديوان من الشعر . . بل إننا إذا استعرضنا كتب الروضتين ، و « النجوم »  
الزاهرة ، و « فوات الزقيات » ، و « خطط القريزي » ، لوجدنا أن كبار الأحرار  
والوزراء في عصر الدولة الأيوبية كانوا ينظمون الشعر ، وكانوا يدركون

(١) شذرات الذهب للحنبل ٤ / ٣٢٧ طبعة القاهرة ١٣٥٠ هـ .

(٢) الروضتين ٢ / ٢٦ - طبعة وادي النيل بصر ١٢٨٧ هـ .



ما للشعر من أثر بالغ في النفس ، كما كانوا يحسدون في تفتيتهم به معين قوة  
ومصدر إقدام .

ومن معرفتهم بتأثير الشعر في النفوس ما رواه ابن الأثير في الكامل (١)  
من أن شمس الدولة توران شهاب بن أيوب ملك اليمن قدم إلى دمشق ، وحسين  
سمع أن أعاء صلاح الدين قد ملكها استبد به الحزبين إليها ، فبى وعائنه واثق  
أترابه ، وكان من أثر ذلك أن فارق اليمن وأخذ في المدير إلى الشام وأرسل  
وهو في مسيره إلى أخيه صلاح الدين بخبره بقدمه ، وكان مما كتبه في كتابه  
شعر من قول أبي النجم المصري يقول :

وإلى صلاح الدين أشعكو أنى	من يسده معنى الجوازع موالع
جوعا ليمد النار منه ، ولم أكن	لولا هواه أبعده دار أجزع
فأذكر كين ليلته متى عزائمي	ويجب في ركب الغرام ويوضع
ولا تقطعون من النهار هواجرا	قلب النهار بحرها يتقطع
ولا سرير الليل لا يسرى به	طيف الحبال ، ولا الهوى القمع
وأقدم إليه قلب غديرا	أنى يحسمي من قريب أتبع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة	من أفتها صبح الدمعة بطلع

ولم يقف حالهم عند حد حب الشعر وتقديرهم لتأثيره في النفوس  
ولكنهم كانوا يتذوقونه ويبرفون جيده من رديته ، وكانوا يعقدون مجالس  
للاستماع إلى ما أنشده الشعراء في المناسبات العامة والأحداث الجارية ، وكانت

هذه الجلسات تعقد في المحافل العامة التي تقيمها الدولة (١) .  
وكانوا يعقدون مجالس أدبية متنوعة ، يattendون الشعر ، ويستجيزون من  
حضر من الشعراء ، وكانوا يطالبون من الشعراء القول في أعراس ومناس  
بمنها . ويحكى أن صلاح الدين الأيوبي حين فتح بيت المقدس عقد مجلسا  
وأخذ يستمع فيه إلى قصائد الشعراء التي يقول في هذا الفتح العظيم (٢) .  
كذلك لم يستطع سلاطين المماليك أن يتخلوا عن هذا التقليد ، ولعل  
الأسباب التي دعيتهم إلى تشجيع الأدب هي بمنها الأسباب التي دفعت  
بالأيوبيين إلى هذا التشجيع ، فهم بلا شك يترقبون إلى الإشادة بمآثرهم  
وساخرهم ، ولهذا شجع بيوس الشعراء ، فالتفوا حوله ، وتقدوا بهجاده  
وإصلاحاته ، واقتدى به في ذلك قلاوون وابنه الأشرف خليل .  
ومن يشترط الأحداث المبكورة التي كانت في عصر للمماليك يدرك  
مدى ما كان للشعر من مكانة مرموقة ، ويقف بنفسه على تلك المجالس التي  
كان يعقدها الأشرف بن قلاوون والتي كان يطالع فيها الأدباء بذهن رائق  
وذلك مفرط (٣) .. وجددوا الفكر أن يقول إن بعض ملوك العصر المملوكي  
وأمراته قد ألفوا في الأدب وشجروا على التأليف فيه (٤) .

- ١) بدائع البديهة للأزدي ص ٣٢٤ مطبعة بولاق ١٢٧٨ هـ .
- ٢) الروضتين ٢ / ٩٦ مطبعة وادي النيل بمصر ١٢٨٧ هـ .
- ٣) انظر السلوك لمعرفة دول الملوك للبكري ، تحقيق الدكتور / محمد مصطفى زيادة ١ / ٧٩١ مطبعة القاهرة ١٩٣١ م .
- ٤) انظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٣ / ١٢٥ المطبعة الحسينية بمصر الطبعة الأولى .

وأباً ما كان الأمر فإن عصر الحروب الصليبية كان عصراً مواتياً للأدب  
بصفة عامة والشعر بصفة خاصة ، فلقد أحب الأدب خلفه راؤه ، وسلاطينه ،  
وملوكه ، وأمراؤه ، ووزرائه ، وولاةه ، وعساؤه ، بل إن هؤلاء جميعاً قد  
حاولوا بكل أو بآخر أن يكونوا من بين رجال الأدب .

ثالثاً : العناية بجمع الشعر ودراسته :

لا شك أن إنتاج الشعر في عصر الحروب الصليبية قد غرر و أثر تأملوه  
و كثر كثر كذلك في هذا العصر العناية بجمع النصوص الأدبية بصفة خاصة ،  
وتحقيق المتنق من بينها .

وقد رأى بعض الجامعين للشعر أن يتجه إلى اختيار النماذج الرفيعة من  
التراث القديم ، والتي هي كفيلة بتقويم اللسان وتمذيب البيان . وأنجع بعضهم  
إلى لون من ألوان الأدب والشعر مما يتصل بمكارم الأخلاق والتي هي خلقية  
بالأخذاء . وأنجحت طائفة أخرى إلى مختارات من الشعر اشتمل  
لتكون هذه المختارات ذخيرة أدبية صالحة لأن تدقق منها اللغوي والافكار  
من جهة ، ثم لتعرف بالأدباء عن طريق هذه الآثار (١) .

والواقع أن الذين عتوا بجمع شعر التراث القديم قد اقتدوا إلى حد ما بمن  
سبقوهم في هذا الشأن منذ القرن الثاني الهجري فاختاروا ما رأوه وأتوا من  
دواوين السابقين (٢) . وكان من الذين عتوا بجمع ما تفرق من شعر الشعراء

(١) انظر بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٣٦٨ مطبعة  
المعاصرة ١٣٣٦ هـ . (٢) انظر وفيات الأعيان ٢ / ١٥٩ وانظر  
معجم الأدباء لياقوت ، نشر المكتبة / فريد رفاعي عام ١٩٣٦ م ٨ / ١٥

ووضع في ديوان مافعله البديع هبة الله بن الحسن الملقب عام ٥٣٤ هـ، إذ جمع شعر ابن الحجاج ودرسه ورتبه على القوافي.

ووقف بعض الجامعين عند حد ما قبل من الشعر، مثال ذلك كتاب «بدائع البدائنه» الذي جمع أخبار الشعراء في البدايه والارتجال ومحاسن أشعارهم في مضائق الإسراع والإنجال (١).

وبما عني البعض يجمع ما فسرق من شعر الشاعر ووضعه في ديوان جديد البعض الآخر يوقف عند جمع ما قبل من الشعر في مدح شخص بعينه أو أشخاص بأعينهم، أو أسرة بعينها، فجمعوا ذلك تقليداً للفاخر وتسجيلاً للآثر. وكان الذي يختار يوقف عند حد اختيار الجزل القوي البليغ. ولعل لاختيار هذه النماذج في أشخاص بأعينهم أو أسر بعينها دغلاً في اختيارها جزلة واضحة، فالواحد من هؤلاء كان يتأى بمن اختار عنه هذا الشعر عن أن يكلفه دراسة التريب الشاذ أو الغامض.

ذلك في الحقيقة بعض ما قام به الأدباء آنذاك من جهود في جمع الشعر، أو ما قام به الشعراء من جهود في جمع دواوينهم الشعرية.، لدرجة تجعلنا نقول إن هناك العديد من الدواوين الشعرية قد جمعت في ذلك العصر، ولو أن هذه الطريقة قد اتبعت عند كل شاعر لمسا ببدء شعر كثير من الشعراء، ولما تفرق في كتب الأدب والتاريخ، ولأفاد الأدب والتاريخ من ذلك إفادة كبيرة. وكما عني الأدباء في ذلك العصر يجمع الشعر بعد عنايه كبرى كذلك بدراسة ما وروثوه من أدب، فظهرت من ثم كتب عديدة ظفرت بالشرح والمراجعة

(١) بدائع البدائنه للأردى ص ٣.

والخلفاء . وكان من بين هذه الكتب : الحاسة ، الحبيب بن أوس ، إذ كانت له مكانة خاصة في نفوس الأدياء ، وقد أن نجد أدياء معروفين يقرأ الحاسة ولم يحفظ منها كثيرا ، بل كانوا يستشهدون بأبياتها في كتبهم ورسائلهم . ويأتي مع الحاسة كتاب ديوان أبي الطيب المتنبي (١) والذي لا شك فيه أنه كان لهذا الديوان النصيب الأكبر من عناية واهتمام الدواوين يرمث فكان عدة الأدياء وزاد الفراء يستقون منه كل طرف يدعي ، وقد وضعت الشروح والخواص عليه . ولا غرابة في ذلك فالمثني كان ينظر إليه في ذلك العصر على أنه شاعر عبقري ، وكان له أثر أيضا في شعراء ذلك العصر ، ولعل الحروب الصليبية أثرها في ذلك ، إذ المعروف أن جمعا غفيرا من شعر المثني قيل في المعارك التي دارت بين المسلمين والروم .

وكان مما أهتم به الناس كتاب « مقامات الحريري » ، إذ كان يحفظها الأدياء والمعلماء (٢) . ويرجع اهتمامهم بها إلى أنهم كانوا يرون فيها آكل تعبير عن روحهم ، وكانوا يرونها أرفع نموذج للأدب العربي شعرا كان أم نثرا حسب ذوق العصر ، وكانه المثل الأعلى للكتاب ذلك العصر وخطباته ، وهي تعتبر مرجعا لغويا ، ونحوي أبوابا في النحو والثقة والملافة ، وقد وجد إليها الشراح همهم ففصلوها بعد إجمال ، وعلقوا عليها ، وزادوا فيها .

وكانت هناك عناية بشرح الدواوين ودراساتها نجد عناية أخرى بالقصائد المشهورة ، إذ أقبل البعض من علماء العصر على شرح بعض هذه

(١) انظر وفيات الأعيان ٢ / ٢٩٦ ، ٥ / ١٨٠ طبعة على الدين ، ١٩٥٢

(٢) انظر المصدر السابق ٤ / ٢٣ طبعة على الدين .

القصاصات ، كتصديرة ابن دريد ، وحسكة صيد بنافع سعاد ولامية العراب وغير ذلك .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل مضت طائفة من العلماء تجمع أخبار الشعراء ، وترصد ما ينبت لها جمعه من آثارها ، أو ما يروق لها من تلك الآثار وقد اتحدوا في ذلك بمن سبقهم من العلماء الذين جمعوا أخبار العلماء ووضعوا طبقاتهم ، وكان أم ما ظهر في ذلك كتاب « الجوهرة الخاطرة في شعراء الجزيرة » لابن « قطاع الصقلي » ، وكتاب « الطرب » من أشعار أهل المغرب ، لأبي الخطاب عمر بن دحية الكلبي ، وكتاب « المجموع » في ذكر شعراء « اليمن » لمبارة اليمن . ووقف البعض بجمع طائفة من الشعراء بجمعهم اسم خاص ، كما فعل علي ابن يوسف القفطي في كتابه « الحمدون من الشعراء » وأشعارهم ، كما وقف البعض الآخر عند جمع الشعراء الذين يجمعهم مذهب واحد ، وذلك كما فعل يحيى بن حميدة حين جمع شعراء الشيعة في « مجمع » (١) .

وهناك من وقف في دراسته عند شخصية واحدة يجمع أخبارها ، ويروي أشعارها ، وينقل خلفه وآراء الناس في عائلته ، ويروي عيون شعراء في مختلف الأغراض ، ويقدم بين يدي ذلك كله المواقف والمناسبات التي قيل فيها هذا الشعر . وهناك كذلك من لم يقف في دراسته عند قائل معين أو عند عصر معين كما هو الحال في « مجمع الأدباء لياقوت » .

أما في مجال النقد فقد ظهر كتاب « نظم الدرر في نقد الشعر » وهو لعل

(١) انظر : الفاطميون في مصر ، الدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٢٩٩  
الطبعة الأميرية ١٩٣٢ م .

ب ابن السكيت بن ليباردة م ٩٣٢ هـ ، وظهرت مختصرات للكتب القديمة ، كما حدث في تجريد الألفاني ، لابن واصل الجسوى ، وفي مختار الألفاني ، لجبال الدين بن مكرم .  
ويبقى أن نشير أيضا إلى أن من أهم الأعمال الأدبية التي تمت في ذلك العصر هو نقل و الشاعنة ، تلك التي صكبتها الشاعر الفارسي الفردوسي عام ٤٠٠ هـ إلى العربية ، وكان هذا من أجل الأعمال .  
وأبما : كثرة عدد الشعراء :

امتازت هذه الفترة التاريخية بكثرة ما أنتجت من شعراء في مصر والشام (١) فالذي لا شك فيه أن عدد الشعراء قد كثر في عصر الحروب الصليبية كثرة ملحوظة ، بل إن من بين شعراء هذا العصر شعراء كانوا معالما في طريق الحياة الأدبية في مدى قرنين من الزمان ، ونحن ندين في أشخاصهم تطور الحياة الأدبية في هذا العصر ، كما أنه كان لظروف العصر أثرها في أنها جعلت الشعر لم يعد قاصرا على شعراء اللدج المترفين ، وإنما حولته ليه بشكل أو بآخر من روح الجهاد .

ولا أجدني مغاليا إذا قلت إن الحياة الأدبية كانت على أشدها في المصحين : القاهرة ودمشق ، وأن هاتين اللدنتين قد نالتا الزعامة في عصر الحروب الصليبية في مجال كثرة عدد الشعراء ، وكانت المراكز العلمية فيها

(١) انظر الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، وانظر كذلك الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ، الأستاذ محمد سيد كيلاني .

جاءا للزورع الشعر وترية صالحة لأزدهاره . . ليس هذا لحسب بل إن الأقاليم  
الأخرى قد طغرت بنصيب لا بأس به من الشعراء ، وقد اجتمع هؤلاء حول  
حكاهم هذه الأقاليم الذين كانوا يتشبهون بالسلطين .

ويمكن أن نقول إن أعظم الأذى قد نشأوا في ذلك العصر ، وكان منهم  
من يتحدر من الدرب الخلفي ، ومنهم من يتحدر من الأبرك أو الأكراد  
أو القبط ، وقد تعددت ألوان هؤلاء الشعراء واختلفت مذاهيمهم . فن شعراء  
جعلوا الشعر وسيلة معروفة بها عما يحول في نفوسهم من عواطف وأحاسيس  
لا يطلبون على شعرهم حسالا ولا جزاء ، وهؤلاء هم الشعراء من السلطين  
والملوك والأشراف والوزراء .

وهناك جماعة آخرون من الشعراء اتخذوا الشعر حرفة لهم يعيشون على  
ما يدره عليهم من رزق قليل أو كثير . وهؤلاء هم الشعراء المداحون الذين  
كانوا يحفون السلطين والملوك والأشراف ، وما لاشك فيه أن هؤلاء الشعراء  
قد اعتمدوا على الشعر لكسب .

والذي يهتأ أن تشير إليه هنا هو أن هذه الطبقة من الشعراء قد كثرت  
وتعددت ، وذلك لما وآه الشعراء من السلطين والوزراء من تشجيع وإقبال  
ولعل هنا هو السبب في أن جماعة من الشعراء قد انقطعوا لمسند اللون من  
الشعر ، وأخذوا يتطلعون إلى الكسب وطلب المال عن طريق المدح ، وشاعت  
من ثم نفعة الطلب الصريح .



ولستمع مثلاً إلى قول ابن التماويدي (١) :

أترضون يا أهل بشداد لي	وعنكم حديث التدي يستند
بأنى أرحل عن أرككم	أجسوب البلاد وأسقند
ألا رجل منكم واحد	بحركة الجهد والسودد
يقسطن منه يسرق	بها حر شكري ويسرق
ويتضرب لي غصبة مرة	بمودة بها للعلم القد
لقد شاتي أدبي بينكم	كا شين بالحيوة الأرمد
أمال فيكم سوى د شمره	رقبتى وعاطره جيد
يسركم أنت يغنى به	ويطربكم أنه ينشد
وأقسم أنت وغيفنا لدى	من قولكم جيداً أجود (٢)

- (١) سبط ابن التماويدي ، أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن التماويدي ، ويسمى سبط بن التماويدي . وكان كاتباً ديواناً للفاعلمعات ، وكان شاعر العراق في وقته ، اجتمع به العديد الأصمعيان وصحبه وقتاً من الزمن ، ثم انتقل إلى الشام ، والتحق بصحبة صلاح الدين الأيوبي وأخذ يمدحه ، كما اتصل بعمون الدين بن هبيرة الوزير العباسي ومدحه ، وشعره متعدد الألوان ، إلا أن المديح غاب عليه ، كما أن أسلوبه يتقلب عليه الطابع القديم . وشعر أبي الفتح غرر ، وديوانه كبير يقع في عشرين ، وقد جمعه بنفسه وقد ذكر ابن خلكان أنه توفي عام ٥٨٤ هـ . انظر وفيات الأعيان ، طبعة عمى الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥٢ م : ٤ / ٩٠ . وانظر كذلك الروضتين .
- (٢) ديوان ابن التماويدي ص ١٢٩ عن : الأدب في العصر الأيوبي ، =

ونلاحظ في هذا العصر أيضا أن كثيرا من الناس قد اعلقوا بالشعر ، ودار لهم هواية محبة يلجأون إليه فيودعونه ما يريدون التعبير عنه من مكتوبات نفوسهم ، أو يتبادلون به التهاني والرسائل ، أو يتخذونه وسيلة للتسلية والتمتع في مجالسهم وأحبارهم .

وكان من بين من نظموا الشعر فقهاء ، وعلماء ، وجنود ، وقواد ، وأناس من عامة الشعب (١) . بل إن كثيرا من العلماء كان يرى في التأديب بقول الشعر ما يرفع من شأنهم ، ويزيد من قدرهم ، ويرقى بمكانتهم في أنظار معاصريهم (٢) وبناء على ذلك رأينا طوائف كثيرة من رجال الفسك والمتقنين يقرءون الشعر ، ويحرصون على أن يكون لهم شعر يروى . ومن هؤلاء تاج الدين السكندى ، وابن دقيق العيد .

كما كان من بين الشعراء رجال من العامة طبعوا على قول الشعر ، وكانوا من أصحاب الحرف أو من الجند . ومن كبار شعراء ذوي الحرف في ذلك العصر أبو الحسين الجزار ، ومراج الدين الزواق .

ولذا كان هذا العصر قد شهد طائفة من الحكام والملوك والسلاطين ، قد توارثوا الملك والسلطان فإنه قد ظهرت أيضا أسر توارث بنوها الشعر كأُسرة

== الدكتور / محمد زقزل سلام ص ٢٢٢ دار للمعارف بمصر ١٩٦٨ م .

(١) انظر مريدا من ذلك في : قرات الرقيات ، الجزء الثاني ، ، والنجوم الزاهرة ، الأجزاء : ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٢) انظر الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، الدكتور أحمد بدوي .

بنى منشق في الشام (١) ، وأمروني بنى عرام وابن الزبير في مصر (٢) ، ليس هذا لحسب بل إن هناك أمرا كانت تفعل فعل الحكام والملوك ، فتداول أبناءها حماية الشعر والشعراء ، وتقريهم والإغداق عليهم ، ومن هذه الأمثلة أميرة بنى السكز (٣) .

.. وعلى هذا فليس بعجيب أن يكثُر عدد الشعراء في ذلك العصر كثرة تلفت النظر ، فقد ظهرت أعداد كبيرة من الشعراء ، واحتفظت المراجع التاريخية والأدبية في ذلك العصر بالكثير من الشعر ، وكان لظهرة غفيرة من شعراء العصر دواوين شعرية أثبتوا لهم مؤرخوهم ، لكننا عائق من هذه الدواوين ليس يكفي لأن يلقى الضوء الساطع على الحركة الأدبية التي سادت العصر .

علماً : أسباب دينية :

وكان إلى جانب الأسباب السابقة سبب جديد ظهر في عصر الحروب الصليبية ، وهو التعصب للدين الإسلامي ، ذلك التعصب الذي تزوت ناره تلك الضغينة على الصليبيين الذين دفعهم حقدهم للاحتداد وتعصبهم الديني للمقوق إلى الإغارة على بلاد المسلمين والمبالغة في أذى السكان والانتقام القبيح منهم .

( ١ ) أنظر معجم الأدباء ، الجزء الخامس .

( ٢ ) أنظر الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأهل الصعيد ، لجمال الدين بن جعفر بن تلمب الأديوي ص ١٩٨ وما بعدها . المطبعة الجاليلة مصر ١٣٢٢ هـ .

( ٣ ) أنظر للمصدر السابق ص ١٣ .

ولئن من ينتج هواوين شعراء هذا العصر بعدها ذخيرة بالشعر العربي الذي  
يحرص على القتال ، وحبى . بالنصر ، ولم يكن شعراء المسلمين يكتبون بإظهار  
فرحهم بالنصر ومدح ملوكهم وقوادهم الذين تم على أيديهم ذلك ، بل إنهم  
أرسلوا بشعرهم إلى النصارى يفتنون في أعدائهم ، ويظهرون بهم الشجاعة (١)  
وكان هذا الشعر يفيض من قلب كل مسلم ، لأنه يحكي انتصارا للإسلام على  
الشرك ، وحماية للوطن ، وذودا عن أهله (٢) .  
وعنك أمر آخر تريد أن نفيه إليه وهو أن همدنا الشعر قد ايسر قلوب  
الحقيقة ، واتصل بالواقع أنهم اتصال ، ولذلك صارت له روعة ، وديب فيه  
حياة لم تكن تعيد قبل ذلك في الشعر العربي .



(١) انظر حسن المحاضرة ، الجزء الثاني ص ٤٦ .

(٢) انظر مآقاله ابن خلدون في فتح صلاح الدين لبيت المقدس : الوفيات  
الجزء الثاني .

\*\*\*\*\*  
الفصل الثاني  
موضوعات شعر الجهاد  
\*\*\*\*\*



في الحقيقة نحن ان نتحدث عن أغراض الشعر بصفة عامة ، ولكننا سنتحدث عن الأغراض والفنون التي لها علاقة بالحرب والجهاد في ذلك العصر وهذه الأغراض ترجع دون شك إلى أصل واحد هو الجهاد والحض عليه ، والدعوة إلى حماية الإسلام والمسلمين ، وما يتصل بذلك من إراز فضائل الشجاعة والنخوة ، والبطولة ، والثناء ، ووصف الممارك وآلات الحرب والحصون وما إلى ذلك (١) .

وتتمثل هذه الأغراض فيما يلي :

أولا : شعر الدعوة إلى الجهاد :

عما سبق يتبين لنا أن الصليبيين في الغرب المسيحي قد أقبلوا بكل جهادهم وبكل ما أوتوا من قوة إلى بلاد المسلمين لا لشيء سوى الطمع في غزو تلك البلاد ، واحتلال مقدساتها ، وسلب خيراتها ، وقد أدت هذه الحروب إلى ظهور شعر الجهاد .

وليس من شك في أن الحروب الصليبية التي دامت زهاء قرنين من الزمان قد أحدثت أثرا بارزا في الناحية الأدبية بصفة عامة ، وفي الشعر بصفة خاصة كما أحدثت أثرا سياسيا واجتماعيا وغير ذلك .

وشعر الجهاد هو الشعر الذي يحرص على قتال الإفرنج ، ويحث على جهادهم

(١) ونحن بذلك نخالف الأستاذ محمد سيد كيلاقي في تقسيمه لأغراض الشعر في عصر الحروب الصليبية ، انظر له : الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ص ٢٠٨ وما بعدها . مطبعة دار الكتاب العربي سنة ١٩٤٩ م .

ويستنهض همم المسلمين في هذه الأوقات الحرجة التي مرت بمصر والعالم إلى دفاع العدو .

ولعلنا لا نصدو الحقيقة إذا قلنا إن شعر الجهاد الذي أثمر الصراع بين المسلمين والصليبيين يمد زائنا ضخا في أدبا المصري ، وهو - وإن امتدت المراحل الفعالة في نهضته وازدهاره إلى شذيره من المصور السابقة واللاحقة - يمد سرآة لفرة حرجة في حياة المسلمين ، فترة شهدت صراعا أشد عنفا وأطول مدى . والحق أن هذا الشعر كان عادلا أساسيا وقويا ، وقد قام بدور فعال في الدعوة إلى الجهاد وتحسيس الجيوش ، ورفع الروح المعنوية للقاتلين الأمر الذي أدى إلى تغيير مجريات تلك الحروب وتحول مسارها ، بما أثر على حياة المسلمين وواقعهم .

ولا شك أن قرائح الشعراء في هذا العصر هي التي هيأت لخدمة هذا "ضرب من الشعر" ، فالصراع الذي ساد العصر هو الذي دفع الشاعر إلى أن يتعرض في شعر الجهاد ، وقد نبغ في هذا بفضل القرائح الفذة شعراء لحول استطاعوا أن يفوقوا غيرهم .

وقد واكب شعر الجهاد أحداث الحروب الصليبية وعاش أكثر مراحلها ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن هذا الشعر قد استمر قويا ومؤثرا حتى انتهزم الصليبيون وخرجوا نهائيا من بلاد المسلمين ، وقد حل شعراء الجهاد على عرائقهم هب الدعوة إلى الجهاد ، ومقاومة المحتلين ، وتوحيد القوى الإسلامية لمقاومة الغزاة المحتلين وطردهم . . . والواقع أن الدعوة إلى الجهاد كانت لب الشعر في هذه الفترة ، وكانت المنطلق الذي اتخذته الشعراء بابا لكل



المعاني والأفكار التي عالجوها في شعرهم .

هذا وتتمثل الدعوة إلى الجهاد في مظاهر مختلفة منها :

• التذكير بحروب المسلمين السالفة ، والإشادة بما أبداه المجاهدون في هذه الحروب من بلاء حسن .

• تثبيت المقاتلين وحثهم على الجهاد ودموتهم إلى الاستبسال في القتال .

• مدح العظماء والقراد الذين كان لهم الفضل في مكافحة الغزاة الصليبيين .

• حث الذين لم يشاركوا في الجهاد على المشاركة ، واغتنام الفرصة وكسب الأجر العظيم في الجهاد .

• التعمود بالآسى والروع لما أصاب المسلمين .

وكان ابن الخطيب (١) من أوائل الشعراء الذين حملوا لواء الدعوة إلى الجهاد وكان يستنهض الحمم لمقاومة الصليبيين ، فحينما بلغه خبر غزو الصليبيين لبلاد المسلمين قال قصيدة طويلة مؤثرة ، حاطب فيها عند الدولة قائد جيوش دمشق وأخذ يحث فيها على الجهاد في سبيل الله ومقاومة المعتدين .

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي الثعلبي ، ولد عام ٤٥٠ هـ بدمشق ، وهو شاعر دمشقي مشهور ، وله ديوان شعرى مطبوع في دمشق بتحقيق خليل مردم ، وهو من كبار شعراء عصره ، وقد انتقل إلى حماة وحلب ثم طرابلس ليندح أسراه للمنطقة ، وتوفي في دمشق في الحادى عشر من شهر رمضان عام ٥١٧ هـ . انظر وفيات الأعيان ، وخريدة القصر ، قصر شعراء الشام ، وشذوات الذهب لابن العماد ، والمبرر للنهبي .

يقول (١) :

فدعك المواصل قبا وجردا      ودم القيسائل شيا ومردا  
وذات لاسيا فك البيض قضا      وذات لارما حك السم مفا  
أنوما على مثل الصفاة      ومردا وقد أصبح الأمر جفا  
وكيف تنامون عن أمين      وترتم فأسرعوهم حفا ؟  
بنو الشرك لا ينكرون الفساد      ولا يعرفون مع الجور قصدا  
ولا يردعون عن القتل نفسا      ولا يتركون من الفلك جهدا  
فكم من فتاة بهم أصبحت      تدق من الخوف نورا وخدا  
غاموا عن دينكم والحريم      هامة من لا يرى الموت قددا  
وسدوا النور بظلم النجور      فن حلق نمر بكم أن يسدا  
فلا بد من حدم أن يقل      ولا بد من ركنهم أن يهدا  
فما يزع اليوم عنه الحديد من رام      أن يلبس العز عرا  
وأيسر ما كادته النفوس      من الأمر ما لم تجد منه بدا  
وقد استولى الإفرنج على بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ واركنوا على هذه  
الأرض المقدسة أفعالا شنيعة ، وجبتلذ تأجيج عواطف المسلمين ، واشتد  
الحزن بهم على اقتطاع قطعة من أرضهم هي أولى القبيلتين ومسرى نبيهم ﷺ  
وأخذ شعورهم بالأمي والحزن يقوى ويشد يوما بعد يوم .

(١) ديوان ابن الخطيب ص ١٨٢ تحقيق خليل مردم ، طبعة المطبعة الهاشمية  
بدمشق ونشر مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٣٧٧ ١٩٥٨ م وانتظر  
كذلك الروضتين ١ / ٥٨ .

وقد عبر الشعراء عن هذا الإحساس ، فقالوا شعرا بقطر بالآسى واللوعة  
ويفيض بالمرّة ، ويدعو إلى الاعتدال على الذرّة وأخذ آثار منهم ولم يردم  
عن المدينة واستردادها (١) .

ومن الشعراء أبو المظفر الأيوبي ، وقد وصف تفرق المسلمين  
واستيلاء الصليبيين القسرة على القدس الشريف عام ١٠٩٣ هـ  
يقول (٢) في أبيات له :

مرجنا دماء بالدموع السواجم	فلم يبق منيا عرصة للراجم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه	إذا الحرب شبت بأرواح الصوامم
فأبها بين الإسلام إن وراءكم	وقائع يلحقن الدنا بالمتاسم
وكيف تنام العين ملـ جفوتها	على هفوات أبقت كل تائم
وأخوانكم بالشام يعض مقلهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
قسومهم الردم الحوان وأنتم	تجرون ذيل الخفض قبل المسالم
وكم من دماء قد أبيح من دمي	توارت حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيضاء حمرة أظفـ	وسجر العوالي داميها بالهائم
وبين الخيل والفرس والعرب وقتة	تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يقب عن غارها	ليسلم يفرح بعدها من نادم

(١) انظر أدب الدول المتناحرة عصفور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ،  
للككتور عمر موسى باشا ص ٢٩٦ طبع دار الفكر الحديث الطبعة الأولى  
عام ١٩٦٧ م . (٢) ديوان الأيوبي ١٠٦ / ٢  
والكامل في التاريخ ١٠ / ٢٨٥ والديانة والنهاية ١٢ / ١٠٦ .

ومنها أيضا قوله :

فليتسحم إذا لم يقدودوا بحبيسة

عن الذين ضنوا غيرة بالفساد  
وإن وعدوا في الأجر إذ حسن الوض

فهل أتوه دغيسة في الفساح  
دمونا كم والمغرب تزو ملحمة

إلينا بأغلاظ النور القشاع  
تراقب فينا غارة عريسة

تطيل غايها الروم غرض الأيام  
فإن أنتم لم تنصروا بعد هذه

وميشا إلى أعدائنا بالبحر  
ومن الملاحظ أن قصيدتي داهن الحياض ، وه الأيرودى ، قد فطمتا في  
بداية الحروب الصليبية وفي وقت كان المسلمون في وضع لا يحسدون عليه ،  
فقد تفرقوا أما وأحرابا ، وانقسم حكمهم واختلطوا فيما بينهم حتى صاروا  
في أمس الحاجة إلى من ينتشلهم من هذا الوضع القاتل ، وبذلك كرمهم بجهاد  
السلف الصالح وكيف جعلوا على عواقبهم الدعوة إلى الجهاد وتوسيع  
صفوف المسلمين .

والحقيقة أن شعراء الجهاد قد أدوا دورهم على أحسن حال ، واستمروا  
بمريضين المسلمين على الجهاد ويستحثونهم عليه حتى تمكنوا أن يبرروا ذلك  
للقدس علم ٥٣ هـ . وكانت لقضائهم آثار واضحة في إذكاء روح الجهاد في

## نقوس المسلمين

وكانت انتصارات المسلمين في المارك الحربية التي يقومون بها مثار قبضة في نقوس الأبطال ، ومصدر بهجة لهم ، وكان يسر الأبطال أن يستمعوا إلى تسجيل أفعالهم ، وإلى التفتي بالوقائع الحربية الناجمة ، وإبراز الصفات لأولئك القواد والأبطال لإذكاء روح الجهاد والتضحية في صدور الجند الذين يذودون عن الإسلام ، ويدافعون عن الديار الإسلامية ، ولتثبيت الأقدام في المارك للتعصبة في سبيل الحفاظ على الأرض وعلى الكيان المهدد بمخاض الصليبيين .

ومن الشعراء الأبطال الذين حثوا على مواصلة الجهاد الملك الصالح طلائع ابن رزيق الوزير المصري (١) ، وأسامة بن منقذ (٢) ، فقد تغنى هؤلاء الشعراء بانتصارات المسلمين ، وأخذوا يستنهضون الهمم في سبيل دفع العدوان

(١) هو الملك الصالح طلائع بن رزيق وزير مصر في زمن الفاطميين ، وقد استمر في وزارته حتى قتل سنة ٥٥٦ هـ وله ديوان شعر ، انظر وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان ، تحقيق الدكتور / إحسان عباس : طبعة مطبعة الغرب في بيروت بدون تاريخ ٢ / ٥٢٦ هـ .

(٢) أسامة بن منقذ ٤٨٨ - ٥٨٤ هـ هو أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ بن منقذ الفارس الشجاع ، والشاعر والمؤلف الشهير . ولد بشيراز ، قرب حماء بسوريا ، عام ٤٨٨ هـ لأسرة عريقة ، وتربى على الصباغة والعلم ، وتبع في الحرب فكان من القادة النظام ، وله شعر يعسد مجلا حافلا بالبطولات ، وقد شارك بضمه كشارك بسيفه في مقاومة الصليبيين =

الصليبي ، كما تنقش كل منها بما كان له من دور في سبيل صد المعتدين الغزاة .  
ومن أدوع ما كتبه طلائع بن دؤيب مقننهم فيه بما أحرزته بيته من  
انتصارات على جيوش الفرنج ، وقد أرسل طلائع بشعره هذا إلى أسامة بن  
منقذ لكي يطلع نور الدين عليه ، رغبة منه في أن يتفق نور الدين معه في  
الجهاد على العدو من الشمال والجنوب حتى يتم حصار العدو بينهما .  
يقول طلائع (١) :

ألا هكذا في الله تحصى المزامم      وتغنى لدى الحرب السيوف الصوارم  
وتستزل الأعداء من طور عزهم      وليس سوى سمر الزماح سلام

وله ديوان شعري ضخم حقه المكتوب / أحمد أحمد بدوي وعائد عبد الحميد  
وقد خلف في التأليف ثروة علمية ضخمة . وهو يمثل المذهب القديم في  
الشعر ، وكان القائد صلاح الدين الأيوبي يحب أن يقرأ كثيرا في ديوانه  
وقد مدحه بالبيان والشعر والفروسيه الشاعر طلائع بن دؤيب فقال :  
ولك الزفة الملبسا في الأمرين مذ كنت تشب الحروب  
أنت فيها الفجاء مالك في العلمين ولا الضراب يوما ضربت  
وإذا ما قرعت فالشعر الملقق فيما تقسوله والخطيب

• الروضتين ١ / ١١٨ مصر ١٢٨٨ هـ ، وقد توفى أسامة في دمشق عام ٥٨٤ هـ  
• انظر ترجمة أسامة في وفيات الأعيان ، الجزء الأول ، وانظرها أيضا  
في معجم الأدباء .

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، الدكتور /  
أحمد بدوي ص ٥٠١ ، ٥٠٠ .

وتغزى جيوش الكفر في عقر دارها  
ويؤذي الكرام التآذون بئذهم  
تقدنا سير الجيش في صفر ، فـ  
بمناه من مصر إلى الشام فأطدا  
وتابعك من أرض الجفار إذا التقى (١)  
وصارت هيون الماء كالعين عزة  
فما هاله بعد الدمار ، ولا تقي  
ويقول في القصيدة نفسها :  
خيول إذا ما طرقت مصر تزيني  
جيوش أفدائها اعتزاما ونعدة  
إذا ما أثاروا النفع فالتفر عابس  
ولما وطوا أرض الشام محالفت  
وواجههم جيش الفرنج بمحمة  
فلقوم ذوق الاستة ، وانطوا  
يشبههم من لاح جمعهم له  
وحسبك أن لم يبق في القوم فارس  
وعادوا إلى سل السيوف فقطعت  
وتسرى لم آراؤنا وجيوشنا  
نقتلهم بالراى طودوا ، وغارة

ويوطأ حياها ، والأخوف رواغم  
وإن بذلت فيه النفوس الكرام  
معنى نصفه ، حتى انتهى ، وهو ظم  
مفاز ، وخد العيس فين دائم  
بجتيه مشبوب من القيقظ جاعم  
إذا ما أناها المسكر المزاحم  
عزيتته جهده الظلم والساجم

هدا قلبا النصر المبين ملازم  
فطاعتنا منهم ، ومننا العزائم  
وإن جردوا الأسياق فالتفر باسم  
فأضحت جميعا عربيا والأعاجم  
تهون هل الشجعان منا المبرائم  
عليهم ، فلم ينتجم من الكفار ناجم  
بلجة بمصر موجهها متلاطم  
من الجيش إلا وهو الرخ حاطم  
رؤوس ، وحزت للفرنج غلاصم  
بداعية تبيض منها المقادام  
تدوسهم منا المذاكي الصلادم

(١) الجفار : أرض بين مصر وقلاطين .

وما المازم المحمود إلا الذي يرى مع العزم في أحواله وهو حازم  
وقد غرق الكفار منه بقطرة صحاب انتقام عندنا مزاكم  
فكيف إذا سالت عليهم سيولنا وجاشت لنا تلك البحار المضارم  
وما نحن بالإسلام لثرك حازم ولكتفتنا الإيمان للكفر حازم  
وما كتبه الشاعر أسامة بن منقذ بفخر فيه بمارك التي عانتها ضد  
الصلبيين ، ويتباهى بشجاعته في ميدان القتال قوله (١) :

سل في كفة الوش في كل معترك

يضيق بالنفس فيه صدر ذي الباس

ينبشوك بأني في مضايقتها

تبت ، إذا الحق من الضامق الرامى

أخوضها كشهاب القذف يصحى

عصب كعوق سرى ، أو ضوء مقياس

إذا ضربت به قسرا أنازله

أوجاه عن عائد بنشاه أو آسى

وهكذا كان الصراع الطويل الذي قام بين الصليبيين والمسلمين عاملاً قوياً

في اتساع آفاق هذا الشعر وفي تمدد مناحيه ، حتى جاء غنيا بالمعاني الحربية ،

ومعها أصدق تصوير من الأمارك والقائم التي شهدها النصر ، وإن كان قد جاء

في بعض الأحيان مزوجاً بأغراض شعرية أخرى ، حتى صارت جبل القصائد

مزوجة بالمدح والفخر والثناء .

(١) لبابة الآداب ، لأسامة بن منقذ ص ١٩٥ مطبعة مصر ١٩٣٠ م .



قائلة إذن بين شعر الجهاد وبين الأحداث السياسية في هذا العصر صلة قوية ووثيقة بل إنها متلازمان ، لأن شعر الدعوة شعر يدور حول وصف أحداث العصر ، ويعبر عن الصراع وما يدور فيه من أحداث ووقائع (١) . وأكبر الظن أن هذا الصراع كان من أقوى العوامل في نهضة الشعر في عصر الحروب الصليبية بصفة عامة ، وكان أشد هذه العوامل قوة في نهضة شعر الدعوة إلى الجهاد بصفة خاصة ، فهو ينبوع ثراه ، ولو لم يكن الصراع لما كان ذلك الضرب من الشعر ١١ وهذا كله يجعلنا نقول إن شعر الدعوة إلى الجهاد الذي أفرزه عصر الحروب الصليبية يتأثر بأهـ و ليد موافق وعصارات حقيقية وقعت بالفعل . وفوق ذلك فهؤلاء الشعراء الذين تنفوا بهذا الشعر كثيراً ما كابدوا الحروب وعانوا شدائدها ، فلم يقولوا الشعر وهم بعيدون عن الحرب ، ولم يجنوا وقائمهـ دون أن يكون لهم عـسـد بها كما كان يفعل معظم شعراء الأمم الأخرى . والشعراء كانوا مدفوعين لهذا الضرب من الشعر بدافع من الروح الإسلامية ، فهم يدافعون عن الإسلام ، ويبنون في الدين للثقل الأمل والغاية السامية . يضاف إلى ذلك أن شعر الجهاد في أغلب أحواله كان يخاطب الشاعر والوجدان ، الأمر الذي يجعلنا نقول إن شعر شعراء العصر قد خرج نتيجة لهذا تعبيراً عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، ولهذا فن السهل على من يقرأ أشعارهم أن يتبين منها قوة مشاعرهم الدينيـة ، وأن يرى في (١) انظر البهـة السياسية للمصرية في عصر المماليك وأزها في الشعر ، الدكتور محمود رزق سليم ، مذكرات غير مطبوعة ، ، وانظر كذلك صلاح الدين بين شعراء عصره و كتابه الدكتور أحمد أحمد بدوي .

بمجموع شعرهم صورة جند المسلمين المثالية وما تميزوا به من طول جهاد وصبر .

ثانياً : تصوير المعارك الحربية :

لا شك أن عصر الحروب الصليبية عصر يتطوى على أحداث كثيرة وخطوب جسيمة ، فليس في حياة المسلمين في هذا العصر ساعة تخلو من خطورة أو من تعطيل وحروب ، ولا شك أن هذه الحياة الخطيرة الرهيبة ليست سهلة ولا ميسورة .

ومن أغراض شعر الجهاد وموضوعاته الهامة ما أبدعه شعراء العصر من شعر يصفون فيه للمعارك التي عاشها المسلمون ضد الغزاة الصليبيين . فقد وصفوا صوراً شعرية نابضة بالحركة والحياة للمعارك الفاصلة ، وتحدثوا كذلك عن مختلف مشاهد القتال ، وبعض الأدوات التي تستعمل فيها ، كما وصفوا سقوط حصون الصليبيين ، وأدوات الحصار ، وتطاحن الجيوش ، ووصفوا كذلك الخطط البحرية ، ووسائل الدفاع والهجوم ، والأسرى ، وما إلى ذلك ، كما وصفوا مدى ما وصل إليه حال المسلمين من يؤس وتدهور في بداية الحروب الصليبية .

ونحن نجد هذا التصوير واضحاً بصفة خاصة في المعارك الكبرى كحركة حطين ، ومعركة فتح بيت المقدس ، وحصار عكا ، وأسرى لوليس التاسع في دمياط ، وهو واضح أشد ما يكون الرضوخ في شعر ابن القيسراني (١) وفي شعر الشاعر الفارس أسامة بن منقذ ، وفي شعر الملك الصالح صلاح الدين يوسف بن أيوب .

( ١ ) ابن القيسراني ، ٤٧٨ - ٥٤٨ هـ . هو أبو عبد الله شرف الدين محمد بن =

وربما أن الملك الصالح علاء الدين نور الدين كان يكتب القصيدة ويرسلها إلى أسامة بن منقذ في الشام ، وكان أسامة يرد عليه بقصيدة أخرى تشترك مع قصيدته في الوزن والقافية ، ويأخذ يصف فيها بعض معارك المسلمين التي انتصروا فيها بقيادة نور الدين زنكي .

ومن هذه القصائد قصيدة يصف فيها جهاد نور الدين ، ويعدد معارك التي شارك فيها ضد الصليبيين ، وقد نظمها ردا على قصيدة علاء الدين نور الدين طلب منه فيها حث نور الدين على مواصلة الجهاد ، والاستمرار في استرداد بلاد المسلمين من أيدي الغزاة الصليبيين (١) .

ومطلع هذه القصيدة :

أبي الله إلا أن يدين لنساء الدهر . . . لتحيا بنا الدنيا ويقتصر العصر

== نصر الخزومي المعروف بابن التيسري . ولد في عكا بفلسطين عام ٤٧٨ هـ وانتقل إلى دمشق ، وقد تلمذ في الشعر على ابن الخطيب ، وأخذ ينتقل في الشام والعراق يمدح الخلفاء والأمراء والقادة . وقد اتصل بنور الدين محمود وأعجب ببطلانه وببلائه في الحروب الصليبية ، وقد مدحه وصور أحداث عصره في شعره ، وشعره سجل حافل بأحداث الحروب الصليبية وقد توفي بدمشق عام ٥٤٨ هـ ، انظر ترجمته وشعره في : وفيات الأعيان ومعجم الأدباء ، والروايتين .

(١) انظر القصيدة في ديوان أسامة بن منقذ ، تحقيق الدكتور / أحمد أحمد بدوي ، وحامد عبد الحيد ص ٢٠١ طبع المطبعة الأميرية بصرى ، ونشر وزارة المعارف العمومية بصرى عام ١٩٥٣ م .

وقد صور الشاعر أسامة بن منفذ (١) في هذه القصيدة جيش المسلمين بأنه هو المنتصر دائماً ، وأنه يسير إلى أعدائه وهو مظالم الطيور الجارحة التي تبحث عن قوتها وغنائمها التي تجدها دائماً في جيش الأعداء ، وما ذلك إلا ومن المنتصر الدائم الذي يلازم جيش المسلمين .

وبأخذ يصف الجيش بعدة أوصاف أخرى كلها تدل على القوة والبأس ، ثم يذكر أن المسلمين بلغوا في جهادهم درجة جمالتهم يرون الخلود في الموت ومن ثم فهم يتطلعون إلى هذا من كل قلوبهم ، يقول :

نسير إلى الأعداء والطير فوقنا لها القوت من أعدائنا ولنا النصر  
قباس يذيب الصخر من حر ناره ولطف له بالماء ينجس الصخر  
وجيش إذا لاقى العدو غلبتهم أسود الثرى عنيت له الأدم والغفر  
ترى كل شهم في الوضى مثل سهم نفوذاً فما يثنيه خوف ولا كثر

ويقول عن أمر الجوسلين أحد قادة الصليبيين :

ونحن أمرنا الجوسلين ولم يكن ليخشي من الأيام نائمة تمزق  
وكان يظن الثر أنا نبيمه مال وكم ظن به جهلك العر  
فلما استبحنا ملكه وبلاده ولم يبق مال يستباح ولا ثغر  
كلناه نبتى الأجر في فعلنا به وفي مثل ماقد ناله يجرز الأجر

ويذكر العديد من الممارك التي انتصر فيها المسلمون فيقول :

فتحنا الرها حين استباح عدائنا ساجداً وسنى ملكها لهم الخقر (٢)

(١) انظر أسامة بن منفذ ، المذكور في أحد كتابي ، سلسلة أعلام العرب  
٧٩٠ ، دار الكتاب العربي ، مصر ١٩٦٨ م ، ٢ : الحقر : القدر والحياة

ونحن فتحتنا تل بالشر بمسدها وقد عجزت عنه الا كسرة الفر  
وتل عـ زاذ صيته جيوشنا قلم نعه عنا الرجال ولا الجدر  
وفي عام ٥٤٤ هـ هاجم نور الدين زانكي حصن حارم وينسكن من استرداه  
وقد أظهر نور الدين في هذه الموقعة قوة وسالة نادوتين ، إذ قضى على عدد  
كبير من الصليبيين .

ويذكر ابن القيسرائي نور الدين زانكي في قصيدة تذكرنا بقصيدة أبي تمام  
في مدح المنتصم عندما فتح عمورية والتي مطلعها (١) :  
السيف أصبغ أنباء من الكتب هـ في حده الحد بين الجد واللعب  
يقول ابن القيسرائي يصف انتصارات نور الدين ، وكيف كان جهاده ضد  
الصليبيين (٢) :

هذى المراثم لما تدعى القضب	وذي المكارم لما قاله الكتب
وهذه الهمم اللاني متى خطبت	تعتز خلفها الأشعار والخطب
صالح يا ابن عماد الدين ذروتها	يراحسة الساعى دونها تمب
ثم يقول بعد ذلك :	
غضبتي للدين حتى لم يفتك رضى	وكان دين الهدى مرصاته الغضب
ملوت أوحش الأعدى من دماهم	ملهاوة كل سيف عندها جنب
حتى استطار شرار الزند قاذحه	فالخرب تضرم والأجال تحتطب
والخيل من تحت قلاعها تفر لها	قوائم عاتين الركن والخب

(١) ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي ، تحقيق محمد عزام ١/٤٥ مطبعة بيروت  
(٢) انظر القصيدة في الروضتين ١/ ٥٨ .

والفتح فوق حيقال البيض متعقد  
والنيل كالويل عطال وايس له  
عائرا غائرا وراح الطمن ابدجهم  
كذلك من لم يوق الله مبعثه  
فانقض الى المسجد الأقصى بذي الجب  
والذن لوجك في تطهير ساحله  
وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس  
نظرة الثمراء هذا الفتح . يقول الشاعر أبو علي الحسن بن علي الجويني حين  
تم هذا الفتح للبين على يد البطل صلاح الدين (١) :

جند السماء لهذا الملك أعوان  
من شك فهم لهذا الفتح رعيان  
متى رأى الناس ما تصبكه من زعم  
وقد مضت قبل أزمان وأزمان  
هذى الفتوح فتوح الأنبياء وما  
لها سوى الشكر بالإقبال أمان  
تسمون عاما بلاد الله تصرخ والإله  
لام أنصاره صم ومهملات  
فالآن لب صلاح الدين دعوتهم  
بأمر من هم للبعوان معونات  
فتناصر ادخرت هذى الفتوح وما  
سمت لها هم الإيلاك مذ كانوا  
جاء ذو العرش بالنصر العزيز فقا  
ل الناس داود هذا أم سليمان؟  
في نصف شهر غدا للشرك مصيلا  
قطرت منه أنهار وبلديات  
لو أن ذا الفتح في عهد النبي لقد  
نزلت فيه آياته وقوآن

ويعد معركة المنصورة الثانية التي انتهت بفوز المسلمين عام ٦٤١ هـ وحرية الصليبيين هزيمة منكرة ، وما تبع ذلك من أسر ملكهم وأمراته في المنصورة . بعد هذه المعركة قويت شوكة المسلمين ، وأحسن فريقهم بالأس والقوة ، فأخذوا يعتمدون بهذه القوة ويظهرون بها . ولعل هذا الشعور بالقوة هو الذي أوحى لشعراء المسلمين أن يمددوا ويتوسعوا ، ويروا أن ذلك هو الوسيلة المثلى لتدعيم قوى الصليبيين الممنوعة .

فهذا هو الشاعر ابن مطروح (١) يمدد ويتوسع ، ويمثل تهديده للصليبيين بالشرية والتهكم وبخاصة حين نحا إلى علم المسلمين أن ملك فرنسا يتأهب لغزو مصر بعد هزيمة المنصورة .  
يقول الشاعر (٢) :

قل للفرنسيس إذا جئتسه مقال صدق من قول فصيح

- (١) ابن مطروح هو جمال الدين بن مطروح ، ولد بأسبوط عام ٥٩٣ هـ والتحق في صباه بصديقه الشاعر البهاء زهير ، ومع ذلك فشعره يختلف عن شعر البهاء زهير في موضوعاته وفي شكله ، وقد ضمنها بلاط أمير مدينة قوص ابن الدغلي ، والحقيقة أن ابن مطروح قد ظهر نجمه في ميدان السياسة عنه في ميدان الأدب ، النجوم الزاهرة ٧/٢٧ ، وكانت له علاقة قوية بالأمير عمر الدين يوسف ، وقد دخل معه دمشق عام ٦٤٥ هـ بعد قتال الصليبيين . وتوفي ابن مطروح قبل في آخر عام ٦٤٩ هـ أو عام ٦٥٠ هـ .
- (٢) دجوان ابن مطروح ص ١٨١ طبعة القسطنطينية عام ١٢٩٨ هـ .

أجسرك الله على ما دعى من قتل عباد يسوع المسيح  
قد جشع مصر تبتغى أخذها فساقت الحسين إل آدم  
رحمت ، وأصحابك أودعهم نحسوا ألفا لا يرى منهم  
فـردك الله إلى مثلها إن كان بابكم بهذا وأخيرا  
فانقذوه كاهنا إله أنصح من شئ لكم أو سطيع  
وقل لهم إن أخرجوا عبودة لأخذ ثار ، أو لقصد صحيح :  
دار ابن لقمان على عهدنا والقيداني ، والطواشي صحيح (١)

ويقول الشهاب محمد الحلي قصيدة بمناسبة استيلاء الأندلس خليل بن  
قلاوون على مدينة عكا وآخر ما كان بأيدي الصليبيين ، وإلقائه بهم في البحر  
ما ١٩٩٢ هـ . . . وقد كان هذا الحدث يعني نهاية الصليبيين في البلاد الإسلامية .  
يقول الشهاب (٢) :

الحمد لله زالت دولة الصليب وعز بالترك دين النبي العربي  
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها في البحر للشرك عند الله من أرب

(١) الطواشي : خادم كان يقوم على خدمة الملك الأسير .

(٢) الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي : الدكتور محمد بن علي المبرق  
ص ٩٤ ، ٩٥ ، النادي الأدبي بالرياض ، و كتاب الشهر العبدد ١٩٥٠ هـ  
مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .



لم يبق بعدما للكفر إذ خربت في البر والبحر ما ينجر سوى الحرب  
يا يوم عكا لقد أنشئت ما سبقت به الفتوح وما قد خط في الكتب  
أفغضيت عباد عيسى إذ أبدتهم قد أوى ومنى في ذلك التعذب  
وأشرف الصلطي الهادي البشير على ما أسلف الأشراف الساطن من قرب  
ما بدد عكا وقد لانت هزيمتها لديك شيء تلاقه عسل تمب  
ومكثنا نلاحظ أن شعراء المسلمين لم يفتنهم أن يصفوا للمشارك الإسلامية  
التاجمة التي عاصها الجنود المسلمون ضد التزاة الصليبيين . وقد صور الشعراء  
تلك الممارك تصويرا رائعا ، كما شمل وصفهم لها وصف ما عليه جيش المسلمين  
من قوة وصلابة ، الأمر الذي يؤكد أن شعر الجهاد كان يواكب حركة  
الفتوحات الإسلامية ، وأنه لم يغفل عنها قط ، وأن الشعراء سجلوا مشاهداتهم  
وكان كل منهم حريصا على أن يغلد انتصارات المسلمين (١) .

وأغلب الظن أن الشعراء كانوا مصوتين لهذا القرن من الشعر بدافع من  
الروح الإسلامية ، وكان الصراع المحتدم بين المسلمين من جانب والإفرنج من  
جانب آخر أثره البالغ في اتساع آفاق هذا الشعر ، وفي تمدد مناحيه ، حتى  
جاء غنيا بالمعاني الحربية ، ومعبرا أصدق تعبير عن الوقائع التي شهدها العصر  
وإن كان قد جاد في بعض الأحيان بمزجها بأغراض شعرية أخرى ، بيد أن  
مدار القصيدة كان حصول وصف الممارك سواء أكان مدار القول هو قائد  
المعركة ، أم كانت حول الجنود وآلاتهم القتالية وما إلى ذلك .

(١) انظر أيام صلاح الدين ، للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ، طبعة المجلس  
الأعلى للشئون الإسلامية .

فكلما نشبت معركة أو حدث صراع سياسي لأمر ما نجد الشعر يصف تلك المعركة ، وينسب عن هذا الصراع وما يدور فيه من أحداث ووقائع . . وهذا كله يجعلنا نقول إن شعر الممارك في عصر الحروب الصليبية يتنازع من مثله عند غيرهم ، فهو وليس صراعات ومواقف حقيقية وقعت بالفعل ، ويمكن أن يضاهي إلى ذلك أن بعض الشعراء الذين تفتوا بهذا الشعر كثيراً ما كانوا الحروب وعانوا شداً منها ، فلم يقرئوا الشعر وهم بعيدون عن الحرب ، ولم يسجلوا وقائعها دون أن يكون لهم عهد بها كما كان يفعل معظم الشعراء في المواقف الأخرى .

ويتصل بتصوير الممارك وصف ما يتصل بالحرب وآلات القتال ، وبممكننا الرجوع إلى شعر العصر الصليبي إذا ما أردنا أن نذكر في الأدوات المستخدمة في الحروب آنذاك ، وما كان في هذه الحروب من أسباب القتل والتدمير ، وما كانت تلجأ إليه المدن من وسائل التحصين والدفاع عن النفس وما إلى ذلك .

وينبغي أن نقول إن شعراء العصر الصليبي لم يجهلوا بأوصاف السلاح وآلات الحرب ، ولم يجهلوا وصف هذه الآلات ، ولم يهكثوا من المنايا بتصويرها وتصورها لدرجة تجعلهم يلبون بأشكالها ودقاتها كما كان قبل . إذ المعروف أن الشعراء في العصر الجاهلي ، وكذلك في العصرين الأموي والعباسي ، كانوا يكثرون من تصوير آلات الحرب كثرة جعلتهم يلبون بدقاتها وأشكالها ، ويستلطفون تشابيه في ذلك .

والحق أن ما قاله الشعراء في وصف آلات الحرب وعدة القتال في هذه

المصور بعد ثرائنا أدبيا يشغل الحياة الأدبية ، وكان كثير من شعراء المعمرين الأموي والعباسي يشتمل بنشأته السابقين في القتال والنزال ، ووصف آلات الحرب ، كما تشابهوا معهم في المعاني . وأى شعر في الحرب وأدوات القتال أشد قبدا ، وأمد أنرا من شعر الجاهليين ؟ ففصاحم فيه تتنازع بدقة التصوير وبراعة الوصف ، ومناة الديباجة .

ومما جاء في وصف الأسطول قول المذهب بن الزبير (١) :

وكان بحر الروم خلق و... وطفت عليه منابت المرجان  
ولقد أتى الأسطول حين غرا بما... لم يأت في حين من الأحيان

(١) أبو علي الحسن بن علي بن الزبير النخعي ، الأسواني الأصل ، الملقب بالقاضي المذهب . من الشعراء المشهورين ، جاء إلى القاهرة هو وأخوه أحمد بن علي القاضي الرشيد ، فزعم هو الصالح بن رزيق الوزير القاطن واختص به ، وقربه الصالح منه ، وأغدق عليه من ماله ، وقد أيدع المذهب في مدح الصالح ، ووصف موافقه مع الصليبيين بالنشام وعلى الحدود المصرية الشرقية . وكان من كثرة ملازمة المذهب لابن رزيق ينهم بأنه يصنع للوزير شعراء ، وإن كان المذهب ينسب على شعر الوزير ويصفه بالبلغة . واشتهر شعره بالإعجاز والجودة ، وكان كاتباً أيضاً ، مليح الخط جيد العبارة ، وله كتاب في الألقاب في عشرين مجلداً قال عنه ياقوت : « وهو غاية في معناه لا مزيد عليه » . إرشاد الأريب للمسرفة الأدبية ١٥٨ / ٣ طبعة الدكتور فريد الزقاني ، سافر من مصر إلى اليمن ، وتوفي عام ٥٦١ هـ .

أحبب إلي بها شواني أصبحت من فتكها ولها العداة شواني  
شربت بالفرقان في الوانها وفعلن فعل كوابر العقيان  
أوقرتما عدد القتال فقد غدت فيها القنا عوصا من الأشطان  
فأنتك موقرة بسبي بنيسه أسرام مغفولة الإذقان  
حرب عوان حكمتك من العدا في كل بكر عندهم وعوان (١)  
ويصف القاضي الفاضل أسياف صلاح الدين فيقول (٢) :

ماضيات على الدوام : دواي هي القصر : نجسدة الإسلام  
في بين السلطان : إن جردتها أشبهتها صدواعق في غمام  
تشر الهام كالخروف : فما أش به هندي السيوف بالأفلام  
في محارب حربه البيض صلت وركوع القلبيا بجود الهام  
والحقيقة أن الصراة قد أكثروا من وصف الجيوش وصفاً يرينا صليل  
السيوف . والفتاب نيران المعركة . وقسوة القلاء بين المسلمين والكفار .  
ومن ذلك قول ابن الساعاتي (٣) :

- (١) بحريدة القصر وجريدة أهل المعصر ، قسم شعراء تغزل ، بتحقيق أحمد أمين وزميليه ص ١١٠ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢ م .
- (٢) - الروحتين . مطبعة وادي النيل ١٢١ / ٢ .
- (٣) أبو الحسن علي بن رستم بن هردوز . أصله من خراسان . وولد في دمشق وجأ فقاً ، ونزل فيها على يد جماعة من علمائها في القرن السادس ، كما قرأ كثيراً من دواوين شعراء العرب القدماء جاهليين وعباسيين . واستوعب كثيراً من قصائدهم حفظاً . وقد غادر دمشق إلى مصر عام ٨٨٥ هـ =

فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه رجال كأساد الثرى وهم ترتجف  
وجرداء سايوب ودوخ مضاعف وأبيض هندي ، ولندن مثقف  
وما رجعت أعلامك الصفر ساعة إلى أن غدت أكبادها السود ترتجف  
والواقع أن التضائيد التي نظمها شعراء العصر في وصف المعارك الحربية  
لا تعتبر في مجموعها مثلاً أعلى في شعر الحرب ، لأن الشعراء لم يشغلوا أنفسهم  
من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت فيها بصميم المعارك ، ولكنهم خرجوا  
فيها عن جادة الموضوح من قريب أو بعيد ، لحاولوا أن يفخروا أو أن يهجووا  
الأمم التي يميلون إلى أن يسمروا في الحرب بقصر عن شعر المتنبي فيها ،  
لضعف مستواهم عن مستوى المتنبي في هذا الفن الذي تخصص فيه وبلغ فيه

== حيث قضى بقية عمره ، وعاش في مصر مع جماعة من الشعراء والأدباء  
المذكورين في ذلك العصر ، وكان ابن الساعاتي في أول حياته - أخطأ  
متقافاً ، كثير التبريم والجدوم على حساده والكاذبين له من الأعداء ،  
ولعل ذلك يرجع إلى أن حياته في دمشق كانت حياة ينقلب عليها أموز  
وشكوى الحاجة . أما حين سافر إلى مصر فإن الحال قد انقلب به ، إذ  
تيسرت له سبل العيش ، وصار له بعض الثراء والفقر مما جعله يرضى  
ويصكف عن الشكوى . قال عنه ابن خلكان : « شاعر مبرز في حلبة  
المتأخرين ، له ديوان شعر أجاد فيه كل الإجابة ، ووفيات الأعيان  
٣ / ٧٣ طبعة بحري الدين ، مصر ١٩٥٢ م ، والآيات المذكورة له  
في الروضتين ٢ / ١٢ مطبعة وادي النيل .

حدود النوبة (١) فهو - أي المتنبي - أستاذ هذا الفن من الشعر الحسوبي ومبتدعه ، وقصائده في الحرب على دوية رفيعة في التصوير من حيث الدقة والبراعة ، وإظهار الفنانين من المشاعر التي يدق وصفها ويدنو تناولها على كثير من الشعراء السابقين .

فالمثني ينقل المعركة قتلا حيا بكل ما فيها من عنف وشدة ، وتقتيل ودما وفروكر ، وانتصارات وهزائم ، وغير هذا وذلك مما يجعل المعركة محض نظر القارئ . حتى يظن نفسه مشتركا فيها أو على الأقل مشاهدا لها .

وربما أن هذا يعني هو الذي كان وراء فرط إعجاب ابن الأثير بحريات المتنبي حين قال عنه : « إنه إذا غاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من فصالها ، وأنجم من أبطالها ، وقامت أقراله للسامع مقام أبطالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا » (٢) .

وأيا ما كان الأمر فشعراء العصر الصليبي معذرون كل العذر ، فستوام الفتي لا يتلام مع ذلك الفن العنيف ، وأغلب الظن أنهم ساروا في هذا الطريق بدافع من الروح الإسلامية ، ويبدو أن تعصبهم للعقيدة الإسلامية جعلهم لا يتركون المعارك الإسلامية التي خاضها المسلمون ضد الغزاة الصليبيين ، ويبدو كذلك أن انتصار قادة المسلمين في هذه الحروب كان مثار غبطة في نفوسهم ، فحاولوا الإشادة بجهود هؤلاء الأبطال والانتباه لانتصاراتهم .

(١) انظر موضوع « شعر الحرب » من كتاب « فنون الشعر في مجتمع الجنان » تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ص ٣٠٢ طبعة مصر عام ١٣١٢ هـ .

وليس ينبغي أن الحرب في هذا العصر كانت مجالا بين المسلمين والصليبيين إلى أن تم انتصر للمسلمين ، وليس ينبغي كذلك أن قادة المسلمين وأمرامهم في هذه الفترة من الزمان كانت لهم أدوية في الشجاعة ، ومهارة في الحسرة وب براعة في السكر والشر ، وقد عشقوا الحرب وهاموا بها ، وقد عاشوا جميعا بقرون الجيوش ، ويخوضون المعارك ، ويتحيفون الصليبيين في كل مكان . فإذا كانت هذه طبيعتهم من حب الحرب وعشق للشجاعة وفناء في المعارك وذلك بالاحاطة - كما سبق أن قلنا - إلى ما عرف عنهم من الإكرام للشعراء ، أدركنا أنه من الطبيعي أن يصف الشعراء معاركهم ، فإذا ما انتصر القائد المسلم وصف الشعراء للواقع التي انتصر فيها ، كما وصفوا انتقام الجيوش واقتحام الصفوف ، وتخريب المدن (١) وإذا ما انهزم القائد حاول الشعراء من جانبهم أن يخففوا من وطأة الهزيمة ، وأن يتطهروا له الاعتذار .

ومثل القول في هذا الباب أن الشعراء قد داروا فيه على موال من سبقوهم من الشعراء غير أنهم لم يكتفوا في هذا الفن لكثرة المتن ، ولم يعملوه فنا مستقلا إلا في النادر ، وإنما خلطوه بأشعارهم في الفخر ، وهم وإن كانوا قد شاركوا في هذا الفن إلا أنهم لم يرتفعوا إلى مصاف كل من أبي العليبي المتنبي وأبي فراس الحمداني ، على أن ذلك لا يمنعنا من أن نقول إن الشعر العربي قد أضيف إليه بقصائده هؤلاء جميعا قصائد حربية وصفية الحسرة وب وأدواتها ومراقبها ، وهذه القصائد وإن جبطت في مستراحها عن أعوانها من شعر المتنبي

(١) راجع مقدمات المدون الصليبي ، للبركتوز / عمر كيل توفيق ص ١٦٦ وما بعدها ، الاسكندرية ١٩٦٦ م

وغیره من الشعراء الفرسان، إلا أنها وبما أتت مجيد في جملة الصور والأهداف والأفكار.

#### ثالثاً : مدح أبطال الحروب الصليبية :

وهذا عرض آخر يتصل بشعر الجهاد ، وقد أيدع فيه شعراء العصر وليس من شك في أنه قد دارت معارك عنيفة بين القواد الصليبيين وبين القواد المسلمين ، وكان انتصار قادة المسلمين في الحروب والمعارك مشارقة في تفرسهم . ومن الأشياء التي كانت تفرح هؤلاء الأبطال أن يستمعوا إلى تسجيل أفعالهم وإلى التثني بهذه الأفعال .

وإشباعاً لهذه الرغبة في نفوسهم تخدمهم يظفرون من المدح بأوفى نصيب وقد تجمع حولهم عدد كبير من الشعراء ، وأخذ هؤلاء الشعراء يشيدون بجمود هؤلاء الأبطال وجهادهم ، كما يخلدون في القصائد مآثرهم ، ويحسون انتصاراتهم ، ويهيجون طرباً بما يذيعون من أنباء نصرهم ، ويحملون بشرى فخرهم إلى أبناء الشعب . ولم لا ؟ هؤلاء الأبطال كانوا الفرع كفة حاكبيها ، واستقروا بما بأيديهم من أراضى مغتربة ، فلا بد وأن يظفروا من المدح بأوفى نصيب ، وأن يشيد الشعراء ببطولاتهم وقوتهم وسلطانهم ، وأن يفرقوا في الثناء عليهم ، وبرزوا سمة الشجاعة والأقدام من بين صفاتهم حتى صار مثلاً الحديث عن الشجاعة والتفان في وصفاً عنصراً من عناصر المدح .

وفي هذا العرض نتجيد للبطولة والأبطال ، وتخليد للشهيد من القادة وبيان لما يتحسون به من صفات . وقد كثر هذا الشعر كثرة تلفظاً نظراً في هذا العصر ، يضاهي إلى ذلك أن هذا الشعر يمتاز بأنه مدح صادق ، إذ لم يكن



الدافع إليه في الثأب طلب المال والمطاء ، وإنما الإيجاب بالبطولة والشجاعة فهو مدح يهدف إلى إزراء المدح في صورة الدافع عن ممتلكات المسلمين ، الساعى إلى استرداد بلادهم .

والمنتفع هنا الشعر بعد أن الشعراء لم يعتبروا بشعرهم سبيل من حارب الإفرنج من القادة والأبطال ، كعبير كان أم صغيرا ، نجح في معركة أم أخفق فيها ، قائدا في البحر أو في البر ، فقد أقدم الشعراء على مدح كل أولئك في أعقاب كل معركة غزوتوها وبتصرون فيها ، وأخذوا يحيطونهم بجملة من التمجيد والإكبار والإجلال ، وكانوا يدعون : هؤلاء الأفراد في أعقاب المعارك التي لم يبرزوا فيها انتصارات ، وكانوا يقدمون انتصارات منهم وما ذلك إلا لكي يقرروا عزائمهم للاستمرار في الجهاد

أما أبطال الفتوح الذين نالوا اهتمام الشعراء ، وحظوا بتخليد أشعارهم لأعمالهم الجليلة ، فأهمهم عماد الدين زنكي ، وابنه نور الدين محمود ، ومظفر بيمرس ، والأشرف خليل بن قلاوون ، ولعل البطل الذي كان أوقاهم نصيبا من ذلك ، ونال في هذا المجال ما لم ينله غيره إنما هو صلاح الدين الأيوبي (١) فقد تبارى الشعراء في مدحه ، وفي بيان شجاعته وما له من أعجاد ، وكيف كان سميته المذوب في سيول الإسلام . ولم لا وقد يسر الله له فتح بيت المقدس واستطاع أن يضعف شوكة الصليبيين ، وأن يهد أن جاء بعده الطريق لعارد الصليبيين طردا لا عودة بعده .

(١) انظر صلاح الدين بين شعراء عصره وكتابه الدكتور أحمد أحمد بدوي .

أما الصفات التي أطلقها شعراء عل للمندوح فكانت تتماق باليهب اد وما يتطلبه من صفات البطولة والشجاعة والتضحية والفنل والمطاء والسياسة وغير ذلك من الأمور التي كان لها أثر على حياة المسلمين وجهادهم . وكان الشعراء يرقبون عن حركات أحداث الحروب الصليبية وأحوال رجالها فيحيطونهم بأجود ما يمكن من شعر إذا ظفروا وانتصروا ، ويثبثونهم إذا رجعوا منتصرين ، أو إذا خرجوا من شدة ، أو إذا نجحوا في سياسة أو خطة وأمنات صفحات الكتب والدواوين بهذه المعاني وتلك التباهي ومعنى الشعراء منبهجين يذيعون أنباء النصر في أرجاء العالم الإسلامي ويعملون بشري الفتوح إلى الخلفاء والولاة والأمراء ، ليذيع ذلك بين أبناء الشعب فتتقوى للروح المعنوية فيه ، ويشهد من ثم سعادته فيندد بهم إلى المعتدين ، ويحاول أن يقنع عليهم القضاء الأخير . . . والحقيقة أن شعراء حين يعيط هؤلاء الأبطال بحبه إنما يبعد فهم أول ما يبعد تذكيرهم بالجهود لخدمة المسلمين وصيانة الإسلام ، ويعيد بما لأحبالهم من جليل الآثار .

وعماه الذين ذكروا من القراء الذين استطاعوا أن يرحلوا صفاء المسلمين ويريدوا من حماستهم العباد في سبيل الله ، وقد بذل في سبيل ذلك قصارى جهده ، وتحسب من أن يقتصر على الصليبيين في أكثر من موقع واستولى على حصون عديدة كانت تشكل خطورة كبيرة على المسلمين . كما استولى على مدينة الرها ، الأمر الذي جعله بعيد الثقة لصقوف المسلمين .

ولم يقف عماد الدين عند حد مقاومة الصليبيين وليكنه أخذ يسترجع منهم ما مأكوه شراً شراً .

ويذكر المتقدم (١) أنفق - سنة ٣٧٧ هـ - قد حصرت منظمة شيوخ بواسطة الإفرنج وما أن خرج إليهم عماد الدين وأخذ يتردد عليهم حتى انصحبوا خوفاً وطوعاً.

وفي هذا الوقت، يفتح الشاعر ابن قسيم الحوي عماد الدين بقصيدة طويلة وقد ألقب بما له من سمات البطولات والإقدام، كما صوره لنا بطلاً عظيمًا، فلهذا

اليقضي به على الكفر والطغاة.

يقول منها (٢):

يؤمرك أيها الملك العظيم	تذل لك الصواب وتستقيم
ألم تر أن كلب الأوم لما	تبين أنك الملك الزعيم
جاء يطبق القلوات غيبلا	كأن الجمعل الجيبك إليهم
وقد ترك الزمان على وحشاه	فكان تحلبه الخطب الجسيم
غين يعيش بك في خيس	تبقى أن ذلك لا يديم
وأبصر في المفاضة منك جهنما	فاحسرن لا يسر ولا يقيم
كأنك في المجاج شهاب نور	توقد وهو شيطان وجنيم
أراد بقاء مهجته فولى	وليس سوى الخيال له جيم
يؤمك أن تجود بها عليه	وأنت بها وبالذات بكرم
أبلى من الفرج منك عفوا	وأنت يقطع دابرنا زعيم

(١) الروضتين ١/ ٣٢.

(٢) الروضتين ١/ ٣٢٢ والكامل في التاريخ ١/ ٨١ والخريدة وقسم شعراء

الشام ١/ ٤٧٠.

وكم جبرفتها نصيب من المبالغة : يوم فدية يستكمل الجفاح  
ولما أرى جليتهم تسمى السحابة جود سليمهم التتم  
أقام يطوف الأفاق حيناً وأنت عسى بمخاطبة مقيم  
فساد وما يستساقه عليك : وباد وما يستساقه السقيم  
إذا خطر على سؤلك في نفوس : فأول ما يهاونها الجسوم  
فالشاعر يمدح عماد الدين مدحا تقليديا يقترن بالمخاطبة والصفات  
المعروفة ومكانه منحه له من قبلها بفكرة الجهاد والتضال وما كان لعماد الدين  
من دور في تقليص نفوذ الغلبين وفي كسر شوكتهم  
ويمدح ابن منتهى الطراجلين (١) عماد الدين ذلك على ما قام به من فتح حصن  
(١) هو أحمد بن منير القزويني ، ولد وأنشأ بقرابلس الشام ، وتعلم القرآن  
والشعر والفقه ، وحفظ الشعر ، وهو شاعر نزهة للشعر ، عارف  
بالتنوين وأوزان العروض ، وكان والده يظن الانحسار ويشتي في أسواق  
قرابلس ، وهو شاعر قريب في روحه من روح الأبيوزدي ، وقد أخذ  
عن والده صنعة الشعر في ربح فدية ، وقد مثل مذهب الشعراء القدماء في  
القام ، وإن كان يأتي في شعره أحيانا بالوان الديبج ، وأما ما اشتهر به  
ابن منير الحناء ، وهو الطابع الذي يميزه ساعده على التفريق فيه منزهة  
عامة وبلاغته ، أيام مجاهد قد لزم أمراء شيراز حتى استسند للملك  
بوويهي من ملوك كركم صاحب دمشق ، ثم تسلطان نور الدين محمود ، إلى ابن  
القيصري في حلب ، وكانت بينهما مكاتبات وأجوبة ومسابقات ، وظلا  
مقيمين زمانا بحلب ، وهو بقاد أبا تمام في قصائده كثير تألوه جال له

باردين في عام ٥٣٤ هـ وقد تأثر في قصيدته بقصيدة أبي العتاهية التي أوطأ :  
أنته الخلالة متفاداة إليه تجررو أذالها

يقول الطرابلسي (١) :

فدنتك المذرك وأيامها ودام لتفقدك إبرامها  
وذلك العيشك أقدامها وزال ليطفك إقدامها  
أيا هي الدين لها نما ه أيا هي الوايا وأينامها  
ومستفقد الدين من أمة أزال الحاروب أمتامها  
دلفت لها تفنفيك الأسو د واليوش والسمر آجامها  
جزوت جزيرتها بالسيور في حتى تشامها شامها  
وصارت عواوي أكتافها متى شئت أرخص مستامها

وعماه الدين ذلك هو بطل الزما ، وقد سقطت في يده في جمادى الثانية  
عام ٥٣٩ هـ من يد جوسلين الثاني البطل الإنجليزي . وسقط عليها في أيدي  
المسلمين أيدي إمارة من إمارات الإفرنج ، وترجع أهميتها إلى موقعها  
الجغرافي الممتاز ، وقد تلا سقوطها سقوط ما ينضج لها من مدن وقرى ، فهي  
أول مدينة كبيرة ذات أهمية تسقط في أيدي المسلمين ، وقد أثار سقوطها في  
نفوسهم الآمال في استعادة ما فقدوه .

== صاحب الروضتين ، وقد توفي في حلب عام ٥٤٨ هـ ، راجع ترجمته في  
وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٣٩ طبعة هي الدين معسر ١٩٥٢ م ،  
وفي أعلام النبلاء الجزء الرابع .

(١) الروضتين ١/ ٣٥ .

وقد مدح ابن منير الطرابلسي حماد الدين ، وأشاد بفضله المبين للزما  
وأعجب بما له من بطولة وإقدام فقال (١) :

صفات مجيدك لفظ جل معناه فلا أسود الذي أعطاك الله  
يا صارما ، يمين الله قائمه وفي أعالي أيادي الله حديداه  
أصبحت دون ملوك الأرض منفردا

بلا شبيهه ، إذ الأملاك أشياء  
فذاك من حاولت مسعاك هت

جهلا ، وقصر عن مسعاك معناه  
قل للأعداء : ألا مرتوا به كذا

فاقه خبيكم ، والله أعطاه

ملك تنام عن القنصاء هتته	تقى ، وتسهر للمعروف عيناه
ما زال يسمعك ، والأيام تخدعه	فيا ابتلاه ، يؤدي ماتوعاه
حتى تصالت عن القصرى مشاعره	قدرا ، وجاوزت الجوزاء نغلاه
وقد روى الناس أخبار الكرام هتوا	وأن مما روى ما رأيناه
أين الخلائف عن فتح أتح له	مظلل أفق الدنيا جناحاه
على للشار من أنبائه أرج	مقطوعة بفتيق الملك زياه
فتح أعاد على الإسلام هتته	قافقر ميسمه ، وأهتز عطفاه
يسدى مجتمعهم الله فتحه	حديثها نسخ الماضي ، وأنساه

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام للهكتور / أحمد  
بدوي ص ١٢٧ .

إن الرعا غير محمودية ، وكذا  
أخص الكوا كبر ما بنى ، أحد  
حيد دلت طه بالمرم يستخدم  
مشعرا وبني الإسلام في شغل  
ياحي العدل إذ قامت نواد به  
يا نعمة الله يستحق المزيد بها  
أبشاك لدين والدينها نحو ما بها  
واقفني أثر عماد الدين والده نور الدين محمود ، ذلك الذي تعددت معاركه  
مدد الفرج ، وصار شيئا عفوًا أمامهم ، وهو دون شك أحد كبار أبطال  
الحروب الصليبية .

ومن أعظم القصائد التي قيلت في نور الدين ، ورويت صورته وجمليته  
مطابقا لدى جيشه ، وبمروءات الناس في ظله في أمن ودعة ، تلك القصيدة التي  
أنشأها العماد الكاتب . ومبدأ (١) :

لازلت نور الدين في فلك الهدى      ذا غيرة للمسلمين بها إلهيا  
ياحي العدل الذي في ظله      من عدله رعت الأسود مع الميا  
محمود المأمور من أبيه      لها شها تضحك لزمان وقبها  
مولي الوري ، مولي الودي ، مولي الهدى

مردى العدا ، ممدى الجدا ، معطن الله  
آراؤه به — وأيا مقبونة      وبمقتضاها دائر ظلك النبي

متلبن بحلها وحسناته متقدس عن ثوب مكر أودعها  
 بأمن أطاع الله في خذلوانه متأوياً من عذوبة متأوها  
 بأمن تقدم في اللعائن لوجهه عملاً يبيض في المماد الأوجها  
 والحقيقة أن القصيدة التي منها هذه الأبيات قصيدة طويلة ، وقد حكمت  
 معظم ما يتجلى به نور الدين من صفات ، وكلها صفات تجعله غنياً إلى رعيته ،  
 مطاطاً لدى جنده ، عظيمياً في عين الناس ، وكان على رأس هذه الصفات صفة  
 العدل ، تلك التي جعلت الناس يعيشون في ظل هذا البطل في أمن ودعة .  
 وقد جمع الله لنور الدين من الصفات ما جعله يمكن من إخماف الصليبيين ،  
 وتقليم الظالمين ، واسترداد كل ما اغتصبوه من بلاد المسلمين ، فهو دون شك  
 شديد اللداد ، وهو أريب بعيد النظر ، وقد منحه الله سبحانه وتعالى رأياً ثاقباً  
 وحسناً ، وعظماً واجماً متيناً ، وتقوى لله في السر والعلانية ، حتى تمكن من  
 أن يسود بني حضرم ، ويقتصر على عدوه (١) .

والحقيقة أن الوقت قد أصبح أمام نور الدين ، ولذلك نراه يحظى بشهادة  
 الأديب بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة ، فكان الشعراء يتفننون بوقائمه  
 ويشيدون بحلها ، وله في عقب كل معركة مع الفرنج قصيدة أو قصائد مهم  
 تفيده انتصاره ، وتذيع حيد جهاده ، وتفيدو بحسب لاله وبطلانته ، ولبيعض  
 الشعراء فيه قصائد طويلة تنقش .

(١) انظر مقالاً له الدكتور عماد الدين خليل ، نور الدين محمود الطنسي في  
 فلسطين ، مجلة العربي عدد جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .



فإذا هو ابن منير الطرابلسي، يمدحه بقصيدة يقول فيها (١) :

أيا نور دين خبا نوره      ومد شاع عدلك فيه اتقد  
راك الصليب صليب القنطرة      أمين الثار متين المصد  
ثم فتنسـلبه ما أفنى      وتدنى فتشكله ما احتشد (٢)  
ذبتهم أمس عن صرخد      ففضوا كأن نماما شرد  
ويوم العـريجة أقبلتهم      هراما يشعل منبـ الأسد  
حيث ملككم في العباد      وفرك عنه أعم الصفد  
وقبل أزدتهم في الرعا      مواثق منقن جرد الجرد  
بقيت ترقع خرق الزمان      قياما لأبشائه إن قصد  
تتقف من ذيقه ما التوى      وتصلح من طبعه ما قصد

وفي هذه الآيات يقول ابن منير إن نور الإسلام قد خبا وذلك لضعف  
أبنائه وقعودهم عن نصرته والدفاع عنه ، ولكن هذا الدين سرعان ما عاد إلى  
ماضيه الأول حيث القوة والنصر ، وذلك كله بفضل جهاد وصلاية نور الدين  
ذلك القائد الذي وآه الصليبيون قوبا لا يفل ، وصاروا لاجئز ولا يابن . لقد  
كشك لهم معصية ، إذ ~~ممكنك~~ الله من استرداد ما ذكروا من أراضي ،  
واستطعت أن تلحق بأبنائهم القتل والهلاك ، ويضرب لذلك مثلا بما فعله في  
الصليبيين في صرخد ، حيث أجالهم عنها ، وجعلهم يتفرقون كالنعام الفار ،  
أو بما فعله بهم يوم العريجة حين استطاع أن يجبس ملكهم ثم يطلقه كرما

(١) الروضتين ٢١ / ١ .

(٢) تدنى : تراوغ .

وتقتلوا وعقوا، وبعد هذا كله تمكن نور الدين من تفريق جمع الصليبيين في  
الرها، لأنها انتصارات عظيمة عائدة .

وعما أنشأه ابن منير يمدح فيه نور الدين أيضا قوله (١) :

ما فوق شأوك في الملا مرداد	فعلام يلقى عزمك الإجهاد
همم حزين غلب السياء مرادقا	فالشيب أطاب لها ، وعماد
أنت الذي خطبت له حساده	والفضل ما اعترفت به الحساد
زهرت أدولتك البلاد ، فروحها	أرج للهب ، ودوحها مباد
وإذا العدا زعموا التفاق وأحصوا	كبيذا ، فمزمك ناقض حصاد
بالمقربات كأن فوق متنوتها	جن الملا ، وكأنها أطواراد
يهدى النواظر في دجنة تقعها	بذر بسرجك نير وقاد
ألبيت دين محمد يا نوره	عزاله فـوق السها إشتاد
مازلت تسمك بمجاد القنـا	حتى تنقذ عـوده الليباد
لم يبق من أرفقت عزمك دونه	عدد براع به ، ولا استعداد
إن المناير لو تطبق تكـا	حدثك عن خطباتها الأعدواد
ولئن حث منك الأعداى مهلة	فلم إلى الرعى الربى معاد
ملق بأطراف القرى ككسلا	طرفاه : ضرب صادق ، وجلاد
حانوا ، فلما عاينوا حوض الردى	حانوا ، أنش كيدهم أو كادوا
ورجا الهولس ، وقد تهنس ذلة	حرما بمحامد ، والمصاد مصاد

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، الدكتور أحمد  
أحمد بدوي ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

ضحت ثعالبه ، فأخرس جرسها . بيض تناسب في الحديد حديد  
وسواعد ضربت بين والقتل . من دون مسألة أحد الأسدا  
ويصفه بعض الشعراء بقوله (١) :  
باساعد الطوى والأكفان حاجعة  
وثابت القلب والأحشاء تضطرب  
أغرقت سيفك بالإفرنج واجفة  
فؤاد ودية الكهري لها يجب  
ضربت كعبهم منها بقاصصة  
أردى بها الصلب ، وانحطت بها الصلب  
نضبت الدين حقر لم يفتك رضا  
وكان دين الهدى مرصاته النضب  
طمرت أرض الأعدى من دماهم  
طهارة كل سيف عندها جنب  
من كان يفرو بلاد الشرك مكذبها  
من الملوكة فترد الدين محتجب  
ذو غرة ماسمت ، والليل معتكر  
لا تروق عن شمس الضحا الحجب  
كنا نعد من أطرافنا ظفرا  
فلكذك الطبا مالمس نعتب

عنت فتوحك بالمدى معانها  
كأن تسلّم هذا عند ذا جرب  
لم يبق منهم سوى بيض بلا رمق  
كما اتوى بعد رأس الحية القنب  
قامض إلى المسجد الأقصى بذي جب  
يوليكَ أقصى المني ، فالقدس مرتقب  
والذن لموجك في تطير ساحله

فإنما أنت بمحـر لجهـه جب  
والشاعر هنا يصوره قائدا متمكنا قديرا ، فهو بطل من أبطال الجهاد على  
رأس جيش قوى كل همه هو إعراد دين الله ، وهو حاكم يعيش الجميع في ظله  
في أمن ودعة ، ولا يمكن صفو حيمانه رعيته ظم ولا غروف ضمافا كانوا أم  
أقرباء ، وهو قوى شجاع لا يهتز أمام الددائد ، ولا يضطرب أمام مجربات  
الأحداث والخطوب ، وقد ألهمه الله التوفيق في حروبه ضد الإفريج ، فناظم  
بكل ذلك وتدمير ، وأخذ يجاهد ويفتح الفتوح التي يروى إليها الجميع .  
وفق ذلك كله فهو قائد شجاع مثابر ، كانت كل آمال المسلمين قبله أن يحثوا  
على اجتياز الأزمات . وأن يموتوا من أمرها ، ويبدوا المعزائم على التناوب  
عليها والصبر لها ، حتى تمر وتتقضى ، وكانت أعين أمانى المسلمين قبله أن  
يجامقوا على ما بقى تحت أيادهم من أرض وقفت جنود الفريج عند حدودها  
أما هو فقد أعز الله به الإسلام ، وفتح بسيفه الفتوح ومعنى إلى ما بقى تحت  
يد الفريج من بلاد ، فأنفض عليها وقضى على قواها . وسأل أن يستردّها إلى

أيدي المسلمين ، وليست فتوحه التي يقوم بها سوى تمريد أغاية كبرى جليلة  
ولذلك وضع المصلون آمالهم فيه أن يرفقه الله فيفتح بيت المقدس ، ويعلم  
للمسجد الأقصى ويرده إلى أيدي المسلمين .

أما صلاح الدين الأيوبي فكان له الحظ الأوفى من الشعر والعدد الأغزر  
من الشعراء من بين أبطال المسلمين جميعا في الحروب الصليبية ، وذلك لطول  
جهاده وكثرة فتوحه ، وعضامة الجهد الذي بذله في قتال العدو الذي حشد له  
الجمع وجلب له الأمداد .

وقد كان يقصد سبق في هذا المجال ، وحقق الله على يده الكثير من  
الانتصارات وأروعه . واستطاع أن يوحد بين مصر والشام والجزيرة تحته  
لوائه ، وكان ذلك التوحيد فاتحة عهد جديد في سبيل استرداد البلاد المقتضية  
ولم يكن يوحد البلاد تحته لوائه حتى أرسل إلى جميع أمراء إمبراطوريته  
يستنفر الناس لفناء الفرنج ، ويحثهم على الجهاد ، وأمرهم بالتجهز له . وكانت  
هذه الوحدة بين المسلمين سببا في استنفاض المسلمين . وفي دفع الخماس في  
صدور الجند . فأقبلوا من كل حذب يريدون أن يستأصروا ومائتا طال  
اغتنصابه .

ومضى صلاح الدين على رأس جيشه فالتقى بالفرنج عند حطين ، ودأبت  
هناك معركة مضى الإفراج عسلى إثرها بين أسير وقتيل . وكان من حكمة  
القائد صلاح الدين أنه لم ينتظر حتى يجمع العدو شمله المبدد . ولا كتبه معنى  
يتسارع انتصاراته ، وأخذت مدن العدو تسقط في يده مدينة إثر الأخرى .  
وما أن سقطت البلاد المحيطة بالقدس حتى مضى شعره عن ساعد الجهد . وذهب

إلى بيعة المقدس يريد فتحه ، وما كان من العدو إلا أن طلب الأمان وفتحت المدينة أبوابها لاستقبال صلاح الدين في السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣ هـ وهكذا من الله عليه هذا الفتح .

وحسب صلاح الدين أن فتح القدس الشريف ، وقد جعل الفخراء مواقف صلاح الدين التي سبق فتح القدس ، كما عودوا نبضات القلوب تجاه هذا الفتح . وتحدثوا كذلك عن معركة حطين . وبنوا أهميتها الكبرى للدين . فهي للمركة التي ردت إلى المسلمين كرامتهم وأعطت إليهم مخرجهم وقديسهم . ولا غرابة أن يتدأ بن الفخراء في مدح صلاح الدين والثناء عليه وتسجيل انتصاراته وأن يتباشروا بهذا الفتح .

ومن جهة الفخراء هماء الأصفهاني . يقول في هذه المناسبة يمدح صلاح الدين . ويذكر معاركه في حطين ويعبر عن سروره واعتباطه بمدحه فليأت الذي أنقذ مقدسات المسلمين (١) .

وأيت صلاح الدين أفضل من غدا

وأشرف من أمي وأكرم من أمي

وقيل لنا في الأرض سبعة أحر

ولنا رى إلا أناسه أحر

جيتته الحسين وشيمته الرضى

ونطقته العكبرى وعزمته القضا

(١) الروضتين ٣/ ١٠٢ ومعجم الأدياء ٧/ ٨٨ .

جنودك أملاك المسجد وطهم  
أعاديك جنا في المارك لا إنا  
صحت على الأرض ردنا من القنا  
رداية ملدا وعطيفة ملدا  
ونعم بهال الخيل حطين لم تمكن  
مباركها لغيره حرسا ولا دعنا  
كسرتهم إذ صبح عزمك فيهم  
ونكتهم من بعد أعلامهم نكتا  
براقعة رجعت بها أرض جيوشهم  
ومارت كما بست جبالهم بسا  
بطون ذئاب الأرض صارت قيا وم  
ولم ترض أرض أن تكون لها رعا  
ومن قبل فتح القدس كشت مقدسا  
فلا عدت أعلامك العاهر والقدسا  
نزعنا لباس الكفر عن نفس أرضها  
وألبسنا الدين الذي كشف القبا  
جري بالذي تهرى الفضاء وظاهرت  
ملائكة الرحمن أجنادك الحما  
وتدل هذه الآيات على المعنى الذي قصد إليه حماد الدين في سلامة  
ووضوح ، ودلت كذلك على ما كان في نفس حماد الدين من أمان ، وقد عبر

عن كل ذلك من خلال مباركة خطوات صلاح الدين .  
وبما قيل في تمجيد بطرلة صلاح الدين مقالته الشاعر ابن الساماني يصف فيه  
فتح صلاح الدين للقدس ، يقول (١) :

عصفت به دجج الخطوب زحاما • فلقين طسورا لانتف أناته  
هو منقذ البيت للقدس بعدما • طالت ، فأوجد الشفاء شكااته  
أشقت الأعداء ، وهي جماعل • عن شمل دين جمت أشناته  
أوتيت هزما في الحروب مبددا • لازيفه يخشى ولا هفواته  
أحسنه بالبيت المتيق ويثرب • ولك النعال حكتيرة حسناته  
هذي سيوفك مبرمات دونه • ليكلمن تبسمه جبراته  
ومن مدحوا صلاح الدين الشاعر أسامة بن منقذ ، فله قصيدة فيه جرت  
مجرى قصائد الشعراء الآخرين ، حيث وصفه بشاعر الدين في الوقت الذي  
تعاذل فيه الكثيرون عن نصرته .

يقول بمدحه ويشرح بفتحته للقدس (٢) :

ياناصر الإسلام حين تعاذلت • منه الملوك ومظهر الإيمان  
بك قد أعز الله حزب جنوده • وأذل حزب الكفر والطغيان

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، الدكتور أحمد  
أحمد بدوي ص ٤٤٥ .

(٢) خريدة القصر وجرادة أهل العصر ، لمعاد الأصمغاني وقسم شعراء الشام ،  
تحقيق الدكتور شكرى فيصل ١ / ٣٠ للطبعة المراجعة بدمشق ، الطبعة  
الأولى ، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .



وغدوت لله الذي أعطاك • الحكيم غنية ثائر حران  
 نوعني الشاعر في مدحه لقائه فتراه يطرق أشيا، جديدة لم يسبق إليها ،  
 إذ يمدحه بما قام به من بذل الأموال الطائلة لجهز الجيوش ، ولجعلها على  
 أعباء الاستعداد ، حيث كانت الأموال قبل الفتح أعظم صلاح الدين عزوفاً  
 في خزينة المال لا يستفاد بها في تجهيز الجيوش .

يقول (١) :

وبذلت أموال الخزان بعدما • هزمت وراء خورثم الخزان  
 ومن جمع كل مجاهد وعائل • ومبارز ومنازل الأتقان  
 من كل من يرد الحروب بأبيض • غضب ويصدر وهو آخر قاني  
 ويغوص نيران الوغى وكأنه • ظمآن غاض موازد النيران  
 وعن مدحوا صلاح الدين الأيوبي ومجملوا وقائمه وانتصاراته الشاعر ابن  
 سناء لذلك (٢) .

(١) المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٢) من شعراء مصر الأعلام في عصر صلاح الدين وشأنه : وهو ابن  
 القاضي هبة الله بن الرشيد جعفر بن المعتمد سناء ذلك السدي ، ولد سنة  
 ٥٥٥ هـ وهو من أصحاب أبيديع في مصر ، وقد أخذ عن القاضي الفاضل  
 طريقته في النظم ، وأخذ الحديث عن الحافظ الهادي ، وكان له فضل ذكر  
 وحب للأدب وطبيع في الشعر ، نظم الشعر قبل العشرين من عمره ، له  
 ديوان شعري ، وله أيضا ديوان مرثعات سماه « دار الطراز » قال عنه  
 ابن حجة الحموي : « وتلاعب في التورية باعتراجات يسكتها في طهر »

وله قصيدة طويلة يهيد فيها بفعل صلاح الدين بتوحيد مصر والشام، لما أعادته للإسلام من قوة وعزة، وفي القصيدة نفسها يصف الشاعر جيش صلاح الدين والحق أن لابن الساعاتي أكثر من قصيدة يصف فيها جيش صلاح الدين. يقول من قصيدة له يصف صلاح الدين ويهيد بمجوده في حروب الصليبيين (١) :

ملكه أقاليم الملوك، وإفما • سهرت، وأملك الأقاليم نوم  
طلعت عليهم الصباح من الطبا • يحيط به ليل من النقع مظلم  
فساء صباح المتذرين، لأنه • صباح به ذوق الأسته أنجم  
وجيش به أسد الكريمة غضب • وإن شئت عقبان المثية حوم  
إذا قاتلوا كانوا سكرتاً شجاعة • ولكن طيبام في الرقاب تكلم  
خربت بهم قوماً نياماً جمالة • فلا نائم إلا وأيقظه الدم

== أبياته • خزانة الأدب ص ٢٤٤ طبعة مصر ١٣٩٤ هـ ، وقال عنه ابن خلكان : « وافق في عصره بمصر جماعة من الشعراء المجيدين ، وكان لهم مجالس يهرى بينهم فيها مكات ومهاويرات يروق منهاها .. وكانوا يجتمعون على أرفق عيش ، وجرت لهم محافل سطرت عنهم » ، وفيات الأحيان ٥ / ١٢٢ ، طبعة عن الدين ، مصر ١٩٥٢ ، وقد مدح صلاح الدين وأعاد ثوره أنشاه والقاضي القاضل ، وكانت بيته وبين الأنخير مراسلات ، وتوفي عام ٦٠٨ هـ .

(١) الحياة الأدبية في مصر الحروب الصليبية ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

ألفت ديار الكفر غزوا ، فقد غدا • جوادك إذ يأتى إليها بنم  
وما يصنع الكفارا منك حصرهم • ولا شئ غير الله يذكهم  
ولم ينسح الدهر من صلاح الدين الأيوبي غيب ، وإنما مدحوا كثيرا من  
أبناء أسرته وغيرهم عن عاصروا الخروب ضد الفرنج . وأكبر هؤلاء الأبطال  
هو تقي الدين عمر بن شاهنشاه الذى ظفر بإعجاب همه صلاح الدين فكان يليه  
عنه ساجى مصر ، وقد أذاق الفرنج أقصى ألوان القتال ، بل إنه كان يحاربهم  
ولا يأخذهم قط على غرة .

وعن مجدوا بطول تقي الدين الشاعر ابن الداعى : يقرول يصف شخصية  
تقي الدين ويسجيل رسالته ومكانته في جيشه (١) :

لولا رسالته لما علمت • أسل الفرنج إلى دم يسيل  
سل عنه إذ دلف الفتاة غداة الدماء منه يساعد عيل  
وأعاد يومهم كأمس ، وليت الغاب لا ينفض على دحل  
أبقى لى أسد اللقاء ، فسا • أبقى وظل حدة القل  
حتى كأن ديارم خلقت • مذكن أطلالا بلا أهل  
كم طنة لك فيصل حدث • آثاره ، ومقالة فصل  
يتى رباط الجيش منك ريبط الجاس ماضى المقد والحلل  
يلقى أصاديه بجاهرة • ويعيد سلوته من الختل  
يغشى ، ويرجى ، سلوة وندى • ويهاب فى جد وفى هزل

(١) ديوان ابن الداعى ، تحقيق أنيس المقدسى ٢ / ٢٠ المطبعة الأمريكية

ومنهم كذلك العادل أخو صلاح الدين ، وقد جدد بساتنه في القتال أكثر من شاهر . يقول ابن سناء الملك عنه (١) :

إن دام أمرا عظيما ساقه بحد • إليه ، أو بجلاء يسرى على قدر  
ويا أعاديه ، لا يضررك ميل • منه ، فإنك منه هل غرر  
لم يذكرك على وشم بواتره • وكل دوح عليك قد من دبر  
يرى الشجاع ، وإن أضى وبينها • تقع بفرق بين النخس والبصر  
ومشق الورد ، والأبطال صادرة

والثوت في الورد والشجاة في الصدر  
تلك الدين سيفا منه ، ما برحت

سيفه البيض حرا من دم حدو  
فه موقف حرب صككت قائمه

وقائم النصر فيه غير منظر  
صدمت فيه جوع الشرك فانفطروا

إن الزجاجة لا تقوى على الحبر  
• • • • •

وحين انتهت دولة الأيوبيين وبجأت بدعها دولة المماليك أخذ المماليك على  
هوانهم مقاومة الصليبيين الشرارة ، وشتموا بعب قتلهم والقضاء عليهم  
واستردوا البلاد من أيديهم . وقد استطاع هؤلاء الحكام أن يحققوا حلم  
الامة الإسلامية في طرد الصليبيين عن أرض المسلمين .

( ١ ) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية من ٤٤٨ • ٤٤٩ .

والحقيقة أن الشعراء قد التفوا حول ثلاثة من سلاطين هذه الدولة وهم :  
« بيبرس » و « قلاوون » و « الأشرف خليل بن قلاوون » فهدوا بطولتهم ،  
وأشادوا بمجدهم ، وصوروا أخطاوتهم في الحرب ، مقارنة بالإكبار والتمظيم  
والإجلال والإعجاب .

فما أتى به على جهود بيبرس في حرب التتار ، وما جاء في وصف جيشه  
قول أبي محمد الواسطي (١) :

فعلى الأفق للديار ملاء • طربها الهوى بالإيمان  
وكان الزعماء إردام نوى • فصلت دوتها ينات الفخاض  
أو صهيل الجياد لليلك الغيا • هر تسرى بالجحفل التماس  
والتصور قلاوون من الملوك الذين أبلوا بلاه حسنا في حرب الصليبيين ،  
وقد مضى الشعراء الممجون بفتوحاته يصوغون له المدح عقودا . ومن هؤلاء  
شهاب الدين محمود الذى يقول فيه (٢) :

عليها لمن أولاك نعمته الشكر • لأنك للإسلام بأسيفه ذخـر  
ومثلك الإخلاص في صالح الدعا  
إلى من له في أمر نصرتك الأمر  
وقع في إعلاء ملكك في الورى  
مراد ، وفي التأيد يوم الرغى مر  
ألا مـسكنا بأوارث الملك فليكن  
جهاد العدا لأمناوا لى به الدهر

(١) قوات الوفيات ٢ / ١٢٩ . مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ .

(٢) النجوم الزاهرة ٧ / ٣٢٣ . مطبعة مصر ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م .

وعسا قيل في المنصور قلاوون (١) :  
تهب الألف ، ولا تهاب لها . ألفا إذا لاقبته في الصف  
ألف وألف في ندى ووغى . فلاجل ذا سموك بالآلاني  
وحين فتح قلاوون حصن المرقب عام ٦٧٨ هـ نجده يفتح حصنا مشهورا  
بالمعزة والحصانة . وقد أقبل الصغراء عليه يمدون جهاده ويشيدون بطولاته  
ومن بين الصغراء شهاب الدين محمود ، يقول (٢) :  
أنت أكبر ، هذا النصر والظفر  
هذا هو الفتح لا ما تزعم الدين  
هذا الذي كانت الآمال إن طمحت  
إلى الكواكب ترجوه وتنتظر  
فأبض وسر وأملك الدنيا قد تحلص  
شوقا منا يراها وأرتاحه السرور  
كم رام قبلك هذا الحصن من ملك  
فطال عنه وما في بابه قصر  
وكيف تمنحه الأيام ملكة  
كانت لدولتك الغراء مخدنة  
وكيف يسمو إليها من تأخر عن  
إسماعه منجداك : القدر والقدر

(١) قوات الرقيات ٢ / ٢٣ .

(٢) النجوم الزاهرة ٧ / ٣١٧ .

غر الدنا منك حلم تحته همم  
لاشقر البرق من تعجيلها غرر  
لها وإن أشبهت لطف الددم مري  
معنى المواقف لا تيسق ولا تذر  
وظهر الأشرف خليل بن قلاوون بتقدير الشمراد هكذا ، فاضوا  
يصورون بسائته وشجاعته ، ولم لا وقد استولى على آخر أملاك الصليبيين في  
الشرق وهو نهر عكا ١٩ .  
يقول شاعر في ذلك (١) :  
فإن رمت حصنا سابقتك كتاب  
من الرعب أو جيش تقدمه النعر  
ففي كل قطر للمدا وحصونهم  
من الخوف أسياى تجرد أو حضر  
فلا حصن إلا وهو حصن لاهله  
ولا خشب إلا لأرواحهم قدير  
ويقول بعضهم فيه (٢) :  
ماقدموا مثل تناء ، ولا مثل الذى خلقه خلقوا  
فيه على الأملاك غر بما . تلك ، فانت لللك الأشرف  
• • • • •

(١) قوافى الوفيات ١ / ١٥٥ .

(٢) نهاية الأوب ، للتويزى ٢٩ / ٥٠ طبعة دار الكتب المصرية .

وهكذا يجد الصمراء الأبطال ، وأشادوا بمجهودهم وجهادهم ، وحملوا في القصاصه ما أثرهم . والحق أن نساء الصمراء على الأبطال لم يقف عند كبار الأبطال الخسب ، ولكنهم جددوا كل من دافع عن البلاد ضد الإفرنج ، أو مد أياديهم لاستنقاذ البلاد للمنصبية ، وإن لم يتحقق له من النجاح مثل ذلك الذي تحقق للأبطال العظام ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما كان يتجاوب في نفوس المسلمين يومئذ من رغبة ماحضة في استرداد ما فقدوا المسلمون من بلاد (١) .

ولا يفوتنا أن نقول إن الصمراء في عصر الحروب الصليبية كانوا يتاجرون المماولك التي تدور بين المسلمين والإفرنج ، وكانوا يتاجرون أيضا تطوورها وكانوا يقومون بواجبهم خير القيام ، فيمدحون القواد والأبطال ويستنجسون الحسم ، بيد أن مدحهم كان كسابقه ، فالممدوح قائم الانتصار على أعدائه يمر الإسلام ويرفع رايته .

ومع ذلك فيمكن أن نقول إن شعرهم يتميز بصدق العاطفة وحرارتها ، فهم حين يقولون شعرا لم يقولوه من منطلق الطمع في العطاء ، أو انتظار هدايا وما إلى ذلك ، وإنما كانوا ياقونه بدافع من إيمانهم ورغبتهم الصادقة في فصرة الإسلام ، واسترداد مقدسات المسلمين . ومن ثم بدت قصائدهم كل البعد عن التكلف ، فالمناشاة التي نظم الشاعر فيها قصيدته كانت تتطلب منه التعبير عن الفرح والسرور لما حققه المسلمون من انتصارات عظيمة ، ومن

(١) انظر الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام للأستاذ / محمد سيد كيلاني .



ثم كان على الشاعر أن يقدم قصيدته بوحى من عاطفته الصادقة دون أن يتكلف .  
ومن الملاحظ أيضا أن المعاني التي شاعت في المدح بالبطولة والتي تطرق  
إليها الشعراء في قصائدهم كانت تدور حول الشهادة وشدة البأس ، والحلم ،  
والأمانة والحكمة والعدل والتفجيع ذلك كله بالحديث عن قيام هؤلاء القواد  
بشعر الإسلام والتضحيهم على إلحاق الخسائر بالعدائين . . فشكل حسنة  
الصفات تعلق دون شك ببطيخة الموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر وهو  
الجهاد ونصرة دين الله .

ومناك ملاحظة أخرى ينبغي أن تشير إليها ، وهي أن شعراء المدح في  
هذه الفترة كانوا يربطون بين مدحهم وبين الشخصيات الإسلامية العظيمة  
التي كان لها نصيب في جهاد المشركين ، وقد ربطوا بين المعارك الصليبية وبين  
المعارك الإسلامية الكبرى كوقعة بدر وغيرها ، والمهدف من ذلك كله إنما  
هو تحذير المسلم واستنهاضها ، والحث على مواصلة الجهاد ، والصبر عليه ، منها  
كانت النتائج ، ومنها كانت التضحيات .

وهكذا يجد الشعراء أبطال الحروب الصليبية الذين صرفوا معظم جهودهم  
في إضعاف الصليبيين وتقليل أضرارهم واسترداد ما استطاعوا استرداده مما  
اغتصبوه من البلاد ، كما استطاعوا أن يرموا سمات هؤلاء الأبطال . ويبدو  
أن هؤلاء الأبطال قد تمسكوا في أهدافهم تشابها جعل الشعراء يخلطون عليهم  
كل ما يعرفونه من صفات مثالية ، فهم جميعا دون استثناء أبطال شجعان ،  
أقوياء كرماء ، وهم ذينة العصر وجمال الدنيا .

وقد يصعب - نتيجة لهذا التشابه - أن نميز بين بطل وآخر ، أو أن نلح

فرداً دقيقة بينهم ، الأمر الذي يصيب معه تمييز أحدهما عن صاحبه . ولولا  
السيات التاريخية التي تربط الملك من الملوك ، أو السلطان من السلاطين  
بموقعة من المواقع ، أو بانتصار من الانتصارات ، أو بهزيمة من الهزائم ولولا  
ذلك لتمكن لكل واحد أن ينقل شعراً قبل مثلاً في عماد الدين ويزعم أنه إنما  
قبل في نور الدين محمود ، أو في صلاح الدين الأيوبي .  
والشعراء مع كثرة ما نظموا من شعر لم يستطيعوا أن يتركوا لنا صورة  
مبينة للعالم ، واضحة للقصبات لكل بطل من أبطال الحروب الصليبية على حدة  
وربما كان التقليد الذي سار عليه شعراء المذبح العرب أثر في ذلك ، ولو أن  
شعراء العصر الصليبي كانوا على درجة تجعلهم ينظمون الشعر للحمى  
والقصص والتبيل لا يمكن لهم أن يبرزوا بين بطل وآخر .



واذناً : التأسف والتعسر على ما أصاب المسلمين :

لم يقف الصعراء عند حد تصوير المآثر ومدح أبطال الحروب ، ولكنهم واحسبوا يرصدون ما أصاب قلوب المسلمين من تحسر ، كما يصرون أسقيهم وأساعهم على ما أصاب المسلمين من فتن ونفثاذل ، وما نزل بهم من تواءم وما دب في صفوفهم من تفرق .

والحقيقة أن ظروفًا كثيرة قد مرّت بالمسلمين ، وكانت تنير الالم وتبعث الحسرة والتدانة ، فهذه بلاد المسلمين تسقط واحدة تلو الأخرى في أيدي الفرنج ، وهذا هو الخوف يتملك الصعراء نتيجة لهذا التخريب الذي أحدثته أيدي الإفرنج في بلاد المسلمين ، بل إن المسلمين أنفسهم قد اضطرت روا إلى تخريب بعض البلاد بأيديهم هم حتى لا تقع فريسة في أيدي الفرنج ، وغير هذا وذاك مما له وقع أليم في نفوس المسلمين وفي نفوس شعرائهم .

وقد حدث أن خرب الإفرنج معرة النعمان ، ونتيجة لهذا القتل الذي نجد الأسماء مع المسلمين ، وتمثلهم قلوبهم بالحزن والأسف ، وقد بكاهها شاعر من الصعراء وتأسف على ما لحق بها من خراب فقال (١) :

هذه صاح بلدة قد قضى الله عليها ، كما ترى بالخراب  
وقب الديس وقفة وابك من كان بها : من شيوخها والشباب  
واعتبر إن دخلت يوماً إليها • فبي كانت منازل الأحباب  
وحين سقطت مدينة ذمياط في أيدي الأعداء ، وأصبح من ثم الطريق

(١) النجوم الزاهرة ٥ / ٢٠٠ طبعة مصر ١٣٥٢ هـ ١٩٣٥ م .

مفتوحا إلى مقدسات المسلمين ، هنا عار المقطم عيسى على بيت المقدس وأخذ  
تليجسة لذلك يغرب المواضع التي من الممكن أن يتقوى بها الفريخ في حالة  
احتلالهم لبيت المقدس . وكان لهذا الحدث وقته الأليم ، كما كان باعثا على  
الحسرة والندامة ، فهذه بلاد المسلمين تحطم وتغرب في غير رحمة .

وفي ذلك يقول شهاب الدين أبو يوسف بن الجواد (١) :

أعني لا ترق من العبرات	على بالسكا الأحال بالكرات
لعل سيول الدمع يطفى بعضها	توقد ما في القلب من الحمرات
وياقلب ، أسمر ثار وجدك كلما	نحت ، بأدكار يبعث الحمرات
وياقم ، مع بالشجو منك لشد	بروح ما ألقى من الحسرات
على المسجد الأقصى الذي جل قدوه	على موطن الإغيات والصلوات
على سلم المراج والقصر التي	تفاخر ما في الأرض من صخرات
على القبة الأولى التي اتجهت لها	صلاة الرايا في اختلاف جهات
على خير محمود وأكرم عامر	وأشرف مبنى لخير بناءة
عفا المسجد الأقصى المبارك حوله	الرقيع المهاد العتالي الشراة
عفا بعدما قد كان للخير مرسما	ولير ذا الإنسان والفسرات
يراق إليه كل أشمت قات	لست ولا بر دائم الخلوات
خلا من صلاة لا يعمل مقبها	بوشع بالآيات والسنوات
خلا من حنين التائبين وحزنتهم	فمن بين نواح وبين بكاة
لتبك على القدس البلاد بأسرها	وتنلن بالاحزان والترحات

لنبتك ما بها سكة في أختها وتفتكو الذي لاقت إلى عرفت  
لنبتك على ماحل بالقدس طيبة وتشرحه في أكرم الحجرات  
لقد شئتوا عنها جماعة أهلها وكل اجتماع مؤلف بشتات  
وقد هدموا مجد الإصلاح بهنما وقد كان مجدا يذبح الغرقات  
وقد أخذوا صوتا وصوتا آثاره لهم عظم ماوالوا من الغزوات  
فن في بنواح ينحن على الذي ثمانى بأصوات طرب شجاة  
يرددن بيتا للتخسراعي قاله يؤين فيسه خيرة الحيرات  
مدارس آيات خلعت من تلاوة ومزول وحى مقفر العرصات  
والحقيقة أن هناك أشعارا كثيرة تنكس الأمل والحسرة على ما أصاب  
للمسلمين من كوارث ، وما انتابهم من ترائب ، وما لحق بهم من ضعف  
في هذه الفترة من الزمان ، وهناك أشعار أخرى تنحسر من هؤلاء المتخاذلين  
الذين آثروا القعود وعدم الخروج لمسك الخلة الإفريج ، وقد وصل الشعر في  
تعبيره عن الأمل والحسرة حين يوازن بين أعداد جند المسلمين وأعداد جند  
الكفار الإفريج ، وربما يتخذ الشاعر من هذه الموازنة ذريعة لاستنهاض همم  
المسلمين وحثهم على التضحية والفداء .  
وقد تحولت الحسرة في بعض الأشعار إلى ذريعة تنكس الخوف والرهبة  
الذين يمان البلاد ويملأ القلوب ، ومثل هذه الأشعار تتحدث في الغالب  
الأعم عن تعجزات العدو ، وما يقترب على هذه التعجزات من عنف وقسوة  
وتدمير وتخريب ، والشاعر يتخذ من هذا ذريعة للدعوة إلى اجتماع الكلمة ،  
وتوحيد الصفوف ، وتضافر القوى .

ومن ذلك قول حمادة البني (١) :

يا رب إلى أوى مصرا قد انتهت

لها عيون الأعدى بعد رقتها

فاجعل بها مسلة الإسلام باقية

وأحرص عقود الهدى من حل عقدتها

وعب لنا منك عبونا نستجير به

من فتنة يتلظى جسر وقفتها

وهذا شاعر آخر يمدد أحمال الإفرنج الذين بالغوا في ارتكاب الجرائم

وانتهاك الحرمات ، والتوسع في احتلال المدن والإغارة الدائمة عليها ، الأمر

الذي جدد على العالم الإسلامي ألمه وحزنه .

يقول (٢) :

أحل الكفر بالإسلام حنيا يطول عليه الدين التحجب

لحق ضائع وحى مباح وسيف قاطع ودم صيب

وكم من مسلم أمدى سلبا ومسلما لها حرم سلب

وكم من مسجد جعلوه دبرا على عماره نصب الصليب

دم الخنزير فيه لم خلوق وتحريق المصاحف فيه طيب

أمسور لو تأملهن طفل لطفل في عوارضه المشيب

أنسى للصلوات بكل نفس وعيش الدليلين إذا يطيب

(١) غزوات من ديوان حمادة البني ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) النجوم الزاهرة ١ / ١٥١ .

أما لله والاسلام حـق يدافع عنه شيان وثيب ؟  
 قتل لنوى البصائر حيث كانوا أجبروا الله ويحكم أجبروا  
 ويزداد التأسف ويقوى التحسر حينما يفقد المصلون بطلا من أبطال  
 كفاحهم أمام الافرنج ، فيكون رثاء الشهداء لهذا البطل بمثابة صرخة حزن  
 تصور أسمى الناس وبكاهم على من فقدوا من فرسان وأبطال .  
 فهذا العهد يقول في موت نور الدين (١) :

الدين في ظلم ليلية نوره	والدهر في غم لفقد أميره
فلينتب الاسلام حامي أهله	والشام حافظ مملكه ونفوره
ما أعظم المقدار في أخطاره	لذكان هذا الخطب في مقدوره
ما أكثر المتأسفين لفقد من	فرت نواظرم بفقد نظيره
ما أغوص الانسان في نسيانه	أو ما كفاء الموت في تذكيره
من للمساجد والمدارس بانينا	فه طوعا من خلوص خبيره
من ينصر الاسلام في غزواته	فلقد أصيب بركنه وظهيره
من تقمرنج ومن لأمر ملوكها	من الهدى بينى فكاك أسيره
أو ما وعدت القدس أنك تنجز	

معاذ في فتحه وطلبه

فتى يجير القدس من دلس العدا

وتقدس الرحمن في تطهيره

#### عامساً : الفخسر والحامة :

ليس من شك في أن الانتصارات في الحروب والمعارك التي دارت بين المسلمين والمسيحيين كانت مثار غبطة واستبشار في نفوس المسلمين بصفة عامة وفي نفوس الأبطال والقادة بصفة خاصة ، ومن المريب إلى هؤلاء الأبطال أن يستمعوا إلى تسجيل أفعالهم ، والتفتي بأجسادهم ، فالتفت حولهم نتيجة لذلك عدد كبير من الشعراء ، وأخذ هؤلاء الشعراء يتجمعون في أعدادهم ويقتربون : انتصارات هؤلاء الأبطال .

ومن هؤلاء الشعراء طلائع بن رزيك وأسامة بن منقذ ، فقد تحمس كل منهما في شعره واقتصر . ومن أروع ما كتبه طلائع بن رزيك يقتصر فيه عبارات حبه على الفرج ، وما أحرزه جيشه من نصر ، تلك القصيدة التي أرسلها إلى أسامة بن منقذ لكي يفر بها نور الدين حين رغب الصليحي في الاتفاق مع نور الدين في مقاومة العدو والهجوم عليه .

ومن هذه القصيدة قوله (١) :

خيول إذا ما فارقت مصر تفرس • عدا فلوما التصر المبين ملازم  
جيوش أفتانها اعتزما ونجدة • قطاعتنا منهم ومننا الدوام  
إذا ما أثاروا النقع فالتفر عابس • وإن جردوا الأسياف فالتفر باهم  
ولما وطوا أرض الشام تحالفنا • فاصحت جميعاً عربها والأحاجم  
وواجهم جميع الفرج بحملة • نهرن على الصغمان منها والمزائم  
فلقوم ذرق الأسنة وانطروا • عليهم فلم ينجم من الكفار ناجم

(١) انظر الأبيات في : د. أولاد ، شعر الدعوة إلى الجهاد .



ولم يكتف أبطال المسلمين الذين أبلوا بلاد حنينا في الحروب هذه الصليبيين  
بما جعله لهم الشعراء من قصائد تمجد بطولاتهم ، وتشيد ببلاتهم ، فراحوا من  
جهمتهم يطلبون من الشعراء أن ينظموا على ألسنتهم شعرا يسجلون فيه معاركهم  
ويصورون فيه تضحياتهم .

فهذا هو نور الدين محمود ، نراه يطلب من الشاعر البقال أسامة بن منقذ  
أن يقرض قصيدة على لسانه ، يتحدث عن فتوحاته ، ويفتخر فيها بأعجابه ،  
فكان أن أنشأ أسامة في ذلك قصيدة طويلة بلغ مجموع أبياتها تسعين بيتا .  
يقول في مطلعها (١) :

أبى الله إلا أن يكون لنا الأمر • لتحيأ بنا الدنيا ، ويفتخر العصر  
ونحسدنا الأيام فيها زومه • وينقاد طوعا في أزمنا الدهر  
ونخضع أعناق الملوك لمرنا • وهربا منا على بعدنا الذكر  
وما في ملوك المسلمين مجاهد • سوانا ، فإ يثني حمر ، ولا نمر  
جعلنا الجهاد حمنا واشتنا لنا • ولم يلهنا عنه السباع ولا الخمر  
ومنا أيضا قوله :

بنا أيد الإسلام ، وازداد عزه • وذل لنا من بعد عزته العسكر  
قتلنا الوثني حين سار بجمعه • تحف به الفرسان والعسكر المجر  
ومحن أسرا الجوسلين ولم يكن • لينشئ من الأيام نالبة تصبر  
وكان يظن الفرأنا نعيمه • بمال ، وكم ظن به يهلك الفر

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، الدكتور / أحمد بدوي ص ٥٠٣  
ودبران أسامة بن منقذ ص ٢٠١ وما بعدها .

فلما استبحرنا ملكه وبلاده ولم يبق مال يستباح ولا ثغر  
كحلناه نبش الأجر في فطنا به . وفي مثل ما قد ناله يحرز الأجر  
وحدث أيضا أن طلب نور الدين محمود من العباد الكاتب أن ينظم قصيدة  
على لسانه يفخر فيها بمجاهده ضد الصليبيين ليرسلها إلى بغداد ، فأشاد العباد  
قصيدة يقول فيها (١) :

من ذا الذي سار سيرى في ولائكم

غداة قال العباد : لاسير عند عصا

قد نال عمك محمود بها ظفرا

ما زال يرقبه من قبل مرتبعا

من خوف سطوته أن البدو إذا

أم الثغور عسلى أعقابها : تكصا

هذا ويبنى أن تشير هنا إلى أن شعر الفخر والحاسة الذي أوردته المعسر  
الصليبي يختلف اختلافا كبيرا عن شعر الفخسر والحاسة الذي قاله الشعراء  
العرب في الجزيرة العربية ، ولعل السبب في ذلك إنما يرجع إلى الباء في  
الحالتين ، فباءت شعر الفخر والحاسة عند العرب إنما كان مرادها إلى المعصية  
القبيلية ، أما الباءت على هذا الشعر في عصر الحروب الصليبية فإنما هو الدين  
وليس شيئا آخر .  
ومن شعر أسامة بن منقذ الذي يفخر فيه بشجاعته وبأسه قوله (٢) :

(١) الروضتين ١ / ٢١٨ مطبعة وادي النيل بمصر .

(٢) ديوان أسامة بن منقذ ص ٢٠٩ .

أنا تاج فرسان الهياج ومن بهم  
ثبت أواشي ملك كل متزوج  
قوم إذا لبسوا الحديد مجبه من  
بحر تدافع في لظى متوج  
صير إذا ما ضاق بمترك القنا  
فرجت سيوفهم مضيق التاج  
وإذا رجسوتهم لنصر صدقوا  
بظلم باسم وجاء للترجي

وقوله (١):

إن يحدوا في السلم من رلى من الدر الخفيف  
فما أمــــين النفس في يوم الوغى بين الصدوف  
فلطالما أقدمت إقــــمــــد دام الخنوف على الخنوف  
بمزجة أمعى مــــلى حد السيوف من السيوف  
ويملل لشجاعته ، ويرشح سر إقدامه فيقول (٢):  
يجهل في الإقدام رأي ممشر • أراهم إذا فروا من الموت أجهلا  
أرجو أنني عند انقضاء حياته • وإن فرعن دود المنية من حلا  
إذا أناجه الموت في حومة الوغى • فلا وجدت نفسى من الموت موتلا  
ولئن إذا نازله ككش كتيبة • فليست أبل أيضا مات أولا

(١) الديوان ص ٢١٢ .

(٢) الديوان ص ٢١٨ .

#### سادساً : الزناء :

وكان الزناء من بين أغراض القصر يومئذ ، ونعني به زناء القصراء . الأبطال الحروب الصليبية . والزناء هنا مثل المدح ، فهو أجيد للمباراة في القائد الذي رحل ، وبيان الصفات الحميدة التي كان عليها ، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنما هو يمثل الورعة والحركة على فقد هؤلاء الأبطال الذين واصلوا الجهاد ، ودعوا إليه ، وأخذوا يقاومون الصليبيين ، ويصدون في قتالهم ، فصدقوا بذلك ما علموا أنه عليه . . . والقصراء في بكتهم على هؤلاء الأبطال حينما يزل بهم الموت إنما يعتقدون أن الحسارة فيهم ليست خسارة في فرد .

وقد ظهرت في عصر الحروب الصليبية بعض الشخصيات الإسلامية العظيمة ، تلك التي قادت المسلمين ، وحقق لهم الكثير من الانتصارات الباهرة ، وجمعهم بسدد التفرق والفتنة ، ومكنت للمسلمين من استعادة المقدسات التي أخذت منهم . وواجب القصر أن يقف ناديا عندما يهوى بطل من هؤلاء الأبطال ، وأن يسجل له ما قدمه في حياته ، بما يخلد ذكره ويضعه أمام الخلف قدوة صالحة ، وليس يشرب على شعراء المسلمين أن يظهروا الأسمى والورعة على هؤلاء الأبطال ، وأن يتحصروا عليهم ، ويذكروا ما أثرم بعد موتهم ، لأنهم بذلك إنما يصورون آلام المسلمين ، ويمكنون لوعتهم على فقد مثل هؤلاء الأبطال .

ومن الشخصيات العظيمة التي زناها القصراء ، عماد الدين زنكي ، ذلك الذي اتسع سلطانه وتموده على حساب حصون الصليبيين ، وقد استطاع أن يستولي على ممالكهم وحصونهم ، وقد استشهد ليلة الاحد السادس من شهر

ربيع الآخر عام ٥٤١ هـ ، وعقب وفاته أخذ الشعراء يتظاهرون فيسه أشعارا  
تتطر بالاسى والمراعاة .

وفي رثائه يقول أبو يعلى الفلانسى (١) :

وكم ممقل قد رماه بسيفه • وشيخ حصن لم تفته غنائمه  
ودانت ولاية الأمر فيها الأمر • وقد أمنتهم سكنته وخراجه  
وأمن من في كل قطر بهيبة • نزاع بها أعرابه وأناجه  
وعظم قوم حين يذكر عدله • فقد زال عنهم ظله وخصامه  
وكم ثمة سر إسلام حماء بسيفه • من الروم لما أدر كنه مراحه  
وبعد وفاة حماد الدين بأى بعده أبشع نور الدين الذى كان يشرفه حماسة  
وشجاعة ، وقد أوقف حياته كلها على هدف واحد هو إخراج الصليبيين من  
بلاد الإسلام .

والحقيقة أن ملك نور الدين قد اتسع ، وكان له فضل توحيد الجبهة  
الإسلامية ضد الصليبيين ، وقد حقق خطرات عسكرية ذات أهمية في تاريخ  
الحروب الصليبية ، وكانت ذات أثر في تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى بين  
المسلمين .

ويعطى نور الدين إلى رحمة الله في شهر شوال من عام ٥٦٩ هـ بعد جهاد  
طويل حقق فيه الكثير من الانتصارات ، وقد خلفه الشعراء بقصائد عديدة  
وأخذوا يذكرونه ويتألمون لفقدته . ومن الشعراء الذين رثوه البهادر الأصفهاني

(١) ذيل تاريخ دمشق للفلانسى ص ٢٨٦ ، والروستين ١ / ٤٥

مطبعة رادى النيل .

فقد قسم في رثائه له نصيباً طويلاً فيها انتفجج والوجع لما لحق بالمسلمين من  
بلاد عقب وفاته، ثم بين فضله في محاربة الغيليين، وأشار إلى القس راغ  
الكبير الذي تركه بموته في حياة المسلمين .  
يقول (١) :

الدين في ظلم لنيبة نوره	والنهر في غم لفقد أسيره
قلندب الإسلام ساقى أهله	والشام حافظ ملكه وثغوره
من ينصر الإسلام في غزواته	ظفد أصيب بركشه وظهيره
من لفرنج ومن لاسر ملوكها	من الهدى يبنى فكاك أسيره
من البلاد ومن لنصر جبرشها	من الجهاد ومن لحفظ أموره
من الفتوح عا ولا أبكارها	برواحه في غدوره وبكوره
أنه الذي أحيت شرع محمد	وقضيت بسد وفاته بثغوره
كم قد أقت من الشريعة معلما	هو مد غيت أعرش لثغوره
كم قد أمت بمفر خندق معقل	حتى سكنت اللحد في محفوره
كم قهر للردم رمح بقسوة	إرواء بعض الهند من تاهوره (٢)

أوتيت فتح حصونه وملكك عقر بلاده وسبيت أهل قصوره  
وفي دمشق وفي السابع والشر بن من صفر عام ٨٨٩ هـ ينقل . وحسد  
البلاد الإسلامية صلاح الدين الأيوبي إلى الوفيق الأعلى ، ويودعه الله -الم  
الإسلامي والعربي وداطراته أ ، وكان موته دافساً قويا للشراء لأن يكوا

(١) الروضتين ١ / ٢١٤

(٢) التامور : النفس أودم الويد .

مصائب الأمة الإسلامية ، كما كان كلولة أئمة على الأمة الإسلامية ، فلفذ عات ولم يبلغ الستين من عمره ، ولم يدع له هذا الموت السريع الفرصة ليؤسس دولته وليضع لها النظم في الحكم والادارة .

وقد رثاه الشعراء بقصائد باكية ، ومن هؤلاء المصنف المصنف الذي يقول (١) :

من للملا من اللوى من قهوى      يحصيه من تلباس من الشائل ؟  
طلب البقاء للملك في آجل      إذ لم يبق بقاء ملك العاجل  
بحر أعاد البر بحرًا بره      وبسيفه فتح بلاد الساحل  
من كانت أهل الحق في أيامه      وبهزم يردون أهل الباطل  
وفتحه والقدس في أيكاهما      أبقت له فضلًا بهير مساجل  
فسفك رحمة وان الإله لا تني      لا أوتعتى سقيا الذمام الحامل  
ومن للملاحظ أن الشاعر يشتم في رثائه هذا بالمردعية والواقعية ، ذلك لأنه يلتزم في الأبيات بالمضمون الحقيقي الذي كان في حياة القائد صلاح وقد عثر عن حزنه العميق وأساءه الأليم لهذه المفاجئة التي أحابت المسلمين . وبعد أن انتهت الدولة الأيوبية جاءت بعدها دولة المماليك (٢) واستمرت هذه الدولة تحارب العلبيين ، وتحاول القضاء عليهم ، حتى استطاعوا في النهاية أن يحققوا حلم الأمة الإسلامية بإجلاء العلبيين عن بلاد الشام . وكان للملك المنصور علاون دور كبير وباع طويل في الجهد أد ضد

(١) الروضتين ٢ / ٢٧٠

(٢) انظر عصر سلاطين المماليك ونتائج العلم والأدب د/ محمود دوق سليم .

الصليبيين ، وقد أطل في الحبروب معهم بلاد حسنا ، وقد انتصر عليهم في أكثر من معركة ، واستطاع أن يفتح حصن الرقب بالآمان سنة ١١٨٤ هـ وكان هذا الحصن يمد من أقوى مداخل الصليبيين وأشدها ، ليس هذا الحبيب بل إنه قد تمكن من طرد جنود الصليبيين عن ساحل الشام ، الأمر الذي جعل عددا كبيرا من الشعراء يمجيدون بأفكاره ، ويمتدحونه على ما قام به من جهود في جهاد الصليبيين الفزاة .

وحين توفي المنصور قلاوون رثاه الشاعر شهاب الدين أبو التاء محمود بن سليمان الحلبي بقصيدة طويلة منها (١) :

ملك معني لسيده وسـبيـله      في نصرة الإسلام حكم يقتنى  
سل يرمح حصن عن الأيوبي وقد سطا      في شملها هل بعد ذلك تألفا ؟  
وانظر تجد تسعين ألفا منهم      ذهبوا ، كما حكيت صوارمه خفا  
وغدروا وطاء لوى فلنك ترى      من حافر قد داس خذا مرقا  
وللرقب المائي الذي ساء السبا      ففدا على نهر المجررة مشرقا  
واقى إليه بدومة جامت به      يوم الأباد مسلما مستعظا  
وكنا طرابلس التي لم يرجعها      ملك سواء إذا تلبسه أو غفا  
ولسك أباد هذا وكـم أبدى يدا      وندى ودد رسم مكرمة عفا  
ومن للملاحظ أن رثاء الشعراء البطل من أبطال الحروب الصليبية لم يتجاوز تصوير ما قدمه هذا البطل في حياته ، مما يفتقد ذكره ، ويجعله قدوة في الجهاد يقتدى بها ، ويلاحظ كذلك أن الروح الدينية تدرى في هذا اللون من

(١) الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي ، د / محمد الطحفي ص ٨١ ، ٨٢



الصبر ، فالمرثو كان حليبا للإسلام ، وهو نجم أفل من نجوم الإسلام ، وهذا بالإضافة إلى ما سجله الصبر لخلوة من صفات كنفاد البرية ، ومضاء الرأي وسداده .

ولم يقتصر دور الصبر على رثاء المطيباء والقواد ، والبكاء على فراقهم ، فهناك منهم من بكى المدن الإسلامية التي استولى عليها الصليبيون وسقطت في أيديهم ، وأظهر الأمل لما أصاب هذه المدن من الخراب والدمار . فكان يتحدث الصبر عن المظالم يندم يتحدثون عن المدن ، وكان يتحدثوا عن أفراس المسلمين وانتصاراتهم يندم يتحدثون عن أسرارهم وآسبهم ، ومن هذه الأحرار ما قام به الملك المظلم عيسى صاحب دمشق عام ١١٦٠ هـ بتخريب بيت المقدس حينما بلغه أن الأفرنج حاصرون على دخوله ، الأمر الذي أوقع في هذا البلد المقدس حجة عظيمة (١) وأثر بدووه على كثير من الصبراء ، فأطربوا خفقهم وأجبع الحزن في نفوسهم .

وحين حاصر الصليبيون بيت المقدس ، واشتعل المذابحون عنه إلى السلم تحت ضغط الحصار وانقطاع المدد ، اندفع الفرسا تعذب نفوسهم بالحقد ، وتلعب بقوهم نشوة الانتصار المؤقت ، فذهبوا كل من كان قوة من المسلمين نساء وأطفالا وشيوخا .

وقد أشهد الأيوبيون قصيدة يبكي فيها حال القدس وأهلها ، يقول (٢) :

(١) النجوم الزاهرة ٦ / ٢٤٥ وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر .

(٢) انظر الأبيات في ، أولا : شعر المدحوة إلى الجهاد .

خرجت تمام المروج المواجه \* ثم بين منا عروضة الخراج  
وهذه أبحاث الفاضل شهاب الدين أبي يوسف بن قنبر بن الجنادي  
القدس والمسجد الأقصى، وهو عن عامة غريب القدس فيقول (١):  
أعني لا فرق من المرات على في البكا الأسماء بالبركات  
لعل سيره للمنع يلقى فيها ترقه ماق القلب من جترات  
ويقلب أسعد فان وجهك كلها خبث بأفكار يطف الخسرات  
ويافق مع بالبحر منك لستك يروح له ألقى من العسكات  
على المسجد الأقصى للذي جل قدره على موطن الإخبات والمسلوات  
على منزل الأملاك والرحمن والقدس على عهد الأجدال والقيادات  
على سلم للمراج والمصخرة التي أذهت بجاف الأرض من مسخرات  
على القبة الأولى التي أجهت لها صلاة الجوايا في اختلاف جهات  
لتيك على القدس البلاد بأسرها وتعلن بالأجزاء والبركات  
لتيك عليها مسكك في أندية وتتكو الذي لاقت إلى عرفات  
لتيك على ماسل بالقدس طيبة وتخرج في أكرم المصبرات  
فن ل نراج يتحن صل الذي يمان بأصوات لمن النجاة  
يرددن ينشأ للخرام قاله (٢) يؤن في - خيرة الخيرات  
مداس آيات خلقت من تلاوة ومنزل وحى مقفر المصبرات

(١) الروضتين ٢ / ٢٠٦ -

(٢) المقصود بالخرام هو دعبل الخرام.

وحين استولى الصليبيون على معرة النعمان في بدايات غزوهم لبلاد الشام  
فهدد الصغراء بأسفون لهذا الحدث الأليم ، وبرثها وجبه بن عبد الله التتوخي  
بأبيات جريئة باكية ، وبأخذ بأسف على غنايتها وعلى ما أصاب أهلها من  
خراب ودمار فيقول (١) :

هذه بدة قضى الله يا صا • ح عليها كما ترى بالخراب  
فقف الميس وقفة وابك من كا • ن بها من شيوخها والشباب  
واعتر إن دخلت برما إليها • فاقمى كانت منازل الأحياء  
ونغم الكلام هنا بملاحظة وهي أن الصغراء في رثائهم للقادة والأبطال  
إنما كانوا يلزمون الحقيقة والوضعية ، فهم يذكرون الصفات الحقيقية التي  
كانت المرئي ، ويذكرون ما تحصل به من صفات وغيرها مما يتعلق بموضوع  
الجهاد والذب عن حياض المسلمين ، وما يتعلق كذلك بدوره في استرجاع  
البلاد التي استولى عليها الصليبيون . كما أننا نلاحظ أن بكاء الصغراء على القادة  
والمعلماء في هذه الفترة من الزمان لم يكن مبعثه أن زعماء مسلما قد مات لحرب  
بل كان مرده إلى أن قائدا عظيما قد فقدته ساحة الجهاد ، وأن هذا القائد قد  
ترك برحيله فراغا كبيرا في صفوف المسلمين ، ومن ثم كان الرثاء ، وكان بكاء  
وكانت الحسرة والوعة .

(١) مرآة الزمان في تلويح الأحياء ، لشمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي  
ج ٨ قسم ١ ص ٣٤ . مطبعة حيدر آباد ، الطبعة الأولى ، ونشر مجلس  
دائرة المعارف الشامية بالهند ١٣٧٠ هـ .

#### سابعاً : تهديد الأعداء :

من المعروف أن الشعر رسالة أساسية في الحروب الصليبية ، ولعل الأسماء الذين كانوا على رأس الجيوش قد أدرجوا أثر الشعر في الحروب فأساطروا الشعراء بالتكريم والتقدير ، مما ساعدهم كثيراً على أداء رسالتهم ، والقيام بما يتناط بهم من مهام .

ومن مهام الشعر في هذه الفترة إضغاط الأعداء ، ومحاولة التأثير في قوتهم للدوية ، ومن هنا كان تهديد الأعداء موضوعاً من موضوعات الشعر في عصر الحروب الصليبية ، فهو من جهة له أثر بالغ في استنهاضهم للسليخ ومن جهة أخرى كان ممول هم في صفوف الأعداء ، وغرساً لعمال اليأس في نفوسهم عن القتال .

والحقيقة أن الشعر قد بدأ التهديد والوعيد مع أولى المادوك التي عاشها المسلمون وحققوا فيها أعظم الانتصارات . فهاهو القيسراني يتقدم معركة حصن بلربن في عهد عماد الدين زنكي ، ولا يفوته أن يهدد ويتوعد الأعداء ، ويحث اليأس في نفوسهم ، ويضيق أمامهم سبل النجاة يقول (١) :

حذار منا وأنى ينفع الحذر . - وهي الصراخ لا تبق ولا تذر  
وأين ينجز ملوك الترك من ملك

من خيله الشعر لا بل جنده القدر

سلوا سيوفاً كما غاد السيوف بها

صالحوا فبا غمدوا فصلاً ولا شهروا

حتى إذا ما حماد الدين أرقهم • في مازق من شناه يوق البصر  
ولوا تعيق بهم ذراعاً من الكيم • والموت لأفجأ منه ولا وزر  
ويمدح الرما على يد ذلك يقول (١) :

وهل يمنع السور من طالع • يشابه القدر فتنازل  
شفقتم إليها بحمار الحد • يد ملتحماً موجه لمطالع  
وتختم غلمان الردى بالردى • وعن نفسه يدفع القاتل  
أرى القس يأمل قوت الرما • ح ولا بد أن يضرب القاتل  
يقوى معاقلة جاعدا • وهل عاقل يندمها عاقل  
وكيف يضبط بوق الجهد • تدل على قلت حيلته الحاصل  
وفي المناسبة نفسها يقول (٢) :

فلن ينكل الإبريز فيها حيلته • وإلا قتل للنجم كيف سئلته  
ولتدسوا يا التمهص تمهص هونها • كما تنزى عن حريق خراجه  
إله أن يد أسرى الضلالة بهدا • لقد ذل غاويكم وعن رشاده  
رويدكم لا مانع من مظفر • يماند أسباب القضاة وشاده  
مصيب سهام الزاوي لو أن عزبه • رمى سدذي القرنين أحصى سداه  
وقل للموك الكفر تسل بعدد • بما السكيا إمت البلاد بلاه  
كناهن طريق الصبح أينما الدجى • فيا طاملاً غال الظلام امتداده  
ومن كان أملاك السموات جند • غاية أرض لم ترعها جياده

(١) خريدة القصر للراي الكاتب الأصفهاني ص ١١٠ .

(٢) الروضتين ١ / ٩٨ .

وقد بأخذ التهديد طابع السخرية في بعض القصائد ، ومن ذلك قصيدة  
ابن مطروح والتي كانت بعد هزيمة لويس والإفرنج في معركة المنصورة  
وأُسره في دار ابن نقان .

يقول (١) :

قتل للفرنجيس إذا جئت به • مقال صادق من قول فصيح  
أجـرك الله على ما معنى • من قتل عباد يسوع المسيح  
قد جشعه مصرًا تبتنى أخنوخا • تحسب أن الزمر باطيل ومح  
فـ اناك الحين إلى آدم • مذاق به عن ناظر بك الفصح  
• • •  
وقل لهم إن أخرجوا هذوة • لأخذ نار أو لقصد صحيح  
دار ابن لغات على عهدنا • والتبذ باق والطراش صحيح



ثامناً : الهجاء :

والهجاء في هذه الفترة يمتاز بأنه يعدم الجهاد ومقاومة الصليبيين انزواء . وقد تحدث شعراء هذا العصر عن الصليبيين فذكروا صفاتهم السيئة وأكثروا من الحديث عن هذه الصفات ، والشعراء في كل هذا إنما يقصدون التهم بالصليبيين المعتدين ، ويرمون إلى الخط من شأنهم .

والهجاء إنما هجاء للمعتدين الصليبيين كما سبق القول ، وإنما هجاء للتعاونيين معهم ، أو هجاء للتخاذلين عن القتال ، والشعراء يرمون من وراء ذلك كله إلى أهداف معينة وهي التقليل من شأن الصليبيين ، وتهويلهم في أعين المسلمين ، وإظهارهم بظهر الضعف والذلة والخوان ، هذا من جانب ومن جانب آخر تحذير المسلمين من أخطار تعاملهم مع الصليبيين المعتدين .

ويلاحظ في هجاء الشعراء للصليبيين أنهم إنما كانوا ينظرون إليهم على أنهم قوم متخلفون ، لا يعرفون إلا صفات الخسة التي اشتهروا بها كالخداع والتفاني ، والجبن ، والطمع ، والفرار من المسارك والفرع ، كما يلاحظ أن في هذا الهجاء قدرا من الجدل الديني الذي يبرز الشعراء فيه عاصن الإسلام ومدى انخراط الصليبيين في الجمل وانغماسهم في الملة الصليبية .

وفي قصيدة لابن منير الطرابلسي نراه يمدح فيها أمائد تود الدين ، وفي المقابل يهجو العدو الصليبي ويصفه بالتفاني والسكيد المسلمين .

يقول (١) :

وإذا العدا زرعوا التفاني وأحصوا • كيدا فمرمك ناقض حصاد

ثم يصفهم بالندى الذي تنزل في قاتدم ، جوسلين ، فيقول (١) :  
 ما زال يندر ثم يندر قادراً • حتى أتاه بمصاح أصابه  
 ويهجو ابن قديم الحوى الروم بقصيدة قال فيها (٢) :  
 وما جاء كلب الروم إلا ليحتوى • حماة وهل يسطر على الأسد الكلب  
 أراد بها أن يهلك الشام عتوة • وقد غلبت عنه الضراغمة القلب  
 وما ذم فيها العيش حتى صد منه • فإل جناح الجبش وانكسر القلب  
 فولى وأطراف الزماح كأنها • نجوم عليه بالمتى تنصب  
 ومن صفات الإفرنج التي لا يستطيعون التخلص منها صفة القدر ، وكثيراً  
 ما ماجم المسلمون الصليبيين بسبب نقص الآخر من اليهود . يقول أحد  
 القمراء يهجو الإفرنج وينكسر غدرهم بالمسلمين ، وعدم وفائهم بما عاهدوا  
 عليه (٣) :

تعدوا هدنة الصلاح بهول • بعد تأكيدها بحسن الوفاء  
 ولقدوا بغيرهم بما كان فيه • من فساد يعلم واعتداء  
 لأحمى الله شملهم من شتات • بواطن تفوق حد المعتاد  
 لجزاء الكفوف قتل وأسر • وجزاء الشكور خير الجزاء  
 فرب العباد حد وشكر • دائم مع تواصل النعماء  
 ويهجو شعراء المسلمين العدو الصليبي بكل ما من شأنه إضعاف سلطانهم

(١) الروحتين ١ / ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٣٣ .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٣٤٢ .



وتعريضهم للبهانة . فيوم أن أمرت جنود الإفرنج وسبق بها مع القتل إلى دمشق ، وجد الشاعر العربي الفرصة كي يجرهم ، ويستبشر بهذه الهجمة الشاملة يقول (١) :

ما رأينا قوماً تقسّدم يوماً • كمل الحسن غاية في البهاء  
مثل يوم الفرنج حين هاتم • ذلة الأمر والبلاء والفساد  
وبرأيتهم على العيس زفوا • بين ذل وحسرة وعند  
بعد عزهم وهيبة ذكرك • في مصافى الحروب والمجاء  
هكذا هكذا هلاك الأعدى • عند شن الإنارة الشعراء  
لاحم الله شملهم من شنات • بمواضع تفوق حد المضاء  
بجزاء الكفور قتل وأمر • وجزاء الشكور خير الجزاء  
ولرب العباد حميد وشكر • دائم مع تواصل الشعراء

• • • • •

وكما هجا شعراء المسلمين الصليبيين بخدمهم بيجون كذلك للمتخاذلين من المسلمين الذين يقعدون عن القتال ، وأخذوا ينتقدونهم بشدة ، كما يعكسون من جهة أخرى أن هؤلاء إنما يصرفون أوقاتهم في أمور اللهو وفي جمع الأموال وتبذيرها في طرق الفساد .

ومجدح ابن أسعد اللوصلي القائد صلاح الدين لا تنصاه على الإفرنج عام ٥٧٦ هـ في حصن الناقير ، ويخلص من مدح صلاح الدين إلى هجاء المتخاذلين

(١) الروضتين ١ / ١٠٨ مطبعة وادي النيل .

المبتدئين عن الجهاد فيقول (١) :

ليشد حياء وجهك كل وجهه إذا مثل الندى جهم وقاح  
ملوك جملهم مفرى بظلم وشغل بلمسو أو مزاح  
إذا ما جالعه الأبطال ول يفتح نحو جائله الوشاح  
يرى الإنفاق في الخيرات حسرا وأنت تراء من غير الرياح  
هو جمعوا وقد فرقت لكن جمعت به الرجال مع السلاح  
ويون بين مالك بيت مال ومالك رق أملاك التواحي  
وحين سقطت بعض بلاد الشام في أيدي الصليبيين ، وتغصا ذل أسراء  
المسلمين ولم يتحدسوا لفكرة إغوائهم وانتشالهم مما حل بهم ، فحمد الشاعر  
أبا المظفر الأيوبي هجومه بقعيدة يقول منها (٢) :

وإخوانكم بالشام يفتحي مقلهم • ظهور المذاكي أو بطون القشاعم  
كسومهم الزوم الهدوان وأنتم • تجرون ذيل الخفض قمل المسالم  
دعونا كم والحرب تدنو ملحة • إلبنا بالحداظ السور القشاعم  
فإن أنتم لم تفتضروا بعد هذه • رمينا إلى أعدائنا بالجسراثم

(١) مضمار الحقائق ومسر الخلائق ، محمد بن تقي الدين الأيوبي ، تحقيق  
الدكتور / حسن حبشي ص ٤٤ مطبعة دار الهدى بدمشق ، الطبعة الأولى  
نشر عالم الكتب بدون تاريخ .

(٢) الكامل في التاريخ ١٠ / ٢٨٤ نشر دار صادر بيروت ١٩٦٦ م .

\*\*\*\*\*  
الفصل الثالث  
خصائص شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية  
\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*  
\* أولاً : الحاسة المتدفقة وحرارة العاطفة . \*  
\* ثانياً : يروى روح الجهاد والقوة وللمعانى الإسلامية . \*  
\* ثالثاً : تسجيل الأحداث الكبرى . \*  
\* رابعاً : الصديق القوي في نقل التجربة . \*  
\* خامساً : خصائص خاصة . \*  
\*\*\*\*\*

ونفهي بالخصائص السيات العامة التي يتسم بها شعر الجهاد في جهلته ، والتي يتميز بها عن غيره من الشعر .

وقد يتفق شعراء العصر في هذه السيات أو بعضها مع غيرهم من الشعراء الآخرين ، لكن الذي يلفت النظر أن شعراء العصر الصليبي لهم حياتهم الخاصة ، ولهم أساليبهم التي عاشوا بها تلك الحياة ، والتي أثرت في نفوسهم ومشاعرهم ، وبما يوضح ذلك التميز أن شعر الشعراء في جهلته لا يتجاوز بأى حال من الأحوال تصوير مشاعرهم ونفسياتهم .

والحقيقة أن الحروب الصليبية قد تركت آثاراً ظاهرة في الشعر العربي تبيينها واضحة فيما أنتجته الشعراء ، وهذه السيات العامة التي برزت في شعر تلك الفترة إنما كانت ناتجة في المقام الأول عن الحروب والصراع الذي كان بين المسلمين وأعدائهم الصليبيين ، وقد قامت في جانب كبير منها على أساس من الأدب العربي للوروث ، إذ أن لها مشابهاً في الشعر العربي الذي كان قبل الحروب الصليبية ، فالشعراء في المصور الإسلامية لم يقهروا قط في تجديد أبطال الحروب الإسلامية .

ويمكننا أن نقول إنه على الرغم من أن أسس هذه للظاهر وتلك الخصائص كانت متأصلة في الشعر العربي الذي كان قبل الحروب الصليبية ، فإن الشعر في عهد الحروب الصليبية يمتاز بظواهر معينة طبعته بطابع خاص ، ويمكن اعتبارها لدى الناقد الدقيق الجسم من أهم العوامل التي تميز شعرهم عن شعر من عداهم من سيقوهم بصفة عامة .

وأبرز هذه الخصائص وتلك السيات مايلي :

أولاً : الحاسة المتدفقة وحرارة العاطفة :

العاطفة عنصر هام من عناصر الأدب ، وركن أساسي من أركانه ، بل هي  
مهاده ، وهي التي تنتج صفة الخلود (١) :

والعاطفة هي التي توجه خيال الشاعر ، وتدفعه إلى انتقاء الألفاظ  
واختيار صور القول ، ثم هي التي تجعل الشعر صورة صادقة لنفس الشاعر  
وقطعة من حياته ، وتكشف عن تجربته بروح ، بل إن أول ما يتبين به  
الشعر أقوى الصادق أنه تعبير عن عاطفة تجيش بنفس الشاعر ، أما الشعر  
الضعيف فهو الذي لا يقع من عاطفة ، وهو شعر ياتي كله ذاتفا تعود  
الحرارة .

والشاعر الخلق هو الذي تتضح في نفسه تجربته ، ويقف على أجزائها  
يفكره ، ويرتبها ترتيباً قبل أن يفكر في الكأبة ، والتجربة الشعرية يستغرق  
فيها الشاعر لينقلها إلينا في أدق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجي فتتمثل  
فيها الحياة واللون الصراع التي تتمثل في النفس أو الفرد إذاً الأحداث التي  
تحيط به ، (٢)

وفي الشعر يقول الأستاذ أحمد الشايب : « وخلاصة ما يقال فيه أن يكون  
تعبيراً صادقا عن العقل والعشور ، حتى يستطيع نقل «أق نقب» الشاعر إلى  
نفس القارئ » ، ويعضد بذلك التهذيب والتأثير ، (٣) .

(١) النقد الأدبي ، أحمد أمين ١ / ٢٢ ، النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة .

(٢) النقد الأدبي ، الدكتور / محمد غنيمي هلال ص ٣٨٤ ، دار النهضة .

(٣) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ص ٢٠٢ ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣ م .

والحقيقة أن العهد الإسلامي لم يعرف حروباً كانت بمثابة مجازر جمادية مثل تلك التي شهدناها في عصر الحروب الصليبية ، إذ كان خطر الصليبيين خطراً دائماً ، وكانت جيوشهم بمثابة عسود انتفض بكل ما أوتي من قوة للاستيلاء على كل البلاد الإسلامية ، وقد أظهروا في غزورهم ما أظهره من حروب الوحشية وألوان القسوة والجبروت ، ولم لا وقد تماهدت سلوك الكافر على أن ينهضوا إلى جيوش الصليبيين من كل فرقة طائفة ، ويرسلوا إليهم من كل سلاح شوكة .

وكل هذه الأحداث أوحى بشعر تدفقت الحساسة في أرجائه ، وبما عطف حارة تبعث فيه الحساسة والقوة ، الأمر الذي بين مدى ما كان يعتدل في نفوس الشعراء يومئذ من اضطراب ناز الأمل لاغتصاب أراضي المسلمين من جهة ولما أصاب البلاد التي دخلها الإفرنج من تشريد ، وحطم ، وترويع للآمنين وتحكيم السيف في رقابهم ، واستباحة كل حقوقهم وأعراضهم .

وقد تلون الشعر في هذا العصر ألواناً شتى : بين فرح وحزن ، وحسرة ورجية ، وبين قوة وإقدام ، أو خوف وذعر ، إلى غير ذلك من ألوان المعاطف والانفعالات التي ألمت بالامة الإسلامية في تلك الفترة من الزمان وليس يخفى أنه قد تأثر في جميع صوره بالعصارات الموجودة بين المسلمين والصليبيين ، فقد تسلط هذا الصراع على الشعر ، ودفعت الفكرة الدينية الشعراء إلى أن ينظموا شعراً في الدعوة إلى الجهاد ، وقد ألزم كل الشعراء بهذا فلم يجدوا عنه إلا نادراً .

يقول الدكتور / أحمد أحمد بدوي : « وما هو جدير بالذكر أن فكرة

الوطنية والقومية لم يظهر هناك أثر ما في شعر هذا العصر ، فلم يكن ملوك هذا العصر وسلاطينه يحاربون الفرنج على فكرة أن هناك وطناً لهم متصباً فمظالمهم لا يتحدد من أصلا ب أحسب البلاد ، وإنما كانت الفكرة السائدة يومئذ هي "فكرة الدينية" ، وهي الفكرة التي سادت نفوس الشعراء في ذلك العهد ، فلم يكن الخوف من سقوط ديارهم مثلاً في يد الفرنج أن يجزئهم من أرض الوطن المصري أو العربي ، سيقع في يد العدو ، ولكن لأن المصنف سيحل محله الإنجيل ، والأذان سيلقى ويأتى بدله الناقوس .

وإذا كنا قد رأينا بعض شعراء ذلك العصر يشتاقون إلى دمشق ؛ أو إلى القاهرة فلم يكن ذلك منبعثاً عن شعور وطني ؛ أو فكرة قومية ، ولكن عن عاطفة شخصية مبعثها ما وجدته الشاعر من سعادة هنا أو هناك (١) .

والحق أن هذا الشعر قد أتم ثورته وانفعالا في نفوس مستعمية من غير المحاربين ، لأنه شعر واقعي يقوله الشعراء فيما يعيشونه ويفكره ، لا فسيحا بتصويراته وبتشكيلاته ، فهو يدور حولهم ، ويصور إيمانهم ، ويفتخر بانتصاراتهم ، وهذا يشير إلى أنه ينبثق عن إيمان قوي وانفعال عميق ، وغيرة بالغة . ويتصف كذلك بتصوير الحال تصويراً ينبثق من نفس المستمع ما يشده الأدب من إثارة نفسه ، ومدفق عواطفه ، ولذلك فليس غريباً أن نقول إننا نقرأ أشعار شعراء الحسروب الصليبية فنحس كأننا نراهم ونرى حياتهم وظروفهم ، ونلص بمحاسن البواعث التي ساقطتهم إلى هذا اللون من الشعر .

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ١١٨ .



والحقيقة أنه كان لهذا الالتزام الذي أخذ به الشعراء أنفسهم ، ولهذاذا الطابع من الحاسة للتدفقة وحرارة العاطفة ، كان لهذا كله أثر واضح في تشابه شخصيات الشعراء من جانب ، وفي خلق التشابه والتكرار في شعرهم من جانب آخر حتى أشكلت نسبة كثير من شعر الشعراء إلى أصحابه الحقيقيين واختلفت الروايات حول نسبة بعض الشعر لبعض الشعراء أو لغيره .

ولعل السبب في خلق التشابه والتكرار في شعرهم ، وإشكال نسبة من هذا الشعر إلى أصحابه الحقيقيين ، أن أكثر ما عبر عنه الشعراء آنذاك محدود مشترك بينهم جميعا ، فهم يتفنون بعاطفة واحدة ، ويتزعمون في الغالب الأعم إلى هدف واحد . يرى رأيي أن مثل هذا التشابه وذلك التكرار لا ينقص بأي حال من الأحوال من شأن هؤلاء الشعراء ، ومن شأن شعرهم ، كما لا ينقص من درجة الصدق والإخلاص فيه ، لأنه ليس تكرارا بالتقليد ، أو استعانة لنموذج شعري غالب ، بل حياتهم التي عاشوها قد وفرت لهم مادة غريبة لفنهم استلهموها ولم يشتغلوا بتكرارها .

والحقيقة أن الخطر الصليبي كان بلا حدود . يرى ابن تغري بردى أن الفرنج حين توغلوا في أراضي المسلمين واستولوا على بيت المقدس ، وأصابوا فيه السكان ما أصابوا من تشريد وذبح وقتل عذرج المستنقرون من دمشق ووصلوا إلى بغداد ، وأخذوا يبيكون ويستغيثون ويستجدون ، وكان معهم قاضي دمشق ، زين الدين أبي سعد الطروى ، أقسام القضاة في الديوان وأتى بكلام أبي الحاضرين .

وقد أنشأ الفاضل المروى في ذلك قصيدة مؤثرة ومنها (١) :

أرى أمي لا يشرعون إلى العدا • رماحهم ، والدين وأهل الدعاء  
وليهم إذ لم يذودوا حبة • عن الدين منثوا غيرة بالمحارم  
ولذ دعوا في الأجر إذ حرم الوغى

فملا أنوف وغيشة في الفناء  
وتزداد الحاسة وتقوى الماخفة في ذلك الشعر الذي قيل في أوقات الحين التي  
مرت بمصر والعراق وما بينهما بأعياء هذه الحروب . ومن الطبعي أن  
يستجد أهل الإسلام بعضهم ببعض ، ويستنجذوا من يمكنه المساعدة ، ومن  
ثم رأينا رسائل الاستنجاد تكثر ، وكان كاتبها يث فيها ما يبعث في المرسل إليه  
الغضب وحس الانتقام ، فيمد من ثم العدة ، حتى لا تستزل بأراضي المسلمين  
الكوارث . وقد تضمنت تلك الرسائل وصفا للفرنج ، وبياناً لظلمهم وخطأ  
تعميمهم ، كما وصفت هذه الرسائل إقبال العلبيين على الحروب في حاسة  
وغشيرة .

وقد أرسل صلاح الدين الأيوبي وهو عند عكا يكاد الحرب مع العلبيين  
برسالة إلى بغداد ، كما أرسل برسالة أخرى إلى رجال أطراف الدولة  
الإسلامية ، وقد تضمنت هذه الرسائل شرساً لما لاقاه المسلمون في حصار عكا  
من ويلات ، وتضمنت كذلك طلب العون والتجدة . . كل ذلك بهدف  
تحفيز المسلمين للإقبال على الجهاد والتفرة في سبيل الله ، وقد قدم التالي

والرخص في سيل طرد الافرنج واجلائهم عن ديار المسلمين (١) .  
ولم تكن هذه هي كل رسائل صلاح الدين ، بل لانه قد أرسل رسائل عديدة  
يحدث فيها من تهادى الافرنج في الاستيلاء على بلاد المسلمين ، فقد أرسل رسالة  
إلى المغرب ، كما أرسل رسائل أخرى إلى أخيه سيف الاسلام يستقدمه إليه  
وكثيراً ما كانت هذه الرسائل تفتح بأبيات حماسية من الشعر ، تحرك الحمم  
وتدعو إلى اجتماع الثمل على قتال الافرنج ، وتعاون كل أفراد المسلمين على  
لقاء العدو الذي أخذ يجمع شمله المبدد بعد معركة بيت القدس ، وعن ثم فلا بد  
من الاعداد له والتأهب لردّه ، ومثالة مايقى في يده من أرض ممتصة .

ومن الذين كتبوا الكتب وأرسلوا الرسائل المدظم عيسى ، طين ساهر  
الفرنج الطور تجهه يرسل كتاباً إلى بغداد يستنضم ، ويطلب منها النجدة ،  
ويحذو الخليفة من تهادى الافرنج في الاستيلاء على الأراضى الاسلامية ، وقد  
صدر المدظم كتابه هذا يبين من الشعر قيل لهما الأمير عبد المحسن الكاتب  
الحلي وحما (٢) :

قل للخليفة لا زالت عساكره • لها إلى النصر إصداد وإيراد  
إن الفرنج يحصن الطور قد نزلوا • لا ينفان ، لحسن الطور بغداد  
وفي البيت طلب الامراع بالنجدة ، لأن تأخرها يضعف من قوى  
المسلمين بقدر مايزيد في قوة الافرنج ، كما أن في البيت تحذيراً من عاقبة التقاعد

( ١ ) انظر الروضتين ٢ / ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٨٨ .

( ٢ ) ذيل الروضتين ، لعبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي ( أبي شامة ) ص ١٠٣  
الطبعة الأولى ١٩٤٧ م .

عن تقديم البويع والنجدة ، وما يستلزم ذلك من عراقب وخيبة ، وأشد ألوان الضرر .

وحين حاصر الفرنج ميناء دمياط اضطربت بها الأمور ، وبلغ الضيق مبلغه بالنفوس ، فقامت الفتات ، واشتد غلاء الأسعار ، وكثرت الأمراض ، وبدأ الجوع بفعل فعله في أهالي المدينة ، واشتد الأمر كثيرا على الملك الكامل لأنه رأى الامدادات تتوالى بكثرة على الصليبيين ، ولذلك كتب من وقتها رسالة إلى أخيه الملك الأشرف موسى يستنصره ويطلب منه أن يسرع في الوصول إليه ، وقد أقبل الملك الأشرف دون إبطاء وتعاون مع أخيه في وجه العدو ، والتأم شمل الأسرة واتحدت كلمتهم على نحو لم يحدث منذ عهد صلاح الدين .

وأثناء هذه الظروف القاسية التي واجهت مدينة دمياط كتب الأمير جمال الدين الكنتاني أحيانا يشكو فيها حال دمياط وتحطم قوى سكانها معنويا وقد توجه بهذه الآيات إلى الملك الكامل ، وقد أحدثت هذه الآيات أثرها في نفس الملك لدرجة جعلته ينادى بالجهاد العام .

ومن هذه الآيات (١) :

يا مالكي ، دمياط تفر خدمت	شرقاته ، كادت تخرج أصوله
يقريك من أذى السلام تحية	كالمسك طاب دقيقه وجليله
ويقول عن بعد ، وأنت سامع	حتى كأنك جاره وزميله
يا أيها الملك الذي ما إن يرى	بين الملوك شبيهه وعسديله

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك للقرنيزي ١ / ١٩٩ .

هذا كتاب موضح من حالتي  
أشكر إليك عدو سوء أجدت  
قالير قد منعت إليه طريقه  
نفضوعه باد على أراجسه  
ولو استطاع لام بابك لانتذا  
فقد انتهت أدواؤه ونجحت  
وبقي له رمق يسير ، يرتجى  
فاحرس حمام بعزمة تشي بها  
فأله أعطاك الكثير بفضل  
فالعذر في نصر الإله ودبته  
والشر ناطسره إليك عذقي  
ولئن قدمت عن القيام بنصره  
ووهبته في القرآن فيه ورفعت  
وعلا صدق الناقوس في أراجانه  
هنا وحققك وصف صورة حاله  
وكشفك يا ابن الأكرمين بأنه  
حققت رجاء فيك ، يامن لم يغيب  
وادخر ليوم البعث فلا صالحا

ما ليس يمكنني ليدك أقوله  
بجميعه فرس—انه وخيوله  
والبحر عن لنصره أسطوله  
وحثينه ، وبكاؤه وعويله  
لكنه سدت عليه سبيله  
علاته ، ونجا عليه نحوله  
أن يشتقي لما دعاك عليه  
دام بتلك يرتجى تمليل—له  
ورعنا من هذا الكثير قليله  
ما سأغ عند الدليلين قبوله  
ما إن يعل من الدموع هموله  
جفت فضاوته ، وبان ذبوله  
صلبانه ، وتلى به إنجي—له  
وخفى على سمع الوردى تهليله  
حقا ، وجملة ، وذا تفهيله  
أضى عليك من الوردى تعميله  
أبدا لراحي جسوده تأميله  
الله خامن أجره وكفيله

وفي الأوقات العصيبة التي تستدعي تحرير الشعب واستمحاءة للقتال ،  
وحته على الجهاد ، كان الشعراء يقبلون على من يتوسمون فيهم من الملوك

حب الجهاد ، يشدون من عزيمتهم ، ويباكون خطيئتهم . ولا شك أن الشعراء  
يملكون ما للشعر من تأثير في النفوس ، فأنفقوا في نظمته ، وأخذوا يديرون  
فيه عن آمال البلاد والعباد ، ويستحثون الحميم على مواصلة الجهاد حتى الظفر  
والإصابع .

وحين أصاب المسلمين ما أصابهم وجد الشعراء في صلاح الدين الأيوبي  
أمنيتهم المنشودة ، فأحاطوا به وأخذوا يباركون خطواته ويشجعونه على  
تحقيق أمانيه ، تلك التي من أعزها وعلى رأسها استخلاص القدس من أيدي  
الفرقة الصليبية .

ونلح في أبيات المهاد الكاتب الرغبة الملحة في تحقيق تلك النشأة ،  
يقول (١) :

ويوسف مصر يغـير التقي • وبذل الصنائع لم يوصف  
فسر ، وأفتح القدس ، واسفك به • دماء متى نجرها ينظف  
وخلص من العسكر تلك البلا • د يخلصك الله في الموقف  
وحين فتحت القدس على أيدي صلاح الدين معى الشعراء من جوتهم  
يطالبونه بالمضي إلى ما بقى من البلاد تحت يد الفرنج ، فيحاول استردادها .

يقول المهاد الأصمباني في ذلك (٢) :

قل للبلد صلاح الدين أكرم من

يمشي على الأرض ، أو من يركب القرسا :

(١) الروضتين ١ / ٣٦٩ مطبعة وادي النيل .

(٢) المصدر السابق ٢ / ١٠٢ .

من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى  
صور ، فإن فتحنا فالتصديع طرابلس  
أثر على يوم أنطرسوس ذا لب  
وأجبت إلى ليل أنطاكية العسا  
وأخل ساحل هذا الشام أجمعه  
من العداة ومن في دينه وحكما  
ولا تدع منهم نفسا ولا نفسا  
فإنهم يأخذون النفس والنفسا



ثانياً : بروز روح الجهاد والقوة والمعاني الإسلامية :

لقد وقف شعر الجهاد في الأزمات التي مرت بالمسلمين أثناء الفزو الصليبي وأخذ يحث على اجتيازها ، ويهون من أمرها ، ويشد العزائم على الثناب عليها والصبر لها حتى يمر وتنقضي . كما صور تلك الشدائد ؛ وصور كذلك نبضات القلوب عندما ، وارتجأت الأقدسة من شدتها ثم وقوفه بحدود على الثناب عليها . . . والحقيق أن الشعر قد جسسى على ألسنة بعض أبطال الحروب الصليبية يستمدون من معانيه القوة ويستلهمون معاني القداء والتضحية .

ولعل من أشد الأوقات الحرجة حثيقا حصار عكا عام ١١٨٩ هـ ، وقد نطقت أشعار الشعراء في هذا الموقف بما كان يمانيه المسلمون آنذاك من حرج وضيق ، لجند الإسلام قد طال بهم المقام . وقد وصف الشعر كل ذلك وأخذ يشجع على الثبات ويحث على النصر .

كما معني ببعد الأبطال الذين عاشوا غمار الحروب وأبلوا فيها بلاء حسنا وأخذ من ثم يسجل أسيادهم ويحيطهم بهالة من الإعجاب والتقدير ويعظمهم في صورة محبة إلى النفس يزيها الإيمان ويجعلها اليقين .

وقد ترك لنا الشعر كثيرا من صور هؤلاء الأبطال . فهذا هو نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ، إنه أحد كبار أبطال الحروب الصليبية وقد خلف لنا صورا مشرقة تنفي بها الشعراء وأشادوا فيها ببطولاته وأعباده .

وقد صوره لنا الشاعر ابن منير الطرابلسي إنسانا شجاعا لا يتوانى عن تحطيم قوى الشرك واستباحة حماه ، وفوق ذلك فهو إنسان عالي الهمة لا يملك غيظ ولا غضب وهو ملك جواد يجد المضطر عنده الأمن والحماية .



يقول الطرابلسي (١) :

فذاك من صام ومن أفطرا ومن صمى سبيك أو قهررا  
وما الورى أهلا فتقدى بهم وهل يوازي عرض جوهررا  
عدل كداوى تحت أكتافه مطلق العين وأسد الشرى  
يا نور دبر الله كم حادث دجا وأسفرت له فائزرى  
وكم حمى للشرك لا يندى الوهم سم له غادرته بحـ زرا  
يا ملك العصر الذى صدره أفصح من أنظارها مصدرا  
له أصل أنت فـ رجع له ما أطيب الجنى وما أطهررا  
لا عدم الإسلام من كفته كيف لمن أوهق أو أحصررا  
كأنما ———— احته جنة أجرت بها راحته حثوثرا  
تصرم الشهر الذى كنت فى أوقاته من قدره أشهررا  
جهاد ليل فى نهار غـ زرا إذ كنت فيه الأصيرا الأشكرا

ولعل صلاح الدين الأيوبي هو أعظم بطل فى الحروب الصليبية نال من اهتمام الشعراء ما لم ينله غيره (٢) ، ونظير بتقديرهم وإعجابهم ، فأحاطوا به يشيدون بأجساده ويطولونه ويدجلون كل ما قام به من حركات مباركة فى سبيل مجد الإسلام .

والحق أن عدد الشعراء الذين تعادفوا على وصف بطولات صلاح الدين يجل عن الحصر ، وكانت أبرز الصفات فى مدحهم له شجاعته ومقدورته على قيادة

(١) المرجع السابق ١ / ٥٧ .

(٢) انظر صلاح الدين بين شعراء عصره وكتابه ، د / أحمد أحمد بدوى .

الجيوش المظفرة ، وهنا تتجلى روح العصر التي تهدم مثاليها الأعلى في إجابة أسباب القتال ، والتعريف في ميادين الحرب ، وتكاد لا تفلو قصيدة من القصائد التي مدحت صلاح الدين من الإشادة بهذه الصفة وتحميدها .  
 وصلاح الدين في شعر الشعراء بطل من أبطال الجهاد في سبيل إعزاز دين الله ، وهو قائد قدير على رأس جيش قوى مدرب ، وهو حاكم يسهر على أمن الناس وراحتهم ، وهو فارق ذلك كله مقدام على حرب الفرنج ، فكلم من مرة الحق بهم الخزي ، ولم نعلم بفتكته وتدميره ، وقد صرف معظم جهوده لإخماد الصليبيين وتقليم أظفارهم واسترداد ما استطاع استرداده مما اغتصبوه من البلاد .

فهذا هو الشاعر سبط بن التعاويذي ، يرسم صفات القائد صلاح الدين ، تلك التي جعلته عظيماً مهما في أعين الناس .

يقول (١) :

ملك ترفع عن ضرب قدره • فإليه أكباد الرواحل تعرب  
 أدري له الأعداء نبد غالب • وحنى للمالك منه ليت أغلب  
 يدجي ويهرب بأسه • ولما جد الفضال من يرجى نداء ويهرب  
 ثبت إذا غشى الوغى والواغيبه • شرع بالأعرجية شرب  
 مخضرة أكتافه لوفوده • والعمام يحز الزواجب أشهب  
 أرواحن بروض المكر مات أريضة • وترى بنوار الفضائل معشب

(١) ديوان ابن سبط التعاويذي ص ٢٢ ، تحقيق مرجليوت ، مطبعة المقتطف  
 بصر ١٩٠٣ م .



هذه أم الصفات البارزة التي وصف بها ابن التماويذى الحكيم البطل  
صلاح الدين الأيوبي، كما تحجب له أهل ذلك العصر، فإن التماويذى يجد في  
نفسه إيجاباً قوياً بصلاح الدين، وقد عبر عن هذا الإيجاب بتفسير ما في وسعه  
من الشعر، فقد اختار صورة واضحة بديئة، وأنى يدمر كل ما فيه من تعابير  
واضحة، وهو سليم في دلالة على منتهى، لا غموض فيه ولا التواء في دلالة.



### ثالثاً : تسجيل الأحداث الكبرى :

إن شعر الجهاد كان سجلاً سافلاً بالأحداث التي مرت بالامة الإسلامية ، ففيه حديث مفصل عن الانتصارات وعن الشكبات ، ومن مجموعه يمكننا أن نؤلف أحداثاً تاريخية مفصلة عن العصر ، فهو مرجع تاريخي مهم لدراسة العصر لدرجة نجعلنا نقول إنه من المستطاع اتخاذ هذا الشعر مفسراً لأحداث التاريخ ، فقد اتخذ حقائق التاريخ ميداناً جال فيه فسجلاً وسجل شعور الناس به ومن مجموعه كذلك يمكننا أن نرتب ملحمة شعرية غالبة تصور هذا العصر بكل دقة وجلالة .

والواقع أنه كان للحياة التي شهدها العصر أثر كبير في إثراء شعر الجهاد ، إذ للمعروف أن الحياة في هذا العصر تختلف في جميع صورها عن الحياة في أي عصر آخر ، فعصر الحروب الصليبية بما فيه من حروب وفتن ، كل ذلك كان وأفداً يفتي الشعر بالمعاني ، فتكثر من ثم فيه الأبيات ، وقد ساعدت ظروف العصر أصحاب القرائح في خدمة هذا العنبر من الشعر ، فنبغ شعراء كثيرون وصغفوا المعارك ، وتحرك الجيوش ، والتهام السيوف واشتجار القنبا ، كما وصفوا رحلة الحرب نفسها منذ تحرك الجيوش ، وقد زاد بعضهم فوصف ما تسفر عنه المعارك من انتصارات أو هزائم فوصف من ثم روعة الانتصار ، كما يصف ذل الهزيمة وما يلحق بالمؤمنين من عار .

وقد سجل شعر الجهاد بداية الحروب الصليبية ، كما سجل الحملات الصليبية ، وسجل كذلك الجهاد ضد الصليبيين ، وما دار في العصر من معارك طاحنة ، كما سجل المعارك التي تم النصر فيها للمسلمين ، وأشاد بمن شاركوا في هذه المعارك .

وقد استطاع الصليبيون أن يكونوا إمارات صليبية في بلاد الشام كان على رأسها إمارة الرها ، وإمارة أنطاكية ، وإمارة بيت المقدس ، وكانت كل إمارة من الإمارات مقرا لمعارك شديدة بين المسلمين والصليبيين .

أما معركة الرها فكان بطلها عماد الدين زنكي . وعماد الدين أول بطل كبير للحروب الصليبية ، وكان جديرا بأن يثنى الطريق أمام خلفه ، وأن يوضح لهم التمسح المستقيم . وقد استولى عماد الدين على الرها في جمادى الثانية عام ٥٣٩ هـ وبذلك كانت أول مدينة كبيرة تسقط في أيدي المسلمين . ليس هذا لحسب بل إن سقوطها قد أثار في نفوس المسلمين الأممال في استعادة ما فقدوه ، كما زرع في نفوسهم الثقة ، وجعلهم يحسون أنهم على درجة تمكنهم من طرد الصليبيين من ديار المسلمين ، وباستيلاء المسلمين على الرها أمكن لهم أن يستولوا على ما يتبع هذه الإمارة من مدن وقرى .

يذكر القيسراني أثر النصر الذي أحرزه عماد الدين في الرها ، وكيف رفع شأن الإسلام وأهل بيته ، وكيف أحل الأمن محل الخوف ، وكيف توطدت به دعائم الأمن ، واستفرت أركان الإسلام فيقول (١) :

لبن بن الإيمان أمن ترفعت .  
وواسيه هرا ، وأطمان مهاده .  
وفتح حديث في الساج حديثه .  
شبه إلى يوم المهاد معاده .  
مدينة إلك منذ خمسين حجة .  
يفل جديد الهند عنها حداده .  
تفوت مدى الأوصار حتى لو أنها .  
ترقت إليها عن طرفا سواده .  
وجاعة عن الملك قيادها .  
إلى أن ثناها من يمز قياده .

(١) الروضتين ١ / ٣٧ مطبعة وادي النيل .

فأضرمها نارين : حربا ، وخدعة • فإراغ إلا سورها وإنهاده  
فياظفرا عم البلاد صلاحه • بما كان قد عم البلاد فساده  
فلا مطلق إلا وشهد وثاقه • ولا موق إلا وحل صفاده  
ولا منبر إلا ترخ عوده • ولا مصحف إلا آثار مداده  
وعنى الشاعر فيحدث عن مدينة الرها ، وما كانت تتصف به من حصانة  
ومتانة ، وما أصاب البلاد في عهد حماد الدين فيقول :  
إلى أين يا أسرى الضلالة بعدما • لقد ذل غاويكم وعز وشاده  
رويتكم ، لا مانع من مظفر • يعاند أسباب القضاء عفاه  
معيب سهام الرأي ، لو أن عزمه  
رى سد ذى القرنين أحى مداده  
وقل للملوك الكفر تسلم بعدها • عاكها إثم البلاد بلاده  
كذا عن طريق الصبح فليته الدجى  
فياطالما غال الظلام امتدد  
ومن كان أملاك السموات جنده • فأية أرض لم ترحتها جواده  
وأما معركة حطين فما هو معروف أن بيت المقدس قد وقع في أيدي  
الصلبيين عام ٤٩٢ ، وكانت معركة حطين عام ٥٨٣ ، وتعد هذه المعركة أعظم  
معركة حدثت بين المسلمين والفرنج ، وكان صلاح الدين الأيوبي هو بطل  
هذه المعركة .  
وقد وقف الشعر يصور هذه المعركة ويتفنى بانتصاراتها .

يقول العبد الأصغر إلى مخاطب القائد صلاح الدين (١) :  
 حططت على حناين قدر ملوكهم  
 ولم تبق من أجناس كقرم جفنا  
 غداة أسود الحرب مقتلو القنا  
 أسود تبني من نهور العدا بها  
 أتوا شمس الأخلاق ، غفنا غلينا  
 حدود الرقاق الخشن أغلانا الفكا  
 برافعة رجت بها الأرض جيتهم  
 دمارا ، كما يست جيلهم بسا  
 بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم  
 ولم ترض أرض أن تكون لهم مسا  
 وطارت على نار اللواطي فراشهم  
 صلاه فرادات من نحوهم قيسا  
 وقد خفعت أصوات أبطالها ، فسا  
 يمس السمع إلا من صليل الظبا مسا  
 سبلا ، بلاد الله ، سلوة بها  
 وقد شربت بفسا ، وقد عرضت نفا  
 يطاف بها الأسواق ، لا رغب لها  
 لكثرتها ، كم كسرة توجب الزكا



ويحدث ابن الساعاتي عن هذه المعركة فيشيد بها ، كما يتحدث عن نتائجها  
ويصور وجهة المسلمين بهذه النتائج فيقول (١) :

أعيا وقد جابتهم الآية العظمى  
لاية حال تدخر النثر والنظمها  
وقد ساغ فتح القدس في كل منطق  
وشاع إلى أن أصبح الأسفل الصبا  
تجل به الأعداء ، واللفظ واحد  
فكم سر قلبا في الأنام ، وكم غما  
حبا مكة الحسنى ، وثى يثرب  
وأطرب ذباك العريخ وما ضما  
فلبت قبي الخطاب شامد فتحها  
فيشهد أن المهيم من يوسف أسمى  
وقد أوتى الفتحين : مالا ، وبلدة  
فلم يبق نصرا ماحوا ، ولا غنا  
ففي طوأت الشرك أرسلها يحيى  
وفي جبهة الأيام غادرها ومما  
ومما كان إلا الداء أعيا دوائه  
وغير الحسام الغضب لا يعرف الحميا

---

(١) ديوان ابن الساعاتي ٢ / ٣٨٠ .

سلوا الناحل الخش عن سطواته  
فأ كان إلا ساحلا صادق البيا  
تجاوزت ما أعيا الجبال مثاله  
فهل يقظة كانت مناهيك أو حلما

أما معركة دمياط فكانت عام ٦١٥ هـ ، وقد وصل الصليبيون إلى دمياط  
ملحما في الاستيلاء على مصر كي يحولوا بينها وبين مساعدتها للشام ، وقد  
فرضوا حصاراً شديداً على المدينة واستطاعوا دخولها في شعبان عام ٦١٦ هـ .  
وكان لسقوطها أثر بالغ في نفوس المسلمين من ناحية وفي نفوس الشعراء بصفة  
خاصة من ناحية أخرى ، وذلك لما للمدينة من أثر يهد العالم الإسلامي كله .  
وحين استقر المسلمون للمدينة من أيدي الصليبيين في رجب عام ٦١٨ هـ ،  
وجدوا الشعراء يستبشرون بهذا ، ويحتفون احتفاء شديداً بعودة هذه المدينة  
إلى الحضارة الإسلامية ، بل إن هذا الشعر قد هو شاعرية عدد كبير من  
الشعراء .

وعلى رأس الشعراء الذين باركوا عودة دمياط إلى المسلمين الشاعر بهاء  
زهير (١) ، فقد نظم قصيدة طسوبة ، وقام بإهداءها إلى لالك الكامل .

(١) ولد البهاء زهير بمكة المكرمة عام ٥٨١ هـ ، ثم انتقل مع والديه إلى قوص  
حيث نشأ وتعلم . وقد أحب مصر كثيراً ، والتي بأهلها المرموقين ،  
وغلغ الروح المصرية ونشربها ، والتي بالأمير محمد الدين اسماعيل بن  
الملك الذي تولى عام ٦٠٧ هـ وعمل كتاباً له فترة من الزمن ، وقد =

وامتداحه فيها ، ومجهل ما له من دور في معركة دمياط ، وما كان له من أثر في نفوس المسلمين . وقد استهل القصيدة بالتمبير عن فرحة المسلمين باسترداد المدينة فيقول (١) :

بك اهتز عطف الدين في حلل النصر

وردت على أعقابها ملة الكفر

فقد أصبحت والحمد لله نعمة

يقصر عنها قدرة الخلد والكر

يقبل لها بذل النفوس بشارة

ويصغر فيها كل شيء من امتد

ثم يقول إن هذا الفرح الذي تم بمودة دمياط إنما هو فرح للعالم الإسلامي جميعه .

وما فرحت مصر بذلك وحدها • فقد فرحت بتعداد أكثر من مصر  
فلو لم تقم لله حق قيامه • لما سلطت دار السلام من القصر  
وأقسم لولا همة كادليسة • لخافت رجال بالمقام وبالبحر  
فرى مبلغ هذا الهداء منك • ويثرب ، يثيبه إلى صاحب القهر  
فقل لرسول الله : إن سميته • حتى يهذه الإسلام من توبة الدهر

== انفصلت أسباب الشاهر بالأمير في قوص وأخذ ينظم فيه المدائح ، وشعره  
يمتاز بالسهولة واعتياده على الروح الشعبية في التمبر واستنارة اللفظ  
والصور . وقد توفي عام ٦٥٦ هـ .

( ١ ) ديوان البهاء زهير . ص ٥٢ . طبعة مصر ١٢٩٧ هـ .

وبعد أن يتحدث عن طول هذه المعركة وما أبداه الملك الكامل فيها من  
صبر وثبات ، وما فعله أفراد الأسرة الأيوبية حين انهضوا وصاروا جبهة  
واحدة ، ومدى تأثير ذلك على محاصرة العدو واضطراره الى الاستسلام .  
وبعد ذلك يتحدث عن قيمة وأهمية مدينة دمياط فيقول :

كنى الله دمياط المكاره لئها لمن قيلة الإسلام في موضع التحسر  
وما طاب ماء النيل إلا لآله . يحل عمل الرقيق من ذلك التفسر  
ويتحدث عن الفتح العظيم باسترداد مدينة دمياط فيقول :

فله يوم الفتح يوم دخولها وقد صارت الأعوام منها على وكر  
لقد طاق أيام الزمان بأسرها وأتسى حديثا عن حنين وعن بدر  
ويأسعد قوم أدركوا فيه حفظهم لقد جمعوا بين النسيمة والأجر  
والذي لاشك فيه أنه كان للشعور الديني أثر كبير في هذه القصيدة ، فمن  
هذا الشعور اقتبست القصيدة كثيرا من أفكارها وأخيلتها . وليس محبة غرابة  
في أن تتخذ القصيدة الدين ببطونها ، إذ المأزوق أن المناسبة التي بعثت على  
إنشائها مناسبة دينية قوية ، ولذلك فنحن نرى الدين مهبط العفاف في حلق  
التصوير .

وبعد أن استسلم الفرنج في دمياط تزامم يطلبون من الملك الكامل الأمان  
وكان هذا سببا في حدوث خلاف شديد بينه وبين إخوته وأمرائه ، ومع ذلك  
فقد رأى أن يعطيهم الأمان على أن يسلبوه المدينة ويهددوا مصر ، وقد  
قبل الملك ذلك حسبا للدهاء وحياطة للأرواح ، ورغبة منه في أن يحقق  
أهدافه من غير إزرافة دماء .

وقد عني الشاعر ابن عني (١) بهذه الوقفة التي وقفها الملك الكامل ، فأخذ يوازن بين ما عليه حال المسلمين وما عليه حال الفرنج ، يقول (٢) :  
سلوا صيوات الخيل يوم الرغى عنا • إذا جهلت آياتنا واقفنا القدنا  
غداة لقينا دون دمياط جحفا • من الروم لا يصحى بقينا ولا طنا  
فقد اتفقوا رأياً وعزماً وممة • وديناً وإن كانوا قد اختلفوا لنا  
تداعوا بأنصار الصليب فأقبات • جـدوع كأن لوت لهم سفنا

(١) هو محمد بن نصر الله بن الحسين ، صكوفى الأصل . ولد في دمشق ونشأ ودرس على جماعة من علمائها ، كان عساکر وقطب الدين التتارورى والشهر دورى قاضى دمشق ، ثم ارتحل إلى بغداد قائم عليه هناك . وقد ابتدأ قول الشعر عام ٥٦٥ هـ ، وعاصر دولة صلاح الدين الأيوبي منذ نشأتها ، وحين هاجم صلاح الدين صدر أمر بنفيه عن دمشق فأخذ من ثم يطوف بالشام والعراق وغيرهما من المناطق ، وقد أوغل في المشرق ونظم هناك شعراً يتشوق فيه إلى دمشق ، وقد بلغ تعصبه للمروية مبلغه . وقد عاد من رحلاته في الهند إلى اليمن فالتقى هناك بأميرها سيف الإسلام العزيز طفتكين بن أيوب أخى صلاح الدين ومدحه بقصائد تعد من خير شعره في المدح ، وقد أقام في مصر مدة طويلة وانصل بجماعة من شعرائها وبعد أن أتت له فرصة العودة إلى دمشق عاد إليها وظل فيها إلى آخر حياته من عام ٥٩٧ هـ إلى عام ٦٣٣ هـ وهو عام وفاته . وقد خلف ديواناً من الشعر ، وشعر المجاهد عنده هو حماد شاعر يته .

(٢) ديوان ابن عني ، تحقيق خليل مردم . مطبعة دمشق ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م .

عليهم من المأذى كل مضاعفة

دلاص كقرن الشمس قد أحكمت وعنتا  
وأطعمهم فينا غـرور فأردقوا • إلينا سرانا بالجساد وأرقلنا  
فما برحت بحر الزمان تنوشهم • بأطرافها حتى استجاروا بئامنا  
سقيتناهم كأسا نقت عنهم الكرى • وكيف بنام الليل من دم الأمانا  
لقد صبروا صبرا جويلا ودافعوا • طويلا فما أجدى دفاع ولا أغنى  
لقوا الموت من ذوق الأسته أحرأ • فالتقوا بأيديهم إلينا فأحسننا  
وما يرح الإحسان منا بحجة • توارثنا عن صيد آياتنا الإينا  
منحنا بقاياهم حبيسة جديدة • فماشوا بأعناق مقلدة منا  
ولو ملكوا لم يأفلوا في دماننا • ولولنا ، ولكنا ملكنا فأصبحنا  
فكم من ملك قد شدنا إسهاره • وكمن أسير من سقا الأسر أطلقنا  
أسود دغى لولا قراع سيوفنا • لما وكبروا قيدا ولا سكتوا جنا  
ويتنق ابن الذبذبة (١) بالانتصار في دنياط ، ويعده مقدمة لاسترداد الشام

(١) علي بن محمد ، مدح القاضي الفاضل والمعادل ، ومدح وزيره : صفى الدين  
ابن شكر ، لم يل عملا في ديوان الإنشاء بمصر ، ولكنه كتب الإنشاء  
للكاتب الأشرف موسى بن المعادل ، وكان الأشرف موسى أكبر من اتصال  
به ابن التنبه وأكثر من أنى عليه ، وقد مدحه في قصائد كثيرة ، غادر  
أرض مصر ، ووجد في ظلال الأشرف الحياة الهادية المظلمة .  
وشعر ابن التنبه في جلته يدل على نفس مرحلة يزيد أن تستمتع بالحياة  
ومجاهدا ، وكان لهذا أثره في نفسه وفي إجادته لشعر الوصف ، وكان =

وطرد الصليبيين منها ، يقول مخاطبا الأشرف موسى (١) :

عكا وصور إلى رقبك عاصمة • فانهض فقد أمكنت من خلوات  
واستجد الريح عنها ، إذ كبره • إليك فهو سلام أو نحيات  
لقد أحسب أن تمسى من ارمم • تنلى ، وتلقى من القرآن آيات  
وأن يفرح على القرآن مجله • جورا ويغشى أذان أو تلاوات  
ما كل من طلب العلياء أدر كيا • ووافقت به قيسا سمادات  
هذا وقد حرص الحكام على تسجيل كل تلك الأحداث التي شهدتها  
المعارك ، وحرصوا كذلك على أن يسجلوا دورهم في هذه المعارك ، حتى يضم  
هذا الدور إلى المعارك الخالدة في تاريخ الحروب الطويلة التي دارت بين  
المسلمين والصليبيين (٢) .

\* \* \*

أما معركة عكا فهي تعد آخر للمعارك التي دارت بين المسلمين والفرنج ،

= للحروب الصليبية أثرها في ابن النية عندما حاضر الملك الأشرف مع أبناء  
الأميرة الأيوبية معركة دمياط ، فما كان من ابن النية إلا أن قام بتسجيل  
الدور الذي قام به الملك ، كما سجل دور جيشه في القتال . يمتاز شعره  
بالسهولة والرفق والتقصيد في استعمال المصنعات اليدوية وإن كان يجارى  
الطريقة السائدة في عصره ، الأمر الذي جعل شعره متكلفا إلى حد ما .  
وتوفي عام ٦١٩ هـ .

(١) ديوان ابن النية ص ٦٦ تحقيق عبد الله فكري ، مطبعة عبد الغنى فكري .

(٢) انظر التجرم الزاهرة ٦ / ٢٤١ . طبعة مصر ١٣٥٣ هـ .

وبانتباه هذه المعركة عادت البلاد جميعها إلى سلطان المسلمين كما كان الحال قبل  
الغزو الصليبي للبلاد ، والمعروف أن بطل معركة عكا هو الأتري خليل بن  
قلاوون .

وكان لهذه المعركة صداها في الشعر العربي ، ويطول بنا المقام إذا أردنا  
استعراض القصائد التي أشادت بموقعة عكا ، وما تمتاز به هذه المدينة من  
حصانة ومنعة ، وما يتسم به جيش المسلمين الذي حارب في عكا .  
وقد تحدث شهاب الدين محمود في قصيدة له عن فتح عكا ، وعما تحقق فيها  
من آمال كان ينظر إليها على أنها بعيدة المآل (١) ، وهي قصيدة طويلة تحدث  
في مستهلها عن تحقق حلم المسلمين بهذا الفتح العظيم ، وكيف أنسى هذا الفتح  
ما سبقه من فتوح ، كل ذلك لمظلة نتائج هذا الفتح وضخامة أهدافه .  
ويصف الشاعر أحوال عكا وما كانت عليه من مناعة ، ثم يمدح الأشرف  
خليل بن قلاوون وجنده البراسل ، وبعد ذلك يصف آثار هذه المعركة التي  
شهدتها عكا فيقول :

يا بوم عكا لقد أنسبت ما سبقت

به القروح ، وما قد خط في الكتب

لم يبلغ لتطيق حق الشكر فيك ، فإ

صسى يقوم به ذو الشعر والخطب

كانت تمنى بك الأيام عن أمم

والحد قد شاهدناك عن مكاتب

(١) الروضتين ١ / ١٨٢ مطبعة وادي القليل .



أغضبت عباد عيسى ، إذ أبدتهم  
له أى وحشا فى ذلك الغضب  
وأطلع الله جيش النصر ، فأبندرت  
طلائع النصر بين السم والقتل  
وأشرف المصطفى الهادى البشير على  
ما أسلف الأشرف السلطان من قرب  
فقر عيشا بهذا الفتح وأبتهجت  
بفتح الكعبة الفراء فى الحجب  
وسار فى الأرض سير الريح سمعته  
فاليد فى طرب والبحر فى حرب  
ثم ينتقل إلى وصف معركة عكا وما أسفرت عنه من نتائج طيبة للمسلمين  
وهما لحق الصليبيين فيها من خزي وعار فيقول :  
وعاضت البيض فى بحر الدما ، وما  
أبدت من البيض إلا ساق عنتجب  
وعاض ذرق القنسا فى ذرق أعينهم  
كأنها شعلت تهوى إلى قلب  
توقدت وهى تروى فى نهمورم  
فزادها الزى فى الأشراف والهب  
أجرت إلى البحر بحرا من دماهم  
فراح كالراح إذ غرقاه كالجب

وذاب من حرها عنهم حديد  
فقيسدتهم بها زعم يد الرهب  
كم أبرزت بطلا كالغور قد بطلت  
حراسه ففدا كالمسؤول الخرب  
كأنه وستان الزبح يطلبه  
برج هوى ووراء كوكب القنب  
بشارك ياملك الدنيا لقد شرف  
بك للمالك واستعلت على الرتب  
ما بعد عكا وقد لانت هربكتها  
لديك شيء تلاتيه على لقب  
قامض إلى الأرض فالدنيا بأجنها  
مدت إليك نواصيها بلا نصب  
كم قد دعت وهي في أسر العدا زمتا  
صيد الملوك فلم تسمع ولم تحب  
أدركت نأر صلاح الدين إذ غطيت  
منه لسر طواه الله في القنب  
وجنتها بجيوش كالسيول على  
أمتاها بين آهام من القنب  
وحملتها بالجنات في التي وقت  
إزاء جدرانها في جفيل لب

مرفوعة نصبروا أضعافها فنددا  
 الكسر والحطم منها كل منتصب  
 ورعنتها بنقوب ذلك شبا  
 منها وأبدت هيباها بلا تقب  
 وغنته البيض في الأعناق فارتقصه  
 أرجاسا لعبسا منهن بالعب  
 وخلقت بالنم الأسود فابتجعت  
 طيبا ولولا دماء القوم لم تطب  
 ظنوا بروج البيوت الشم معقلهم  
 فاستقلتهم ولم تطلق ولم تهب  
 فأحرزتهم ولكن للبيوت لى  
 لا يأتى أحد منهم إلى حرب  
 وجالها النار في أرجائها وعلت  
 فألفأت ما يصدور الدين من كرب  
 وألفت البحر منهم من يغبر من  
 يلتقاء من قومه بالويل والحرب

ومكنا بجل الشعر أحداث العصر ، وكان صورة لها عهد مراحل الحروب  
 الصليبية ، كما جيل ماتم للسلدين من انتصار ، وما شكبوا به من هزائم ، وقد  
 خلد الشعر ماجره الغزو الصليبي على بلاد المسلمين من خراب ودمار ، وخلك

كذلك في أبياته مفاخر الأبطال الكبار وانتصاراتهم بمن تصدوا للقواء  
الفرنج ، وقد حظى هؤلاء الأبطال بالشعر التزيير ، وذلك لما قاموا به من  
أعمال جليلة .

ومع كل هذا فممكننا أن نقول إن المنتبج الشعراء الذين قالوا في مفاخر  
الأبطال وانتصاراتهم لن يجد من بينهم ذلك الشاعر الذي يتناول شخصية بطل  
من الأبطال ، ويحاول رسم معالمها وتخليدها كما فعل شاعر العربية المنتبج مثلا  
مع سيف الدولة الحمداني (١) في قصائده التي تسمى « بالسيفيات » . فقد خلقت  
هذه السيفيات شخصية سيف الدولة كما لم تخلد شخصية قائد من قبل في الشعر  
العربي . . هذا على الرغم من أن قائدا كصلاح الدين الأيوبي كان أجدر به  
. لما أبداه من ضروب الفروسية والجهالة . أن يتخلده الشعر ، لكن الحقيقة  
نقتضي أن نقول إن القصائد التي قيلت فيه قصائد مادية ، وقد اهتم الشعراء في  
قصائدهم تلك بالصنعة اللفظية أكثر من اهتمامهم بروح الشعر مما جعل هذه  
القصائد تخرج في كثير من الأحيان عن طريق الفن والإبداع إلى مجموعة من  
الإنفاط والصفات المكررة .

---

(١) انظر على سبيل المثال : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ،  
وانظر كذلك : مع المنتبج ، وهما الدكتور / طه حسين ، ثم انظر : الحروب  
في شعر المنتبج ، الدكتور / محمود حسن أبو ناس .

رابعاً : الصدق الفني في نقل التجربة :

على الرغم من وفرة شعراء العصر الصليبي ، والقول بكثرة نتاجهم فإن أكثر ما وصل إلينا من شعرهم لا يتناسب وذبح شهرتهم ، والمعروف أن إنتاج الشعر قد غور في عصر الحروب الصليبية ، وكثر قائلوه ، بل إنه لا يزال هناك الكثير من شعر شعراء ذلك العصر مخطوطاً ينتظر من يجمعه ويحققه .

ومع أن ما وصلنا من شعر العصر الصليبي قليل ، فإن هذا العصر عرى بكثرة شعرائه كثرة يؤكد لها ما نحفل به الكتب التي أرخت لحركتهم ، والمصادر التي تدرجت لأسماء الشعراء . وإذا كان قد ضاع كثير منه فقد بقي قدر آخر لا بأس به محفوظاً في مجموعات قد اختيرت من شعراء العصر ، وفي دواوين بقي بعضها ، وفي هذا القدر المنتثر في المراجع المختلفة .

ومع أن كتب الأدب والتأريخ قد أوردت ترجمة لكثير من شعراء العصر الصليبي عند الحديث عن تاريخ العصر وحروب ، والنهضة الثقافية والأدبية فيه ، مع ذلك فإن ترجمات عدد كبير من هؤلاء الشعراء غير وافية ، وكثير من الذين وردت لهم ترجمات من الشعراء كانت محدودة للغاية .

ونحن لانفك في أن شعراء كثيرًا من شعر العصر قد ضاع وفقدت ركامه للناضي ، كما ضيقت أخبار كثيرة لحياة الشعراء ، يؤكد ذلك أن كثيرا من أشعار شعراء العصر والتي روتها كتب الأدب والتأريخ تبدو وكأنها مبتورة من قصائد طويلة .

والحقيقة أن شعراء العصر قد اهتموا بتسجيل كل معارك المسلمين مع

الصليبيين في قصائد طسوبة تشبه الملاحم ، ولعل ذلك ناتج عن جداسة الأحداث وأحوالها ، ورغبة الشعراء في استيفاء الموضوع بكل دقة وتفصيل . ولذلك كانت حصة الشعر في هذه الفترة غزيرة وفيرة . ولم لا يكون حال الشعر كذلك وكان أبطال الحروب الصليبية يهتمون اهتماماً بالغاً بالشعر لدوجة جعلتهم بطاليون الشعراء أن يقرضوا على ألسنتهم شعرا يستجلون فيه مآزكهم وقصصياتهم في هذه المفاوك ؟

فيذا هو نور الدين محمود يطلب من الشاعر أسامة بن منقذ أن ينظم قصيدة على لسانه يفتخر فيها بأجاده ، ويتحدث عن فتوحاته . وقد أنشأ أسامة بناء على هذا الطلب قصيدة طويلة بلغت أبياتها تسعين بيتاً ، وأولها :

أبي الله إلا أن يكون لنا الأمر • لتتينا بنا الدنيا ، ويفتخر النصر  
ونغمدنا الأيام فيها ندومه • وينقاد طوعاً في أزمتنا الدهر  
ونغضض أعناق الملوك لمرزنا • ويرهبنا منا على بعدنا الذكر  
وما في ملوك المسلمين مجاهد • سوانا ، فأ يثب به حر ، ولا فر  
جعلنا الجهاد هنا واشتغالنا • ولم يلبنا عنه السجح ولا الخر

\* \* \*

وبعد هذا التقييد البسيط أطلن أن هنا سؤالا يفرض نفسه ولا يحيد من الإجابة عليه وهو : هل كان شعر الجهاد الذي ترحه الشعراء في عصر الحروب الصليبية تأيماً من عواطفهم ؟

والحق أن أول ما يثب من به هذا الشعر أنه تعبير عن عاطفة صادقة جاشت بنفوس الشعراء ، وتحدثت عنها ألسنتهم ، ولذلك جاز صورة صادقة تعكس

يوضح ما بنفوسهم ، وتعدل سمات حياتهم وتجاربهم . وقد عرف نقاد الأدب التجربة بأنها الصورة الكاملة النفسية أو الـكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً يتم عن هيق شعوره وإحساسه ، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي ، وإخلاص فني ، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليبحث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال وحدهم ، (١) .

وعلى هذا فالـتجربة شرط لازم للشعر ، والشعر الذي يميز عن تجربة الشاعر وواقعه يكون صادقاً كل الصدق .

وفي الشعر يقول الأستاذ أحمد الشايب : « وخلاصة ما يقال فيه أن يكون تعبيراً صادقاً عن العقل والشعور حتى يستطيع نقل ما في نفس الشاعر إلى نفس القارئ . ويضمن بذلك التنبؤ والتأثير » ، (٢) .

وليس هناك من يشك في أن صدق التجربة هو الذي يضفي على الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة رونقاً سائماً ، بل إن صدق التجربة هو أقصى ما ينتظره الناقد من الأدب . وقد رأى ابن رشيق في هذه الصفة منية يرتفع بها الشعر إلى قمة الجودة فقال : « وأحسن الوصف ما تمت به شيء حتى يكاد يثله حيانا للسامع » ، (٣) .

(١) النقد الأدبي ، الدكتور / محمد غنيمي هلال ص ٣٨٤ .

(٢) أصول النقد الأدبي ص ٣٠٢ .

(٣) الممددة ٢ / ٢٩٤ تحقيق محي الدين ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م .

وشعر الجهاد الذي نطقه شعراء العصر الصليبي لم يتجاوز في جلته العصر  
كأن لم يتجاوز حياة هؤلاء الشعراء ومشاعرهم نحو حياتهم ، فهو يصور واقعهم  
الذي يعيشونه ، ويصور إحساسهم بهذا الواقع ، فهو شعر ذاتي استوحى من  
حياتهم الشخصية ومن أحاسيسهم ومشاعرهم نحو هذه الحياة ، فهم لا يتحدثون  
عن شيء لذات هذا الشيء ، وإنما يتحدثون عنه من حيث علاقتهم بهذا الشيء ،  
وحين يتحدثون عن الأمور التي يمتثلون الحديث فيها فإننا نجد حديثهم تجربة  
حقيقية لما يحسونه ولما يشاهدونه حولهم . ولولا ما ابتدئنا في شعرهم من صدق  
العاطفة وحرارة الشعور لأحسنا بالسأم ، لأنه في الحقيقة ليس هناك قارئ  
كثير يهتم في المعاني ولا في الصياغة .

وكون شعر الجهاد في العصر الصليبي تنحصر في حقيقة أمر لا يحتاج إلى  
توضيح ، فهو رجعتنا إلى الأغراض التي نطقوها في شعر الجهاد لوجدها  
تصور الواقع الذي يعيشونه ، ولو جذا التصور نفسه وأقنما ، فالمرسوع  
واقعي ، وتصويره أيضا واقعي ، وقد ألبأتهم حياتهم التي عاشوها إلى أن  
يكون شعرهم واقعي ، يقولون الشعر فيها يعيشونه ويفعلونه لأنما يصورونه  
ويتخيلونه .

ولا شك أن المناخ العام في عصر الحروب الصليبية كان مجالا رحبا يتسع  
لقوة العاطفة وصدقها ، فالعصر عصر صراع ديني حقيقي ، وقد نشط كل من  
الفرجين ، المسلمين والصليبيين ، في محاربة الفريق الآخر ، ومحاولة إجهاده  
والثقل منه ، ومن ثم خرج شعرهم وكأأنه نطقه من حياتهم تتجلى فيه التجربة  
وتتمثل فيه أحداث العصر خير تمثيل .



إن شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية يمثل حقيقة التجربة الشعرية في أصدق صورة، فهو شعر يدور حول جهاد المسلمين، فيصور إيمانهم وبغضهم بتضحياتهم وانتصاراتهم، ولما كان شعرهم وحى جهاد المجاهدين ذهبه الكثرة الكثيرة منه في تصوير حروبهم وتحميد بطولاتهم وشجاعتهم واستعدادهم للموت والتضحية في سبيل دينهم، ولذلك يصح أن نقول إننا نقرأ شعر الجهاد في عصر الصليبي فنحن كأننا نرى المجاهدين ونرى حياتهم وظروفهم ونلحس بحواسنا البواعث التي ساقط الشعراء إلى هذا اللون من الشعر.

وموضوعات شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية موضوعات خاصة بالمسلمين، من حيث أنهم أحسوها وصارعوها ظروفها، وقد صوّر الشعراء تعبيرا حقيقيا عما كان عليه حال المسلمين بالفعل، فشعرهم يمثل بحسب حياة المسلمين الحزينة، وآمالهم العريضة التي من أجلها قاموا بتلك الحروب وغاضروا تلك الأحداث القاسية.

ويتجلى الصدق العاطفي في هذه القصائد الوفيرة التي ظفر بها القائد صلاح الدين الأيوبي، تلك التي تمجد بطولاته وتصور مشاركته وما قام به من فتح عظيم لبيت المقدس (١). كما يتجلى الصدق العاطفي في قصيدة شهاب الدين محمود في فتح عكا والتي يتحدث فيها عن هذا الفتح وكيف كان إجماعا عظيما في نظر الكثيرين.

ومطلع هذه القصيدة:

المحدثه زالت دولة الصلب \* وعز بالترك دين المصطفى العربي

(١) انظره ثالثاً: مدح أبطال الحروب الصليبية.

ويتجل الصدق العاطفي كذلك في قصيدة بدر الدين المنجي المحاولة والملاية ،  
والتي تألفها في فتح الأشرى خلال امكا ، ومطلعها (١) :  
بلغت في الملك أقصى غاية الأمل • وفيت شأوملوك الأصغر الاول  
وحين نقرأ آيات الهاد الاصمعياني في رثاء صلاح الدين :  
شمل الحسنى والملك هم شئانه • والدهر ساء ، وأقلت حسناته  
أين الذي مد لم يزل غشيه • مرجسوة رهبانه وهبانه  
أين الذي كانت له طاعاته • مبدولة ، ولزبه طاعاته  
بانه أين انتاصر الملك الذي • شه عاصمه عفت نياته  
أين الذي عنت الفرج لآسه • ذلا ، ومثبا أدرك ثارانه  
من في الجهاد صفاحه ما أخذت • بالنصر ، حتى أخذت صفاحه  
من في مدور الكفر صدر قتانه • حتى توارت بالصباح قتانه  
.. يغفل إلينا أننا نرى بأس صلاح الدين و بطولته وشجاعته وإقدامه  
وتقواه . بل إن اليبع الواحد من هذه الآيات ليطعننا على صورة من حياة  
صلاح الدين الأيوبي كفارس ، ويشرف بنا على مدبته فتعلم منه أنه يعيش  
حياة بطولية فريدة ، الأمر الذي يؤكد أن القصيدة وصف لتجارب حقيقية  
مر بها الشاعر وعانها ، وليس من شك أن القصيدة للقصيدة التي منها هذه  
الآيات سيرى الحزن الصادق على فقد ذلك الزعيم الذي استحوطت الدنيا بعده  
إلى فراخ ، وصدق الشعور هنا هو الذي كسى هذه الآيات هذا التأثير ،  
وهو الذي أوحى بتتابع جرسها الحزين . وما هو معلوم أن هذه القصيدة

(١) نهاية الأدب للنوري ٢٩ / ٥٧ ، وفوات الوفيات ١ / ١٥٣ .

طويلة جدا وقد بلغت أحياناً مائتين واثنين وثلاثين بيتاً .  
ومن ثم فشمع الجهاد بصفة عامة يتبدل فيه الصدق . ولعل هذا هو السبب  
في أن جاء شعر شعراء العصر خلاصه مختصرة ذاتية جوية ، بعيداً عن الكلف  
والزوائد ، وخرج في جهته ملتبهاً متدفقا يعبر عن مشاعر الشعراء وأحاسيسهم ،  
ولهذا فن السهل على من يقرأ هذه الأشعار أن يتبين منها قوة المشاعر الوجدانية  
لدى الشعراء .

ومجدد بنا في هذا المقام أن نقول إنه كان لهذا الطابع من الصدق الفني أثر  
واضح في خلق التشابه والتكرار في شعر الشعراء ، حتى أشكلت نسبة بعض  
هذا الشعر إلى أصحابه الحقيقيين ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن أكثر  
ما عبر عنه شعراء العصر محدود مشترك بينهم جميعاً ، فهم ينتفون بما عاينوه  
واحدة ، وينزعون إلى هدف واحد قصروا شعرهم عليه وهو دفاعهم عن  
المقيدة والدين وقصرهم اهتمامهم على ذلك ، وليس هناك من يحب أن يشرب  
الذي شرب منه هؤلاء الشعراء واحد ، فلم تنبئ من ثم شعراءهم ولم يتباين ،  
وكانوا على قوة في التشابه لدرجة جعلت شعرهم يظهر وكأنه صور متعددة  
لنقط واحد .

والحق أن هذا التشابه والتكرار لا ينقص من شأن شعر الشعراء ، كما  
لا ينقص من درجة الصدق والإخلاص فيه ، لأنه ليس تكراراً بالقياس ،  
أو استبعاداً لموضوع شعري غالب ، ثم إن الشعر لم يكن يمثل عند شعراء العصر  
الصليبي فناً يتعلمون له أو يتنافسون في تجويده ، فهم في غنى عن تقليد  
السابقين أو مجاراة المعاصرين ، لأن حياتهم قد وفرت لهم مادة غريزة انتمهم

استلهموها ولم يشغلوا بغيرها، يؤكد ذلك ويقويه أننا نجد شعراهم يمثل الحياة الشخصية لكل منهم، حين نقرأ شعر شاعر منهم فإننا نكتشف منه حياة صاحبه، ولنا في حاجة - حين نود أن نعلم حياة الشاعر منهم وظروفه - إلى أن نستقصي شعره كله، وإننا يمكن أن نعلم بقدر من شعره فنعلم منه تفاصيل حياته، وليس يبعد عنا ماحسنه الأورخون من اعتقادهم على شعر الشعراء في ارتباط أختياراتهم وأحداث حياتهم وظروفها.

وهل ذلك فلا حيب هسل شعر شاعرنا أن يكون قد صدر في مواقف وأحداث بعينها، وإنما العيب ألا يكون الصدق ملائما لانفعال الشاعر منهم وأن ياتي شعره فلا ندرى أهو له أم لغيره، أو أن يصكون شعرهم تلبية لظروف طارئة، وبجارية لأوضاع سياسية من غير أن يكون لهذه الأحداث أثر في مواقفهم وأحاسيسهم.

والمل الذي جعلني إلى هذا الموضوع أن كثيرا مما نطلمه شعراء العصر العربي في الجهاد كان قد صدر في مواقف بعينها. وعلى هذا فنحن نرى أن شعر المواقف كأى شعر، فإن انبثق من عاطفة صادقة جاء شعرا صادقا قويا يقبله الذوق ويرضى به، ولا حترر عليه أنه في أحداث أو مواقف بعينها، فكل الشعر العاطفي الصادق إنما ندمو إليه مناسبة من المدايات العاطفية من حب وإعجاب وغير ذلك من المواقف التي هي البراءات الحقيقية للحر، فالشعر الصادق هو ما كان مرآة لعمره، ومجلا لحياته ودورانا لا يامه، وتمييزا لا حاسيس قائله (١).

(١) التجديد في الأدب المصري الحديث، د. عبد الوهاب حرودة ص ١٢٠.

وفوق ذلك فكثير من شعر شعراء العصر الصليبي في المواقف والمنايات  
نرى الشاعر فيه يعلنى على المناسبة ، ولا يبدو أمام القارئ أثر لها ، وإنما يجد  
حظ العاطفة والوجدان والتجربة الشعرية أكبر بكثير من حظ الموقف  
والمناسبة والظروف الطارئة ، ذلك لأن الموقف قد هن وجدان الشاعر ،  
وأثار شاعريته ، فبدأ وكأن نفسه تتحرك بإلحاح منه لا بإلحاح خارجي عنه . ثم  
إن المناسبة قد أتت آنذاك متوافقة مع الشعراء ودواقيهم النفسية ، وكل  
ما للمناسبة من دور أنها حركت غلب التجربة التي بداخل الشاعر ، ولا شك  
أن المناخ العام في عصر الحروب الصليبية كان مجالا رحبا يتسع لقوة العاطفة  
ومدتها .

ومن ينظر قول الشاعر أسامة بن منقذ في وصف المعارك التي دارت عند  
المدن الصليبي ، أو وصف ابن الساعاتي للجيوش ومعداتنا (١) يرى حسومة  
التصال ، كما يرى زحام الأبطال ، ويرى كذلك صليل السيوف ، وانهاب إيران  
المركبة ، وقسوة القساء وما إلى ذلك . . . ومثل هذه الأشعار تعطينا صورة  
صادقة وصحيحة لبطولة المسلمين ، كما نقفنا على مآلدي شعرائهم من روعة في  
الوصف ، وقدرة على تصوير المعارك والحروب .

وليت شعري ماذا ينشر شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية لو كان في  
المناسبات والمواقف ، فلقن كانت الشعر رسالة للحياة في الحياة إلا مجموعة  
مناسبات ، ولا ضرر على هؤلاء الشعراء أن ينظموا في المواقف والمناسبات  
حيث لهم هم الذين صرفوا أنفسهم إلى هذا الشعر وآثروا أن يصوروا العصر

(١) انظر : ثانياً : تصوير المعارك الحربية .

وصراعاته وأحداثه اليومية ، وخرجت أشعارهم جميعا ، أليسة مقطوعة ، رقيقة كلها تدعو إلى الفداء وبذل النفس في سبيل مواجهة التحديات ، وهذا للناطق واحد عند جميع الشعراء ، وهو يختلف قوة وضعفا حسب تقنية كل شاعر ومؤلفاته .

وبقنيتنا الإنصاف أن نقول إن هناك أشعارا تحس من قراءتها أن صاحبها إنما عظمها بحسب اشتراكها مع من نظموا ، والشاعر يلقي بهذه القصيدة جامدة تنفقد الروح ، ومثل هذه الأشعار إن هي إلا تسجيل للأحداث وليست جزءا من نفس الناظم ، كما أنها ليست صورية صادقة له ولا تعبر عن تجربة أصيلة .. وهؤلاء الشعراء وإن عبروا عن صراعات المعتر وأحداثه إلا أنهم لم يكونوا حريصين على إظهار شخصياتهم في القصيدة ، ونرى كثيرا منهم وكان موضوع شعره يعيش بعيدا عنهم وخارجا عن أنفسهم .

وأيا ما كان الأمر فالذي أراه أن الشعر يجب أن يصد عن نفس الشاعر ويبلغ من داخله ، وأن يعبر عن تجربته ويرتبط بها ارتباطا تاما وموضوعيا ، وليس هيبا يعد على هذا الشعر أن يكون متدلغا بمناسية أو موقف أم لا ، وإنما الميب ألا يكون الصدق ملازما لأفعال الشاعر . وعلى هذا فإني أرى أن شعر اللواقف والمناسبات كأى شعر ، فإن انبثق عن عاطفة صادقة جاء شعرا قويا تقبله وترضى به ولا ضرر عليه أنه في اللواقف أو المناسبات ، لأن المناسبات ليست هي التي تخلق الأفكار والخواطر وأسكنها تيسر لها فرصة الظهور والاطلاق بحسب .

عامساً : خصائص عامة :

وهناك خصائص عامة لشعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية يتفرد بها عن غيره ، ويمتاز بها دون سواه في الشعر السابق عليه ، واللاحق له في مختلف البقاع ، ونحن نلخصها فيما يلي :

(١) تأثر هذا الشعر إلى حد بعيد بالصراعات السياسية التي شهدتها العصر وقد تسلط هذا الصراع على الشعر ، ودفع الشعراء دفعا إلى أن يقولوا - ولعلنا نقول إن كل الشعراء قد التزموا بهذا المسلك فلم يجدوا عنه إلا نادرا - . وكان لظروف العصر التي سادت أثر كبير في إبراز شعر الجهاد ، فحيات هذا العصر تختلف عن ذي قبل ، والحروب والفتن كانت رافدا يغني الشعر بالمعاني ، وقد ساعدت كل هذه الأفاق الشعراء الموهوبين في خدمة هذا الحروب من الشعر .

(٢) تمثل الروح الدينية في هذا الشعر تنملا أغنى الشعر بالمعاني الإسلامية ، فلا بد أن يكون الشعراء قد تأثروا بمعاني القرآن الكريم ، كما تأثروا بلغته وأسلوبه ، يؤكد ذلك أن كثيرا من أشعارهم كانت تضمينا لبعض آيات القرآن الكريم .

(٣) من يتأمل شعر الحروب الصليبية يجد تجديدا في معانيه وأخباكه ، إذ اختلفت معاني هذا الشعر عن غيره ، فثقلته الصراعات والحروب في العصر كانت تحمل الشعراء على استنباط المعاني الجديدة في شعر الجهاد ، وقد كثرت في الشعر معاني المبالغة في البأس والقتك ، وهذا شيء متوقع لسبب طبيعى هو أننا أصبحنا نأزاء موقف في الحياة يختلف عما كان عليه الشأن قديما ، وكان

من الطبيعي أن يدير الشعراء في قصائدهم على أمداد هذه الحياة الجديدة أدنى ظلالها. وهذا في واقع الأمر ليس تغييرا كليا، ولكنه مجازاة للعصر وما أحدث فيه من تطورات.

٤) سلامة العبارة، وخلو من الغرابة والتعقيد، والتساهل بالوضوح. والشعراء بهذا يشبهون شعراء الحاسة في العصر الأموي. ويمكننا أن نقول إن شعراء العصر لم يتحرروا تماما من ريقسة التقليد، ولم يتفكروا من معظم القوانين التي تتصل بالقصيدة الجاهلية، ولم يكن مهمهم إيراد براعتهم القوية، بل كان كل مهم أن يتفكروا ما يشعرون به، وأن يعرضوا آراءهم إلى عامة الشعب، ولهذا خرج شعرهم فريدا عن الغرابة والمعقدة وجاء صريحا للفظ منكشف للمعاني.

وقد فرض موضوع الجهاد على الشعراء فرمنا بفرجة أشعارهم تتناسب والصراعات والمعارك. ولو أن هؤلاء الشعراء قد بذلوا جهدا أكثر عما بذلوا ولو أنهم لظفروا قصائد طويلا في الحرب لاهبطوا ملاحم كهدي.

٥) اقترن كثير من شعر الجهاد بشعر الفخر والمدح والهجاء. وقد صيغت هذه الفنون بصيغة العقيدة والصراعات المقاتلة. فاختلط بذلك عن الألوان التقليدية المألوفة.

٦) طغى في هذا الشعر سلطان التاريخ على سلطان الفن، بل إننا يمكننا أن نقول إن كل قصيدة من قصائد الشعراء مرتبطة بمحداث تمت إلى التواريخ ويتصل به من قريب أو بعيد. وقد نحرر شعراء العصر المباني عن ذلك، فهم وإن كان للحوادث التاريخية سلطان عليهم إلا أنهم تحرروا من ريقسة التقليد.



التاريخي، وأصبحوا في طرد الاستقلال الفني بصلهم بالتاريخ في برامته  
وقاياته.

(٧) لانه نتيجة لاحتكاك المسلمين والصليبيين تمزيع بعض الأفراد  
الأفرنجية إلى لغة الكتابة، ونحن نجد صدى مثل هذه التكاليف في شعر الجهاد  
كقول الشاعر ابن منير الطرابلسي من قصيدة له يمدح فيها نور الدين ويذكر  
بعض وقائمه (١):

فبرفت الرأس لفاع خف • وجرع مر جوسك جوسلين

وكقول ابن القيسرائي في بعض قصائده (٢):

كما أهدت الأقدار لقمص أسره • وأسعد قرن من حواء لك الأمر

طنى وبنى عدوا على غلواته • فأوبقه الكفران عدوا والكفر

(٨) إن هذا الشعر في معظمه لا تسوده روح اليأس والتشاؤم، فإذا  
استثنينا قصراً قليلة وجدنا كل الأشعار التي قيلت في الحروب الصليبية  
يتمرعا التفاؤل والأمل، والإيمان بالنصر مهما اشتدت الأمور واستحكمت  
حلفات المصاعب.

(١) الروضتين ١/ ٨٢ نشر دار الجليل بيروت.

(٢) المرجع السابق ١/ ٧٣.

## الفصل الرابع

أثر الحروب العالمية على الشعر

\*\*\*\*\*  
\* أولاً : أثر الحروب العالمية على الموضوعات الشعرية . \*  
\* ثانياً : أثر الحروب العالمية في أساليب الشعر . \*  
\*\*\*\*\*

تركزت الحروب الصليبية التي جرت في البلاد الإسلامية والتي دامت زهاء قرنين من الزمان آثارا بارزة على الشعر أدت إلى تغيير مجريات أحداث تلك الحروب ، وأثرت على حياة المسلمين وواقعهم بصورة عامة وعلى حياة الشعراء بصورة خاصة .

وسوف نستعرض هنا أثر الحروب الصليبية على موضوعات الشعر وأساليبه ، وأبرز هذه الآثار ما يأتي :

أولا : أثر الحروب الصليبية على الموضوعات الشعرية :

( ١ ) تقابله الشعر في أرجاء العالم الإسلامي :

مما لا شك فيه أن أدب الحروب الصليبية يمثل محاولة للربط بين البيئات الثقافية في العالم العربي في هذا العصر ، بل إننا يمكن أن نقول إنها أول محاولة فعلية تجمع في صعيد واحد أحوال الثقافة في المشرق والمغرب ، كما كان العلماء والأدباء أنفسهم يربطون بينها في جولاتهم الطويلة .

والحقيقة أنه قد انصب الاهتمام على مصر والشام وبيئاتها الثقافية وعلمائها وأدبائها وعلى وجه الخصوص الشعراء ، إذ المنعرج أن الزعامة الأدبية في عصر الحروب الصليبية كانت لمصر والشام ، ففيها غرور الإنتاج الأدبي ، ولقاء أعظم الأدباء في ذلك العصر .

ومن تأثير الحروب الصليبية على الشعر أنها تركت آثارا ظاهرة في الشعر في كل من مصر والشام ، وهذه الآثار يمكن تمييزها واضحة فيما أنتجه شعراء العصر ، بيد أننا ينبغي أن نقول إنه هذه الآثار قامت في الغالب الأعم على أساس من الأدب العربي للوژوت ، لدرجة أنه لا نستطيع أن نميز بين

شعر قيل في مصر وآخر قيل في الشام .  
يقول الدكتور أحمد بدوي في كتابه « الحبشة الأدبية في عصر  
الحروب الصليبية بمصر والشام » (١) : « ولما كان يدور الشعر في هذا  
العصر واحدا هو الشعر العربي القديم ، تشابه الشعر في ذلك العصر في أوجه  
العالم الإسلامي ، وصار الخلافا بين الشعراء خلافا في الأهلوية قوة وضعفاً  
أسكنه منه خلافا في الروح والمناهج ، ولذا تشابه الشعر الشامي والمصري  
والعراقي في ذلك العصر ، ولا تكاد نجد فرقا في سمات الشعر بين هذه الأقطار  
إلا في بعض الخصائص المحلية التي يختص بها قطر دون آخر ، من صفات  
طبيعية ، أو مظاهر حضارة ، أو حوادث سياسية ، أما الاتجاه أم المسام للشعر  
فواحد ، ولهذا قال أن ترى في الشعر الذي قيل في مصر يومئذ ما تستطيع أن  
تتبع فيه ملامح مصرية خالصة إلا حيث يقرب الشعر من اللغة العامية ،  
فيصبح لغة عامية مصرية ، كما في شعر البهاء زهير » .

وعلى الرغم من أن أسس هذه المظاهر كانت متماثلة في الأدب العربي فإن  
علينا أن نقول إن الحروب التي دبت بين المسلمين والصليبيين كانت تحتاز في  
أول ما تحتاز به بظهورها الدين ، ذلك المظهر الذي طبعها بطابع خاص  
وجعل النزاع فيها صراعا بين دينين لا بين حزبين أو فريقين يتنازعان .  
والحقيقة أن العرب في ظلال الإسلام قد عرفوا حرب الروم ، بل إن  
غزو كل واحد منها لم ينقطع في عصر من العصور ، وعرفت من ثم  
معركة عمورية وما إليها . . ومع ذلك فإننا نقول إن حال الإسلام في عصر

الحروب الصليبية يختلف كثيراً عن ذي قبل ، فالإسلام في عصوره الأولى كان قويا ، يقدر على الصمود والتصدى من جانب ، ويقدر على دفع المدوان والفتوحات من جانب آخر . وفضلا عن ذلك فإن الأعداد التي كانت في الجيوش المهاجمة للمسلمين في العصور الأولى كانت محدودة ، أما في عصر الحروب الصليبية فإن أعداد الجيوش المستخدمة كانت ضخمة للغاية ، وقد استخدمت تلك الجيوش القوة والعنف ، كما فعلت أفعى ما يمكن من التخريب والتدمير ، لدرجة جعلنا نقول إن الإسلام في عهوده الأولى لم يعرف بمآزده جماعية كذلك التي حدثت في القدس وأنطاكية ومصره النصارى ، وقد وصل تسلط الصليبيين درجة جعلتهم يعلنون المسلمين عن أراذلهم .

وقد ساعد الصليبيين على ذلك أن المسلمين إبان هذه الحروب كانوا شيعاً وأحراباً ، وكانت بلادهم مجزأة ومقسمة ، بخلاف الحسام في العصور الأولى للإسلام ، ولعل هذا هو السبب الذي مكّن جيوش الفزاة الصليبيين من تعظيم قوى المسلمين واحدة واحدة ، وأخذوا يهاجمون في الأسبلاء على كل الرقع الإسلامية ، إلى أن أخذت جيوش المسلمين تتجمع وتقوى ويشتد ساعدتها ، حتى تمكنت في النهاية من استرداد بلاد المسلمين شراباً .

#### ٢) ظهور شعر الحث والتحرير :

لا شك أن الشعراء في عصر الحروب الصليبية كانوا ينظمون الشعر في أحلك الظروف وأقساها ، وليس من شك أيضاً في أن الحروب الصليبية كانت سبباً في ظهور موضوعات شعرية متعددة ترجع إلى أصل واحد هو

الجهاد والدعوة لحاية الإسلام والمسلمين . ومن هذه الموضوعات شعر القتال والحض عليه ، ووصف الجيوش ، وآلات الحرب ، والجهادون ، وإبراز فضائل الشجاعة والشهوة والبطولة والتفاني ، وقد اشتهر في هذه الموضوعات الشعراء جميعاً ، وظلت الحروب الصليبية نبأ لا ينضب لموضوعات الجهاد وآلاته في شعر العصر بل في أدبه .

والحقيقة أنه كما كانت للحروب الصليبية أثرها في ظهور شعر الحث والتحريض كان هذا الشعر أثره أيضاً في تنبيه الحمم الرافدة ، وإثارة الدرامم الراكدة ، وفي تجديد الشعراء الأبطال ، وإبرازهم صفات الشجاعة والإقدام من بين صفاتهم ، لدرجة تجعلنا نقول إن الحديث عن الشجاعة والتفاني في وصفها صار عنصراً أساسياً من عناصر المدح ، بل إن المدح بها لم يقتصر على من عاشوا لحمار الحروب الصليبية وحدهم ، الأمر الذي يؤكد ما تزوأنه هذه الصفة من بين باقي الصفات الإنسانية من مكانة وتقدير في ذلك العصر .

وأمم ما يمتاز به شعر الحروب الصليبية إنما هو الحث والتحريض على قتل الفرنج وجاهادهم ، وأمل هذا هو السبب الذي جعل شعر هذه الحروب يمتاز بالحاسة المتدفقة في أرجائه ، وبالعاطفة القوية التي تيمت فيه الحياة والقوة . ولم لا يمت الشعراء على الجهاد ، ولم لا يمددون أبطال هذه الحروب ، وهذا العدو الغازي يأخذ بفتصب البلاد قطعة تلو الأخرى ، ويعيب السكان بالتشريد والذبح والقتل ، وقد وصل أمر إقباد العدو درجة جعلت الحكام يتجهون إلى الشعراء ويرجعونهم إلى نظم شعر الحث والتحريض ، يمتنون فيه المتخاذلين ويحرضونهم على القتال ، بل ويحثهم على كل من يستطيع أن يمد

#### يد المساعدة ١

هذا وقد أجمع نقاد الأدب على أنه كان لهذا الشعر أثره في عيريات الأمور في البلاد الإسلامية ، بل إنه قد أحدث في نفوس المستمعين لدى الذي يبتغيه الأدب من إثارة النفوس ، وخروجها بسرعة تؤدي الدور المطلوب منها وتندفع لتسام في الجهاد الذي يعد ميدانا للشرف والفخار .  
والحقيقة أن هناك أوقانا عصبية أوجت بإيجاد مجموعات وفيرة من شعر التحريض والحث على الجهاد ، ومن هذه الأوقات مارواه صاحب النجيم الزاهرة (١) من أن الفرنج حين استولوا على بيت المقدس أخذوا يظهرن ألوان الوحشية وصنوف الفسوة والجوروت ، الأمر الذي جعل القاضى المروى ينشأ قصيدة مؤثرة ، منها :

من جئنا دماء بالدموع السواجم • قلم يبق •نا عروضة للراجم  
ومنها ،

وكيف تنام العين ملء جفونها • على صفوات أبغضت كل نائم  
واخر انكم بالشام يعضى مقيلهم • ظهور للذاكى أو بطون الفشاعم  
ومن هذه الاوقات ذلك الوقت الذى جالت فيه الاماني في نفس الصالح طلائع بن رزيك ، حين رأى الحرب التى وقعت بين نور الدين محمود وبين قلع أوسلان صاحب الروم ، ونمى أن تنجيه جهودهما إلى الفرنج كعدو مشقة ك  
لها جميعا .

وقد نظم الصالح طلائع شعرا يحثها فيه على الوحدة وترك الخصام ويعير



في الوقت نفسه عن أمنيته الخالية في اتحاد الصفوف ، والانجلاء إلى أسمى  
الأهداف وأشرف الغايات وهو قتال الفرنج .  
يقول طلائع (١) :

تقول ، ولكن أين من يفهم • • ويعلم وجه الرأي ، والرأي مبهم  
وما كل من قاس الأمور وساسها • • يوفق للأمر الذي هو أحزم  
وما أحد في الملك يبق عطلا • • وما أحد عما قضى الله يسأم :  
أمن بعد ما ذاق العدا طعم حربكم

بقيتم وكانت وهي صاب وعظم  
رجعتم إلى حكم التنافس بينكم

وفيكم من الشقاء ناله تقصيركم  
أما عندكم من يثق الله وحده

أما في دعاياكم من الناس مسلم  
تعالوا لعل الله ينصر دينكم

إذا ما نصرنا الدين تحرب وأنتم  
ونتمنح نحسو الكافرين بهزيمة

بأمثالها تحسرى البلاد وتقسم  
ولعمارة اليمن أشمار كثيرة كانت في حميمها أترا من آثار الحروب الصليبية

فهو يتأثر بها ويعجزات أحداثها فيأخذ بيد الأبطال . وهذا واحد منهم  
وهو الوزير القمري طلائع بن رزيك ، الذي كانت كل آمانيه في الحياة أن

يوقف كل جهوده على حرب الفرنج الفزاة .

يقول عمارة يثنى على جهود صلاح الدين بانتصاراته (١) :

تقنع الإفرنج أنك إن تسرد

ديارهم لم يتجهم منك مبر

ومع ذلك إن لم تعطها الأمن منعا

لجاءتك باليت الشـرى تنقلب

وأعدوا رجال السلم آلة حريم

ومن يضر ما أعدوا يحن ومقعب

وذلك قال صادق أرت عزم

بسيقتك ياسيف الهدى سوى يسلب

لك الراى لم تغفل طباش ، ولم تغفل

إذا ظلف الآراء تطفو وترسب

وما شئت فاصنع راشدا فى شؤونهم

فرايك من رأى البرية أصوب

وحين آل أمر الحروب الصليبية إلى القائد صلاح الدين الأيوبي وجهه

الشعراء فيه كل آمانيهم ، فعزوا بجدونه ، وأنشأوا في ذلك القصائد الطويلة .

والحق أنه كان في صلاح الدين من صفات الشجاعة والفروسية ، وكانت له

فى نفوس الأعداء نهاية تبعث فى صدورهم الخوف والفرح ، ولد هذا هو

( ١ ) الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية : عصر والشام ، الدكتور / أحمد

الدافع القوي الذي جعل الشعراء يباركون خطواته ، ويشجعونه على تحقيق أمانى المسلمين ، تلك الأمانى التي جعلت رأسها إنقاذ بيت المقدس من أيدي الفرنج .

يقول العماد الأصمباني بحرض صلاح الدين ويستحثه على تحقيق تطلعات المسلمين وأمانهم (١) :

وما يرتوى الإسلام حتى تغادروا \* لذك من دماء الشهداءين يساقطوا  
فصبوا على الإفنج صوت عذابها \* بأن يقساموا ما بينها القتل والأسرا  
ولا تملوا البيت المقدس وأهزموا \* على فتحة غايزين واقترعوا البكرا  
والحقيقة أنه قد كثرت لدى الشعراء القصائد التي تدور حول هذا الهدف وإن كان الإنصاف يدفعنا إلى أن نقول إن بعض الشعراء قد عجز عن أن يصور بشعره نفوس المستجدين ، وهو أعنف الحسائين الموحشين ، ولم يوفق في أن ينقل البشام ما كان يحسول في نفوس الإبطال والقواد وما كانوا ينفذونه .

وانظر ان شئت الى أبيات القاضي الهروي السالفة الذكر فإليك ستجده يهجر في البيت الأول عن أن يصيب المعنى ، إذ المدحرف أن الخلافة على الجهاد وعلى بذل الذبالي والتفيس في سبيل طرد الغزاة المتدينين إنما هو حل السلاح وبذل المجهود ، أما مزج الدماء بالندوع المتحدرة فلا دلالة في إطلاقها على الجهاد ، ومن ثم فهم عرضة للذم والتكبر ، والانتهاك بالنقصه ، وهذا هو حال القاضي في كل أبياته التي قالها .

(١) الروضتين ١/ ١٧٩ مطبعة وادي النيل .

## (٣) ظهور الطابع الإسلامي في الشعر :

عما لا شك فيه أن حركة البعث العربي والأدبي في عصر الحروب الصليبية كانت تعتمد أول ما تعتمد على التراث الإسلامي الأخر في العصور السابقة وكانت الثقافة الإسلامية هي الغالبة في هذا العصر ، وأم عناصرها آخر آن الكريم والحديث الشريف ، والفقه ، واللغة ، والشعر القديم والتاريخ . وكان الدافع إليها والحركة القوي لها في أول الأمر إنما هو الحماس الديني الذي كان لدى الحكام ولدى أتباعهم في الأماكن المختلفة ، بل إن عامة الناس كانوا مفرجين بالدعوة للدين ، وذلك بحسب أثر تلك الحرب الدينية التي قام بها الصليبيون .

وفي هذا العصر الذي سادته الحروب باسم الدين ظهر الطابع الديني في الشعر واضحاً جلياً ، يقول الدكتور أحمد بدرى :

« وما هو جدير بالذكر هنا أن فكرة الوطنية والقومية لم يظهر لها أثر ما في شعر هذا العصر ، فلم يكن ملوك هذا العصر وسلاطينه يحاربون الفرنج على فكرة أن هناك وطناً لهم مخصصاً ، فمطلبهم لا يتعدى من أصلا ب أهل البلاد ، وإنما كانت الفكرة السائدة يومئذ هي الفكرة الدينية ، وهي الفكرة التي سادت نفوس الشعراء في ذلك العهد ، فلم يكن الخوف من سقوط مديناط مثلاً في يد الفرنج أن جزءاً من أرض الوطن المصري أو العربي سيقع في يد العدو ، وإنما كان المصنف يسجل هزيمة الإنجليز ، والأذان ينشئ ويأني بدله التافوس . وإذا كتبنا بعض شعراء ذلك العصر يشاققونه إلى دمشق أو إلى القاهرة فلم يكن ذلك منبثقاً عن شعور وطني أو فكرة قومية

ولكن عن عاطفة شخصية مبعثها ما وجدته الشاعر من سعادة هنا أو هناك ، (١)  
وقد نظم شعراء العصر قصائد بة قدشون فيها أمر الدين المسيحي ، ويردون  
على من أنكر الدين الإسلامي وتكرر لرسالة الرسول محمد ﷺ ، وبنوا قدشون  
كل من حارب العقيدة الإسلامية الصافية . ومن ثم كثرت الشعر الذي يبين  
مزايا الدين الإسلامي ، وكثرت كذلك شعر مدح الرسول ﷺ ، والاتصاف له  
وتمجيد ، وتمجيد الخلفاء الراشدين وغيرهم من عطاء الصحابة .

ومن المرجح أن العصر كان له أثره في ظهور هذا اللون من الشعر ، فلقد  
كان عصر صدام بين عقيدتين هما الإسلام والمسيحية ، فلا يحب حيثش إذا  
ما رأينا شعراء المسلمين ينهضون بنوحين العقيدة الإسلامية ويبيان مزاياها ،  
وتعبد صاحب الرسالة والاشادة بفضائله وأجاده .

فهذا شاعر يدعو إلى الرجوع للحديث الشريف ، والأخذ بأسبابه في العلم  
لأنه هو الحادي إلى سواء سبيل أما ما عداه فإنه يؤدي إلى الالحاد والضلال :  
استنفل بالحديث إن كنته ذا فهم ففيه المراد والابتنار

وهو العالم معلم وبه يدين ذوي الدين تحسن الآثار

إنما الرأي والقياس ظلام • والأحاديث للورى أنوار

صكن بما قد علمته عاملا فالعلم روض منى تجنى الثمار

وإذا كنت عاملا وعليها • بالأحاديث لن تمسك نار

وهناك عشرات من الشعراء أخذوا بقرضون الشعر في مناقشة عقيدة  
القرنح ، وفي بيان مزايا الدين الإسلامي ، وفي مدح الرسول ﷺ ، والتعبد

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ١١٨ .

عن صفاته وقضائه وأخلاقه . بل إن بعض الشعراء قد ألف ديواناً شعرياً خاصاً في مدح الرسول ﷺ ، واليه نظر الآخر الذين امتد بهم العمر إلى ما بعد العصر الصليبي وكتبوا قصائده في الدين الإسلامي ، يمكن أن نقول إن للحروب الصليبية أثرها الكبير في هذا التوجيه .

يقول الدكتور / محمد زغلول سلام وهو يصدده تحديثه عن الشعر وأحداث الحروب الصليبية : « ولم يكن نادياً مقصوداً على الأشخاص المعاصرين ، بل إن الشعراء تعرضوا في مدائحهم لشخصية الرسول ﷺ ، وتوسلوا به إلى الله سبحانه وتعالى لكشف الغمة عن أمته . ويبدو بالملاحظة حقا أن المدائح النبوية في القرن السابع الهجري كانت قد بدأت تأخذ طابعاً إلى الشعر العربي بشكل واضح ، وتصبح فناً مستقلاً بذاته . وحتى أصبح لا يخلو ديوان أى شاعر من شعراء هذا القرن والقرون التالية من قصائد ذوات مدح النبي ، بل إن بعضهم قد ألفوا دواوين بتأليفها لهذا الفن » (١) .

ولشاعر الإسلامى « البرصيرى » (٢) قصائد متعددة كان للحروب الصليبية فيها أثر أيضاً أثر ، وقد عرفها بالرد على النصارى ، كما عني بتوضيح عقيدة

(١) الأدب في العصر الأيوبي ص ٢٣٦ .

(٢) شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد . شاعر معمرى ، ولد في عام ٦٠٨ هـ . يدل شعره على تعمقه في دراسة أصول الدين ، وهو أحد قادة التصوف في عصره ، وقد ظهر الطابع الدينى واضحاً جلياً في شعره ، وله في مدح الرسول ﷺ قصائد نالت شهرة واسعة في العالم الإسلامى ، وهو المرجح أن العصر كان له أثره في مدح الرسول الكريم ، إذ كان عصر مواجهة

الإسلام ، وبيان من أيا هذه العقيدة (١) .

وله قصائد أخرى عن فيها يمدح الرسول ﷺ ، ومن هذه القصائد قصيدته  
وذكر للمعاد في معارضة يانت سعاد ، تلك التي عارض فيها قصيدة  
« يانت سعاد » لـ كعب بن زهير ، ومطلبها :

إلى من أنت بالذات مشغول • وأنت عن كل ما قدمت مشغول  
والواقع أنه كان القصيدة البوصيري هذه أثر في عصر الحروب الأهلية ،  
كما كان لها أثر أيضا أثر بعد هذا العصر ، وقد أعجب بها عدد كبير من الشعراء  
وساؤل أن يقلدها الكثيرون منهم .

وفي القصيدة يوازن البوصيري بين كتاب المسلمين ورسولهم وبين غيره  
من الكتب والرسائل فيقول :

والفوز في أمة فضل الوعد • • قد زانها غرر منه ونجيب  
تظل تشكو كتاب الله ليس به • كسائر الكتب تحريف وتبديل

== بين العقيدة الإسلامية والدين المسيحي .

وقد عمل البوصيري في إحدى الوظائف الحكومية في مدينة بلبيس  
بمحافظة الشرقية في مصر ، وقد هيأت تلك الوظيفة إلى الاتصال بطوائف  
كثيرة من الموظفين ، كما اتصل من قبل بالأمير عمر الدين أحمد كباد  
الأمراء في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كذلك اتصل ببعض وزراء  
الدولة ، وقد اختلف المؤرخون في وفاته بين سنة ٦٩٤ هـ وسنة ٦٩٦ هـ .

( ١ ) انظر ديوان البوصيري .

قال كتب والرسول من عند الإله أنت  
وتمم فاضل حقاً ، ومفضول  
والمصطفى خير خلق الله كلهم  
له على الرسل ترجيح وتفضيل  
كما يتحدث هما اختص به رسول الله ﷺ من الفضل ، وما أوتيته من  
المعجزات ويشفع ذلك كله ببيان أثر المعصية ، وما ذكره القنصاري حين أنكروا  
رسالة النبي محمد ﷺ فيقول :

قل للقنصاري الآتي سأنت مقاتلهم • قال لما غير بعض الجبل تمليل :  
من اليهود استفدتهم ذا الجحود كما • من الغراب استفاد الدين قاييل  
فإن يكن عندكم توراتهم صدقت • ولم تصدق لكم منهم أناجيل  
ظلمتمونا فأضربوا ظالمين لكم • وذلك مثل قصاص فيه تعديل  
أما عرفتم نبي الله معرفة الآ • بشاه ١٤ لكتكم قوم مثاكيل  
هذا الذي كنتم تستنجون به • لو اهتدي منكم للرشد حليل  
فلا ترجوا جزيل الأجر من عمل • إن الرجاء من الكفار عذول  
تبادون بزي من جهالتكم • به انتفاخ ، وجسم فيه تهويل  
موتوا بشوط ، كما قد مات قبلكم • قاييل ، إذ قرب القرابان هاويل  
والجدير بالذكر أن هذه القصيدة طويلة جداً (١) وقد عدد فيها البيوصيري  
فزوات الرسول ﷺ ، وذكر ما ظهر في هذه الفزوات من آيات تدل دلالة

(١) انظرها في ديوان البيوصيري ص ٢٢٧ وما قبلها . تحقيق الأستاذ محمد سيد  
كپلاقي ، مطبعة مصطفی الحلبي ١٩٧٣ م .



واضح على صدق رسالة الرسول ، كما أشاد فيها بالمسلمين ، وانتقل من ذلك كله إلى مدح الرسول ﷺ .

كما أن البرصيري قصيدة أخرى ، وهي المدحية التي بلغت أبياتها أربعمائة وستين بيتاً ، ومطلعها :

كيف فرق قلبك الأنبياء • باسماء ما عاوتها سماء  
والحقيقة أن غزارة الشعر الديني ، واتجاهه إلى توضيح العقيدة الإسلامية ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعد أثراً من آثار العصر ، بل إن للمعاني التي وردت في هذه القصائد إغما هي مستقاة من العصر ، ففيها رد على ما ادعاه النصارى من جهة وعلى ما ادعاه النصارى واليهود من جهة أخرى ، كما أن فيها مناقشة للنصارى في معتقداتهم .

فتنادة يقول شاعر الإسلام البرصيري :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحكم  
وتارة أخرى يقول :

يا حييــا وشفيها مطاعا • حينئذ أن إليك الإياها  
لم نقل فيك مقال النصارى • إذ أصلوا في المسيح الصوابا  
إلهـا أنت نذير مبين • أنزل الله عليك الكتابا  
ويرد على النصارى واليهود في قصيد : أخرى له فيقول :

جاء للمسيح من الإله رسولا • فأقبل العالمين عتسولا  
قوم رأوا بشرا كبرنا فادعوا • من جهلهم قه فيه حلولا  
وعصاية ماصدقته وأكثرت • بالآلاف واليهنات فيه القبول

فكأنما جاء المسيح إليهم ليكذبوا التوراة والإنجيل  
فأعجب لآفته التي قد صيرت توبها بإلهها التنكيلا  
هم يحملوه بإطل ، فابزه أعداؤه بالباطل التنجيلا  
وتقطعوا أسر العقائد بينهم زمرا ألم تر عدها عملولا  
وكان يشغل كثيرا تطهير أراضى المسلمين من الغزو الصليبي ، بل إنه كان يد  
هذا الأمر غاية جليلة وحلما من أحلامه . نحن قام الأشرى خليل بمكة التي  
كان الهدف منها النزاع عكا من أيدي المسلمين والتضامن على آخر معقل لهم  
في بلاد المسلمين ، وقف البوصيري يقول :

قد أخذ المسلمون عكا وأشبعوا الكافرين عكا  
وساق سلطاننا إليهم خيلا تلك الجبال دكا  
وأقسم الترك منذ سارت أن يتركوا للفرنج ملكا

والحقيقة أنه قد شارك في هذا القراء من الشعر الديني عدد كبير من  
الشعراء ، منهم الشاعر ابن الساعاتي ( ٥٥٣ - ٦١٤ هـ ) . وكان للعروب الصليبية  
أثر بالغ في كل أشعاره ، وقد تأثر في قصيدة له بقصيدة بابت سداد ، لكعب  
ابن زهير ، لحاول تقليدها ، فدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبجده صفاته  
وأخلاقه وشأنه . وليس من شك في أن الدافع الذي دفع ابن الساعاتي لذلك  
يختلف عن الدافع الذي دفع كعبا بن زهير .

يقول ابن الساعاتي عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

لولا لم تلك شمس ، لا ، ولاقفر ولا الفراع ، وجارها ، ولا النيل  
ولم يحب آدم في حال دعوته . نعم ، ولم يلك قابيل - وهابيل .

فكيد الركن حقاً ، لا خفاء به ، وشافع في الداس مقبول  
 يشق نوره الأخبار إذ تطلعت  
 وفي القضية نفسها يمدح البوصيري مصداق الرسول صلى الله عليه وسلم  
 ويشيد بفضائلهم وجماعتهم فيقول :

أشد إذا نادوا شهب إذا سفروا - - - - - إذا جادلوا شهب إذا سئلوا  
 فلا مفاريج إن نالت وما حرم - - - - - ولا يوزع في البأس إن تيلوا  
 العالمون بأن النفس هالكة - - - - - يوما وأن قضاء الله مقدور  
 فما كواحد في فضله أحد - - - - - ولا يكيلهم في فضله جيل  
 ولئن لأرجى أجرا - - - - - رحيماً في يوم حرم أجور وتنويل  
 هل أن أشير قصيدة نزلت في العصر الصائبي في مدح الرسول صلى الله  
 عليه وسلم مدحا يليق من حب إنما هي قصيدة « العودة » التي نظمها البوصيري  
 والتي مطلعها :

أحسب العيب أن الحب منك ثم ما بين منجم منه ومضطرم  
 فولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل - - - - - ولا أرتد لذكر البان والعلم  
 وبعد أن يتحدث البوصيري عن طبيعة النفس ويحذوها من الهوى نراه  
 ينتقل انتقالاً طبيعياً لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولحديث عن إعجابه  
 الذي لا حد له بالنبي . والذي لا شك فيه أن هذا المدح وذلك التقدير السامي  
 الرسول الكريم إنما هو وثيق الصلة بالعصر ، فقد استوحى الشاعر فيه روح  
 العصر فحرص على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فوق طبقة الرسل أجمعين  
 وجمعهم . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يستمدون فضائلهم منه

ويأخذون عنه العلم والمعرفة :

يقول البوصيري :

محمد سيد الكونين ، والنفارين ، والفسريين من عرب ، ومن عجم  
فاق الدين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم وفي كرم  
فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا باري-الشم  
مدنوه عن شريك في محاسنه بجرهم الحسن فيه غير منقسم  
دع ما ادعت النصارى في نوبهم واحكم بما شئت مدسا فيه واحتكم  
والنسب إلى ذاته ما شئت من شرف

والنسب إلى قدوه ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حد ، فيعرب عنه ناطق بقم  
لم يمتدحنا بما تمنا القول به حرصا علينا ، فلم نرتب ولم نهم  
أعيان الودى فهم معناه ، فلايس يرى

في القرب والبعده منه غير منقسم

فبلغ العلم قيسه أنه بشر وأنه خير خلق الله كاهم  
وكل آي آتى الرسول الكرام بها فلأنما انصابت من نوره بهم

والبوصيري قصيدة مصرية طال فيها نفسه حتى بلغ عدداً أياها أربعمائة  
وسنة وخمسين بيتاً ، وهي قصيدة تتنازع بقوة الأسلوب ، ومثانة العبارة ويبدو  
أثر الدهر واضحا فيها في هذا النقاش الطويل الذي ناقش فيه عقيدة المسيحيين .

يقول :

قوم موسى عاماتم قوم عيسى بالذي عاملتكم الخلفاء



هذه بلدة قضى الله بأحسانها  
 قففت الميسر وقفة وإياك من كان بها من شيوخها والشباب  
 واعتبر إن دخلت يوما إليها  
 فهي كانت منازل الأحياء  
 وقد من سقوط الدولة الفاطمية على بعض الشعراء الذين كانت لهم بهذه  
 الدولة صلة وثيقة ، وقد رثاها الشاعر حمزة البزري بشعر يفيض بالحب والحنين .  
 ومن ذلك قصيدته اللاحقة التي بدأها بلوم الدهر على إسمائه لهذه الدولة  
 وتعليمها ، وقد كانت في جيد المجد حلياً ، وله زينة وجمالاً . يقول (١) :  
 وميت يادهر كلف المجد بالشلل  
 وجيده يند على الحسن بالمعطل  
 سميت في منح الرأى المشور فإن  
 قدرت من عثرات البغي ما ستقل  
 جددت ماركك الاتى فأنفك لا  
 ينفك ما بين ناص الشين والنجل  
 خدمت قاعدة للعروى عن بجل  
 سقيت ، مهلاً أما تمشى على مول  
 ثم يتحدث عن مصابه الشخصية في هذه الدولة ، وما كان قد تحقق له من  
 سعادة على أيدي رجالها فيقول :  
 طنى ولطف بنى الآمال قابلية  
 على لجمتنا في أكرم الدول  
 قدمت مصر فأولتني خلافتها  
 من المكارم ما أرى على الأمل  
 قوم عرفتم بهم كسب الألف ، ومن  
 كالحا أنها جاءت ولم أسئل  
 ويذرف الدمع على آثارهم فيقول :  
 مررت بالقصر والأركان عالية  
 من الوفود وكانت قبلة القبل

قبلت عنها بوجهي خوف منتقد من الأعداء ووجه الود لم يزل  
أسبكت من أسنى دمع غداة غلقت وحابكم وغدت مجورة السيل  
أبكي على مآثرات من مكارمكم حال الزمان عليها وهي لم تحمل  
وتختم قشعر القصة متنبها أن تعود الدولة ، فتعود من ثم معها آماله  
وأمانه ، فيقول :

وربما جادت الدنيا لمقلها • منكم ، وأخصت بكم عجلة العقل  
وحين استول الصليبيون على بعض بلاد الشام ، وتأخر أمره للمسلمين في  
قصره لإخوانهم ، والنهر من إليهم ، وإنقاذهم عما وقعوا فيه ، نجد أبا المظفر  
الأيوب يردى بنظم قصيدة في مهاجمتهم ، يقول فيها (١) .

وإخوانكم بالشام يعضي مقبلهم • ظهور للذاكي أو بطون القشاعم  
تسومهم الزوم المسوان وأنتم • تهمرون ذيل الخفض قبل المسالم  
دعوناكم والمرب ترو ملحمة • إلينا بألحاظ القصور القشاعم  
فإن أنتم لم تفضيرا بمسد هذه • رمينا إلى أعدائنا بالجيواتم

\* \* \*

ومهما يكن من شيء فإن الحروب الصليبية قد تركت آثارا واضحة في  
موضوعات الشعر الفارسي لما أن أحداثا خطيرة تجري على مسرح  
الحياة ، ولعل ذلك راجع إلى ما ظهر من جانب الصليبيين من تعصب بغيض  
لديتنا الإسلامي .

(١) الكامل ١٠ / ٢٨٤ نشر دار صادر بيروت .

يقول الدكتور محمد عبد العزيز الكفرأوى تحت عنوان « صدى حلات الصليبيين وغارات التتار في الشعر العربي » : « لعله من المناسب هنا أن نذكر بعض الفروق بين المعجم من جهة والصليبيين والتتار من جهة أخرى فنقول :  
لأن كانوا جميعاً قد حرقوا على البلاد العربية في الشام والعراق ومصر ، فإن هناك فرقا كبيرا بينهم ، فإن الأولين كانوا يفتخرون مع العرب في الدين ، وكانوا يتظاهرون بالولاء للخلافة والدفاع عنها ، أما الآخرون فلم يكن مجمعين والعرب دين ، بل على العكس من ذلك كانت المعصية الدينية الشيعية أم أسباب الحروب الصليبية ، أما التتار فبيل جارف وعاصفة مدمرة (١) .



(١) تاريخ الشعر العربي ١٤٩ / ٣ . دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م .



ثانياً : أثر الحروب الصليبية في أساليب الشعر :

وكما تركت الحروب الصليبية آثاراً في الموضوعات الشعرية تركت أيضاً آثاراً على لغة الشعر ، فمع أن شعراء هذا العصر قد اقتدوا بأسلافهم في مناهج الشعر وأنظم القصيدة ، حافظوا على ماورثوه من أوزان الشعر والحفاظ على النغمة ، فإننا نجد الحروب الصليبية نهر على الشعر آثاراً بعيدة تنبئنا لميا إلى :

(١) الألفاظ :

والحقيقة أن الشعر في عصر الحروب الصليبية قد حافظ على الألفاظ العربية الخاتمة ، ومن الممكن إرجاع ذلك إلى أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي ، والحال أن التحصب في هذا العصر كان للدين ، أما ما عدا ذلك من باقى ألوان الفخر والاعتزاز فلم يكن لها أى دخل في الفصحى . ومع هذا فيمكننا أن نقول إن هناك بعض الكلمات قد تسربت إلى لغة الكتابة في هذا العصر ، وقد وجدنا هذه الكلمات صدى في الشعر أيضاً ، هذه الكلمات دخيلة من اللغات التي عاشرت اللغة العربية في ذلك الحين ، من فارسية وتركية ، ويونانية ، وفارسية . وليس من شك في أن الشعراء قد اختلطوا - حاطم في ذلك حال أصحاب الكتابة - بالنصارى من الفرنج ، وقد تأثرت لغتهم نتيجة لذلك ببعض الألفاظ الدخيلة ، ووردت هذه الألفاظ في شعر الجهاد .

ومن ذلك قول ابن منير الطرابلسي في قصيدة له يمدح نور الدين محمود ويذكر بعض جهاده (١) :

(١) الروضتين ١ / ٨٢ نشر دار الجليل ، بيروت .

فهرست البرنس لغام خف • وجرع مارجوسك جوسلين  
ومن تأثير الحروب الصليبية على لغة الشعر أيضا ماورد في شعر ابن  
القيصري، إذا استعمل كلمة القومص، وهي كلمة لاينية في بعض أبيات له  
يقول فيها (١):

كما أهدت الأقدار للقمص أسره • وأمد قرن من حواء لك الأسر  
طغى وبني عدوا على غلوائه • فأوبقه الكفران عدوا والكفر  
وكا تسببه حروب المعصر في إدخال بعض الكلمات الأجنبية على لغة الشعر  
فقد جعلت شعراء المسلمين يستعملون بعض الألفاظ مثل: الكفر، والشرك  
والصليب في صوره الشعرية. من ذلك قول العماد الأصفهاني الذي شبه فيه  
الكفر بالإنسان بعض يديه بمسرة ومراة من شدة التدم حين يرى الإسلام  
يتصهر. يقول (٢):

وأعز عطف الإسلام من جدل • وافقر نفس الإيمان وإبائيا  
واستشرت أوجه الهدا فرسا • فليقرع الكفر سته ندما  
وهذا هو عبد الدين بن الظهير الأديلي يشبه الشرك باللبل الأسود، فيقول  
مادما ذرية صلاح الدين (٣):

وردوا إلى البيت للقدس نوده • وقد كان في لبل من الشرك أسود  
وفي المقابل من ذلك وجدنا شعر الجهاد قد اكتسب عاطفة دينية تجلت في

(١) الروضتين ١ / ٧٣، نشر دار الجليل، بيروت.

(٢) المرجع نفسه ١ / ١٩٥.

(٣) المرجع نفسه ١ / ١٩٦.

إيراد كثير من ألفاظ الدين والإسلام ومكة والمدينة ونحوها .

يقول ابن منير يمسح نور الدين (١) :

- أقوى الضلال وأقفر عرصاته • وهلا الهدى وتجلت قسيته
- وانتاش دين محمد محمود • من بعد ما غلبت دسا عوراته
- ودت على الإسلام عصر شبابه • وثباته من دونه وثباته
- ففتح تعممت السباد بفخسره • وحقت على أغصانها عذباته
- سبغت على الإسلام يمين جحوله • واعتال في أوضاعها جهاته

#### (٢) الاتجاهات الفنية :

والحقيقة أن لشعر العصر الصليبي ملامحه الأسلوبية التي تكون الصورة والشكل الفني أو الإطار الذي ظهرت فيه تلك الموضوعات .

وقد تنوعت المذاهب الفنية في شعر العصر ، وأصابت الشعر بغير إس جوانبه الفنية والقوية على السواء ، وقد أشار الباحثون في أدب العصر إلى ثقل وطأة البدع على الأدب شعره ونثره ، وكان أدباء العصر يرون في صنعة البدع حسناً ، وفي رقة الأساليب وسهولتها جمالاً يصادف هوى في نفوسهم ويقع منها أحسن الوقع .

وقد تعددت مذاهب الشعراء ، فتنهم من مال إلى طريقة العصر في الاكتثار من البدع ، والميل إلى السهولة في أسلوب الشعر واستخدام الألفاظ الجارية العامة أو القريبة منها . ومن هؤلاء : صفي الدين الحلي ، والبهاء زهير ، وابن

(١) الروضتين ١ / ٦٠ نشر دار الجليل ، بيروت .

سنة للثلاث ، والحسين الجزار ، وشهاب الدين محمود ، وابن نباتة المصري .  
ويجدر بنا أن نقول إنه كان لطريقة هؤلاء الشعراء أثرها السيئ على الشعر  
المصري في ذلك العصر ، الأمر الذي أدى إلى ضعف الشعر ووكونه ، ليس  
هذا لحسب بل إن هذا قد أثر بدوره على الشعر الفصيح فأصابه بنكسة طويّة  
استمرت ما يقرب من خمسة قرون بطولها ، كان الازدهار في هذه الفترة  
لشعر الشعبي على حساب الشعر الفصيح .

ومن الشعراء من أخذ بأساليب الفصاحة وقوة التعبير ، وأخذ يفتح نهج  
الآفنديين ، ويتبع طريقتهم في الشعر . ومن هؤلاء : أبو المظفر الأيوبي  
وابن السماوي ، وابن المنسوب الأحمدي (١) ، وابن منير الطرابلسي ،  
والطبراني ، وعارة النجدي .

وهناك جماعة أخرى كانت تميل إلى الجمع بين الطريقتين ، ومنهم : ابن النيه  
وابن الفارض ، واليوسفي ، وابن النقيب .  
أما عن مذاهب الشعراء واتجاهاتهم فكانت كالآتي :

(١) ابن مقرب الأحمدي شاعر يدعى وطنادورا ، وهو صاحب نفس  
متطلعة علمية دائما ، وعلى رأس الأمور التي كانت تشغله إعادة السلطة  
واسترجاعها للعرب ، ولعل هذا هو السبب في أن شعره يروج بهذا اللون  
القائم بالساخط الذي يحمل فيه على الدهر ويدعو إلى الجهاد وإلى امتشاق  
السيوف ، بل إن شئنا فقل إن شعره كله دعوة إلى الحرب وإلى حشد  
الجند ورفع السلاح .

#### أ) الجمال الصنعة والبديع :

وهو اتجاه يلتزم الشاعر فيه مذهب الصنعة والبديع ، ويعتمد إلى الوراء  
يحدد منها في شعره ما استطاع (١) ، ويضع شعره لقواعدها وقوانينها كما في  
شعر القاضى الفاضل والعماد الكاتب ، فقد أغرامهما ومن سلك مسلكها بهذه  
المحسّنات : من جناس ، وطباق ، وإقتباس ، وتورية . بل لقد قبل أن الفاضل  
هو الذى عصر سلامة التورية لأهل عصره ، وتقدم على التقديس بما أودع  
منها في نظمه ونثره .

والحقيقة أن هؤلاء الشعراء ظلوا يتلاعبون بالتورية والجناس والطباق  
إلى أن جاءت بدم جماعة من الشعراء صاروا فرسان الميدان مثل : السراج  
الوراق ، وأبو الحسين الجزار ، وناصر الدين حسن بن النقيب ، والقاضى  
الدين بن عبد الظاهر .

ونحن لا نقال إذا قلنا أن أفراد مذهب الصنعة والبديع هم الكثرة الغالبة  
وكان مذهبهم هو المذهب المفضل المختار الذى يتلاءم مع أذواق الناس  
وأهوائهم . ونحن لا نقال أيضاً إذا قلنا أن هذه الألوان الصناعية قد وسعت  
الشعر بسمة التكلف الذى أفقده روحه فى كثير من الأحيان ، وجعله أشبه  
بما يكون شعرينات رياضية كذلك التى تطلب من طلبة المدارس .

وبقناعتنا الإقصاء أن نقول أن شعراء اتجاه الصنعة والبديع قد اتخذوا  
من الحريرى وطريقته فى المقامات نموذجاً يحتذى ، وليس يخفى على أحد أن

(١) انظر الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجىء الحقبة الفرنسية ،  
للدكتور عبد الطيف حمزة ص ١٠٨ سلسلة الألف كتاب (٢٤٢) .

الحريري كان قد أتى في مقاماته بطروب من عجب الصنعة القفلية واللب بالأنفاظ . كما أن الإنصاف يقتضي أن نقول إن كثيرا من الشعراء الذين أعجبوا بالبديع لم ينسب على شمرهم للمسالة والتكلف ، ولم يفرقوا في البديع ، وإنما تناولوا بعض قوته مجرد وجعنة ، ووشوا به قهالدم دون أن يتناولوها به ، ومن هؤلاء الشعراء ابن منير الطرايلى ، وابن القيسرائى .

ومن المذهب الأول قول البهاء زهير :

بروحى من أحبها بيتى • فتتفرق النجاة بغير مقت  
يرون بأننى قد قلت لحشا • وكيف وائى زعيم وقى  
ولكن غادة ملكك فتؤادى • فلم ألح إذا عاقت سقى  
وقول ابن سناء الملك وهو فى الشام يتشوق إلى مصر : وقد غلبت عليه صنعة البديع :

لقد مرنى بين المشت وحزنى • فإلا لك بيتا ما أضر وما أضرى  
أأعبط من مصر وقدما قد انتهى

على الله أقوام ففسال أعبطوا مصرا  
وكم لى بها ديتار وجه تركته • ورائى فمبنى بعده تشكى القطار  
فوالله ما أضرى الشام وملكه • وغرطته الحضرى بشهرين من شبرا  
فإن عدت والأيام عرج دوايج • لقد أنفأنا قبلها الشأنا الأخرى  
ولا يخفى ذلك الجناس الموجود بين « مرنى » و « حزنى » و « أضر »  
« وأضرى » فى البيت الأول ، وهو من العثر بمن الضرر ، والعشادة بمعنى  
القساوة ، ونلاحظ أيضا ما فى البيت الثانى من القياس من القرآن الكريم ،

كما أن في البيت الثالث تشويها بليغا ، حيث شبه الوجه بالدينار ، وأضاف من ثم التشبيه به إلى التشبيه ، وفي البيت الثالث تورية في المعنى والقطر بين عين الماء والعين التي يبصر بها ، وفي البيت الرابع جناس وفي البيت الأخير اقتباس من قول الله تعالى : « وأن عليه المشاة الأخرى » .

ومن أبيات ابن سناء الملك التي من ج بها الجناس قوله من أبيات مدح فيها القاضى الفاضل (١) :

أصبحت في مدح الأجل موحدا • ولكم آتني من ألباه ثنى  
وقدوت في حبي له متشبيها • من ذا رأى متشبيها متسلتا  
ورأيت محبته نعيها عاجلا • فرأيت بذل النفس فيه هينا  
وأوداني وظلنته غيرى قصده • فوجدت دهرى مذعناني مذعنا  
وعا قبل من الشعر الجناس الذى جانس بين قوافي أبياته جناسا تاما  
قول بعض الشعراء :

قف يا غصنى ودع الزسائل • وهن الأحبة قف وسائل  
واجعل خضوعك والتذلل • فى طلابهم وسائل  
والدمع من فسرط البكا • عليهم جار وسائل  
واسأل مراحمهم فون • لكل همسروم وسائل  
ولا يخفى أن كلمة وسائل ، تختلف معانيها فى الأبيات ففى البيت الأول  
بمعنى « اسأل » ، وفى البيت الثانى بمعنى « طرق » ، جمع « طريقة » ، وفى البيت  
الثالث بمعنى « السيرة » ، وفى البيت الرابع بمعنى « العطب والسؤال » .

(١) الأدب فى العصر الأيوبي ، الدكتور محمد زغلول سلام ص ٣٦٠ .

وكررت عند شعراء البديع المعاني التي تدور حول الطرائف ، وحفلت  
بالكنايات والتورية ، والأمثلة كثيرة على هذا ، بل إنه لا يكاد يحلو ديوان من  
ديوان شعراء البديع من ذلك .

ومن استخدام الهماء زهير للتورية قوله على طريقة المعربين في الصنعة  
الرقيقة الحقيقية (١) :

لما التحى وتبدلت • تلك السعد له نحرساً  
أبدت لما راح بها — ق خده معنى تقبلاً  
وأذعن عنه أنه • لم يقصد القصد الحسباً  
تسكن غداً وعذاره • خضر فساق إليه موسى

ومن اعتماد الهماء زهير على التضمن ، والتورية ، والاقتراس من الشعر  
القديم قوله (٢) :

تعلت خط الرمل لما هجرتكم • لعل أرى شكلاً يدل على الوصل  
ودغبن قبسه بياض وحره • عمدتها في وجنة سلبت عقل  
وقالوا طريق تلك يارب للرضا • وقالوا اجتناع قلت يارب للشمل  
فأصبحت فيكم مثل بمنون عامر • فلا تنكروا أني أخط على الرمل

ب) الانحاء التقليدية :

وأما نيج طريقة الأقدمين ، وتتبع طريقهم في الفصاحة والبلاغة فإننا  
نقول إنه هناك من الشعراء من ينجح نيج الشعر القديم ويحاول الاستئناس به في  
شعره ، وشعر هؤلاء يحافظ على سلامة العبارة ، وهو في جملة سهل لا يميل إلى

(١) المصدر السابق ص ٣٦٠ (٢) المصدر نفسه ص ٣٦١ .



غريبة ولا تعقيد ، وقد سار كثير من شعراء هذا العصر على ذلك النهج الذي هو النهج الطبيعي في شعرهم ، فلم يمتدوا فيه إلى محسنات لغوية أو زينات بديعية إلا ما جاء في الطريق عارضا غير مقصود .

والحقيقة أن شعراء هذا الانحسار كانوا يكرهون إغراق شعراء العصر في البديع ، بل إنهم حملوا عليهم وعلى كل من اتبعه إلى البديع وأغرق فيه .

يقول الماخذ بن الزبير (١) :

لحقت الماخذين الشعر قبلى • وإن أخلوا من اليد الوعابا

فقل لمقصع بفتان لفظ • نفي لثباتك الشعر الجبابا

على كأس القريض من المعاني • وحن اللفظ كان لها حبابا

ويقول عمر بن الوردى عن الديدعيين (٢) :

إذا أحببت قول الشعر فاختر • انظرك كل سهل ذي امتناع

ولا تقصد عجاسة وهككن • قوافيه وكله الى الطباع

وعلى نهج طريقة القدماء جاء قول ابن المقرب الأحصاني :

مثال الدلي بالمزجقات القوافي • وسمر العوالي والعتاق الشواذب

وعزب يزل الصهام عن كل ماجد • على الحول مقدام كريم المناسب

وليس مثال الحمد من كان همه • طروق الأغاني واعتناق الحباب

ولا بلغ العلياء إلا ابن حرة • قليل افتكار في وقوع العواقب

جرى على الأعداء مر مذاقه • بعيد المدى جمع لدى والمواقب

(١) الأدب في العصر الأيوبي ، الدكتور / محمد زغلول سلام ص ٢٦٠ .

(٢) خزائن الأدب لعمادى ص ٢١ .

حليف سرى جواب أرض تجاوزت

به العيس أجواز القفار السباب  
فالذي لا شك فيسه أن هذا الشعر قريب في روحه ، وفي قوة بنيائه ،  
وفصاحة ألفاظه وبدائتها ، من شعر الشاعر العربي أبي عابدين المتنبي .  
ومن أمثلة شعر الاحمائي ، العربي الروح ، البدوي المظهر ، قصيدته التي  
يقول فيها (١) :

خلفوا عن بين المنعني أيها الزكب • لنسأل ذاك الحلي ما صنع الدرب  
وأسلوب الشاعر ابن التعاويذي يميل عليه الطابع القديم ، وقد كان يقد  
الشراء القدماء المعروفين ، ويحاول أن يجتدي بقصائدهم في بعض قصائده  
عن طريق المعارضة . وقد مدح صلاح الدين الأيوبي بقصيدة مطلعها :  
سرب مها أم دي محارب • أم فتيات الحلي الأعارب  
وقد مارس ابن التعاويذي بقصيدته هذه قصيدة شاعر العربية المتنبي  
والتي مطلعها :

من الجأ أكثر في ذي الأعارب • بحر الحلي والمطايا والجلاب  
وقد ذكر ابن خلكان عن ابن التعاويذي قوله : « كان شاعر وقته ، جمع  
شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبة ورقة المعاني ودقتها ، وهو في غاية الحسن  
والخلاوة ، وفي اعتقادي لم يكن قبله بمائتي سنة من بعده ، ولا يؤخذني  
من يقف على هذا الفضل ، فإن ذلك يختلف ميل الطبع ، وفيه دور القسائل :

(١) ديوانه ص ١٩ ، طبعة حصرية بالهند ، من الأدب في العصر الأيوبي .  
الدكتور / سلام ص ٢٥٤ .

• ولناس فيها يمشقون مذاهب • (١) .

• وهذا شاعر آخر وهو الأبيوردي ، تراه يتهج الشعراء العربى القديم فى الصياغة والمغنى جميعها . فهو يبدأ قصائده بالغزل ، فزلا هربيا ينتقل بك فى الصحراء . ونجد وما إلى ذلك .

وللمشبع إلى بيته :

ولست كن يعلى إلى الحون طرفة • ولا يركب الخطى دون ذماره  
فقد ساس جناس بن مرة وأثلا • يقتل كليب دون لقمة جاره  
إن هذا الشعر يذكرنا فى روحه بأبيات المتنى الكثيرة ، والتي منها على سبيل المثال (٢) :

ذل من يشبط الذليل بعيش • رب عيش أخف منه الخيام  
من بين يسمل المدون عليه • ما لجـرح يميت لإيلام  
عناق ذروا بأن أحيق به ذو • عازمان واستكرمتى الكرام  
واقفا تحت أخمص قدمى نقي • واقفا تحت أخمص الأقدام  
أقرا ألدن دوق شراب • ومراما أبهى وظلى برام  
دون أن يشرق الحجداز ونجد • والمراقان بالقنسا والشم  
وكانت المغنى هند الأبيوردي وعند غيره من شعراء الاتجاه التقليدى مستمدة من الشعر العربى القديم ، بل ومن الصحراء وحياة الصحراء . ومثال ذلك ما جاء فى شعر الأبيوردي نفسه ، يصور صورة بدوية ، ويأتى باللفظ

(١) وفيات الأعيان ٤ / ٩٥ .

(٢) ديوان المتنى ، شرح المكبرى • ٤ / ٩٣ - ٩٥ .

بدوية قريبة من الفاظ المفرد في جرير وأقرانها .

يقول الأبيوردى (١) :

نزلنا بنعمان الأراك ولندي • سقيط به ابتلت علينا المطاري  
فبت أمانى الوجد والركب نوم • وقد أخذت منى السرى والتمنايف  
وأذكر خودا إن دعاني إلى الترى • عواها أجايتن الدموع الذوارف  
وهناك أشعار كثيرة لابن مثير أطرأها على نفسه فيها روح القديم ، وله  
قصائد كثيرة قلدها فيها شاعر العربية أيا تمام ، وقد أوردناها له أبو شامة في كتابه  
« الزوجتين » ، ويمثل مذهبه هذا قوله (٢) :

سفا حللك إن رخصيت به شرب • رنق ورنق الله قد ملأ الملا  
ساحمت عيسك سر عيشك قاعدا • أفلا طيع بين ناصية الفلا  
طارق ثرق كالسيف سل فيان في • متنيه ما أخفى القراب وأخلا  
لأنحسين ذهاب نفسك مبيسة • ما الموت إلا أن تعيش مذلا  
للغفر لا لا فقر هبما إنحما • مفتاك ما أغضاك أن تنوسلا  
ومن الشعراء الذين نفس في شعرهم روح القديم المذهب بن الزبير (ت ٥٦١ هـ)  
ومن يقرأ شعره يجد فيه قوة الألفاظ والزخانة ، وكثرة الصور البدوية ،  
وتعمد إليه بالنسيب ، ومن هذا الشعر قصيدته التي بيت بها إلى الداعي حين  
قبض على أخيه باليمن يستعطفه على أخيه الرشيد ، فأعطفه ، وهي (٣) :

- (١) فوات الوفیات ، لابن شاکر ١ / ٣٥٨ بحی الدین ، طبعة مصر ١٩٥٢ م .
- (٢) وفیات الأعیان ، لابن خلکان ١ / ١٣٩ .
- (٣) انظرها في فوات الوفیات لابن شاکر ١ / ٢٤٩ .

باربع ابن ترى الاحبة أعموا • هل أنجدوا من بعدنا أو أنهدوا  
واللهيب شعر وصين اللفظ ، قرى الأسلوب ، متناسله السبك ، والشاعر  
- وعلى وجه الخصوص في مدائحه - يحاول أن يسمو إلى نبط مدائح شاعر  
العربية أبي تمام والمتنبي ، وإن أودت الوقوف على ذلك فانظروا إلى قصيدته  
اللامية الرصينة والتي مطلعها :

أقصر قد يتك عن لوى وعن عدلى • أو لا تلجلى أمانا من يد المقل  
ويقول منها :

وقد وقف على الأملال أحسبها • جسمي الذي بعد بعد القطاعين بلى  
أبكي على الرسم في رسم الدباد قبل • عجبت من طلال يبكي على طلال  
وكل يعضها لو مسه أناملها • قبض يوسف يوما قد من قبل  
يفنى عن الدر والياقوت • وسبها • لحسها فلها حسلى من المعطل  
وله من الأبيات القوية التي يمدح فيها ابن رزبك (١) :

هو الحسام الذي يسمو بحامله • زهوا فيفئك بالأسياف والدول  
إذا بدا غاريا من غرده خلعت • غرد الدماء عابجه هامة البطل  
وإن تقلد بحسرا من أنامله • رأيه كيف القتران الرزق بالأجل  
من السيوف التي لاحت بوارقها • في أعمل هي سبب العارض الخطل  
لقدنا لبني رزبك معجوزها • بأية لم تكن في العصر الأول  
ويتعب هذا المذهب الشاعر حمارة الغني ، وكما نهج نهج الشعراء : أبي تمام  
والمتنبي ، ومن شعره الرصين القوي الأسلوب قوله يمدح صلاح الدين لما جنته

(١) (الآداب في العصر الأيوبي ، الدكتور محمد زغلول سلام ص ٣٢١ .

قراءات الغزو القرطبي بمسقلان (١) :

وأخربت من أمهاتهم كل عامر \* يمر به طيف الخيال فيفرق  
أصفت إلى أجر الجهاد زيارة الخليل فأبشر أنت غاز موفق  
وهيجه البيت للقدس لرعة \* يطول بها منه إليك الشوق  
تنشق من ملأك أعظم نفحة

تعاب على قلب الهدى حين تنشق

وغزبك هذا سلم نحو فتحه \* قريبا وإلا رائد ومطرق

ذلك هو الاتجاه التقليدي ، ومؤلاهم شعراؤه ، فهم يتجهون في نظمهم  
للشعر نهج الاتجاه القديم ، وهذا الاتجاه الذي التزم به أولئك الشعراء كثيرا  
ما يقلب عليهم وبخاصة في الموضوعات الجليلية التي تحتاج إلى القبول في التعبير  
للملأمة قوة الموضوع ، كوصف للمسارك ، ومدح الأبطال ، ووصف  
الأحداث العظيمة ، أو الشعر الديني .

وقد لا يقتصر التأثير بالقدماء على التقليد الحسب ، ولكنه يمدى التقليد في  
الصياغة والأساليب إلى التأثير المباشر ، أي الاعتماد على المعاني والصور  
والتشبيهات ، وكثيرا ما يحدث هذا في قصائد الشعراء الذين يعارضون نماذج  
قديمة مشهورة ، على أن أشهر الشعراء الذين عارضهم شعراء العصر هم أبو تمام  
والبحتري والفتني .

ومن بين من عارض أبا تمام من شعراء العصر الشاعر العماد الأصماني ، فقد  
عارضه في كثير من قصائده ، وله قصيدة في شعر كوه مطلعها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللب • كم راحة جنيت من درجة التعب  
وهي معارضة لبائية أي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب • في حده الحد بين الجد واللعب  
غير أن التأثير بالقدماء في هذا العصر قد لا يقتصر على التقليد والمحاكاة  
بل إن هناك من الشعراء من كان يصدّق قصائده بشعر قديم ، وقد كثرت هذا  
النوع كثرة وافرة ، حتى إنك لتجد قصائد طويلة مصنوعة بشعر لزهير ،  
وأمرئ القيس ، والناطقة ، وغيرهم من الشعراء الجاهليين ، أو بشعر أبي تمام  
والبحتري والمتنبي وغيرهم من الشعراء العباسيين ، ولعل هذا يرجع إلى أن  
كثيراً من شعراء هذا العصر كانوا ولودين بالانكباب على شعر الأقدمين  
وحفظه .

ومن احتذاء ابن القيسراني لشعر أبي تمام قوله من قصيدة بائية يجيد فيها  
نور الدين محمود (١) :

هذي المراثم ، لا مائدة في القطب • وذى للكارم ، لا مائدة في القطب  
وهذه المغمم اللآلئ متى خطبت • تمثرت خلفها الأشعار والخطب  
ما زال جسدك ينفى كل شامة • حتى ابتهاق أو تادعها الشهب  
فك عزمك ما أمضى ! وهلك ما • أقضى أنساها بما ضاقت به الحطب !  
وهي قصيدة طويلة تنفي فيها ابن القيسراني بنور الدين ، وكيف استعاد به  
الإسلام ما فقدته من أراضيه ، كما ذكر مقتل « برنس » أنطاكية ، وتحدث عن  
الآمل الذي خلقه نور الدين في نفوس المسلمين ، وفضلاً عن ذلك كله فقد سجل

الشاعر سياسة نور الدين التي كان يتهجها في توحيد كلمة المسلمين .  
وأما صور الشعر وخيالاته فلا شك أنها قد طالت عند هؤلاء الشعراء على ما كانت عليه في الشعر القديم ، فمن صور قصيرة متتابعة ، ليست كعصور ابن الرومي الذي يستخدم الصور الطويلة مستتبها في ذلك بكل إمكانات اللغة من ألفاظ ومعمان ، وقد برزت تلك الصور في شعر شعراء مصر والقام . هذا إلى جانب خفة الشعر ولطافة روحه في مصر على وجه الخصوص .  
ولنتظر إلى التشبيهات المتتابعة في قول ابن منير الطرابلسي (١) :  
خلوت بمن أهواه بعد تفرق  
بأرض إلى صوب الندى أن يصوبها  
فكان عسويل وعدما وإيناسه  
وميضاً وأهواه القلوب جنوحها  
وجاد غمام من دموى لروضا  
فضرع أنفاس الخزامى وطيبها  
وقرب من الدهر حبا وجوته . وأعدت الأيام من رقيها  
والداعران ، ابن عتير وابن الساعق ، يشبهان في شعرهما شعر الشاعر  
العربي ابن العليّ المتنبي في تمردّه على الزمن والناس ، وفي طلبه المعالي دائماً  
وفي الارتحال من بلد إلى بلد سعياً وراء الله والأمل الذي يشده  
ويبحث عنه .

(١) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، للعلبي ، ٢٤٦ / ٤ المطبعة العلمية بحلب  
سنة ١٣٤٢ هـ إلى سنة ١٣٤٥ هـ .



يقول ابن عني (١) :

ولا بد أن أسمى لأفضل رتبة • وأحى عن عيني لذيت منامي

ويقول ابن الساعاتي (٢) :

ما سرت عن خلق أبقى البديل بها • لولا طلامي عملا للملا قـدفا  
طول للقيام لأهل الفضل منقصة • والسك لولا النوى ما أدرك الشرقا  
لو لم تجرد سيف الهند ما رعبت • والدر ما جل حتى غارق الصدفا  
فروح شاعرنا للثني تبدو واضحة في بيت ابن عني وفي أبيات ابن الساعاتي  
على السواء ، فالروح طائعة ، متطلعة إلى النجم ، تسعى إلى المال ، كما تسعى إلى  
أهداف أخرى بعيدة . ومع هذا التقدير فإن علينا أن نقول إن روح المثني  
كانت أقوى طموحا وتطلعا وسعيا من روح الشاعر ابن عني وابن الساعاتي .  
ومهما يكن من شيء فإننا نقول إن شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية  
قد حافظ إلى حد كبير على تقاليد الشعر العربي لأوروثة . فمظم ، أو رد من  
ذلك الشعر في الموضوعات التي ذكرناها قد صب في قوالب الشعر القديمة ومن  
يشعر إلى الشعر الذي قيل في مدح أبطال الحروب الصليبية بعدد موروثة  
من مدائح الرشيد أو المعتصم أو سيف الدولة ، حين كانوا يخرجون لمحارب  
الروم ، مع ما بين هذه المواقف من خلاف ، حيث كانت حروب الرشيد  
والمعتصم وسيف الدولة تدور خارج أو على حدود بلاد العرب ، وكان الجنود  
هم الذين يقومون بالمعارك ، أما في عصر الحروب الصليبية فالجرب كانت

(١) الأدب في العصر الأيوبي ، الدكتور محمد زغلول سلام ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٣ .

تكتسح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وكان يكتوى بنارها الشباب والشيوخ والأطفال والنساء ، وقد خرج الشعراء يدعون إلى الفساده وبذل النفس وخيصة في سبيل الحياة الكريمة ، ومواجهة التحديات مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك .

والحقيقة أن شعر الجهاد يمكن موضوع قصة متصلة الحلقات بين المسلمين وبين أعدائهم ، وكان موضوع هذه القصة منصبا على حروب المسلمين وتجهيزهم لحصونهم ، ودعوتهم إلى القتال والنضحية ، وهذه في مجموعها تصلح لأن تكون مادة للفن القصصي .

وإذا كانت الملحمة قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين المعجبة التي تروىهم مثلة الخلود بين بني وطنهم (١) ، وإذا كانت كل شعر - طال أو قصر - وقد وضعت فيه الممارك ، وسردت فيه أخبار البطولة ، وروي في ملاحمات الجياد هو من شعر الملاحم (٢) ، فإنه كان ينبغي أن تكون هناك ملحمة بطولية قائمة تتمثل في شعر الجهاد الذي صور أحوال الحروب الصليبية وفدائياتها ، وتغنى بالبطولة والأبطال ، وإنما لم يرداد عجينا حين نرى الزحف الصليبي يدهته وعتاده . وأن هذا الزحف لم يستطع أن يفك الشعر في عصر الحروب الصليبية من إسهام الشعر العربي ، وبروحه انشاعيه ينزع من الملاحم تنادب في خيالها ومفاجأتها مع ضخامة تلك الحروب وأحوالها .

- (١) النقد الأدبي ، الدكتور محمد غنيمي هلال ، هامش ص ٨٩ .
- (٢) شعر الحرب في أدب العرب ، د/ زكي الحارثي ص ٢٩ الطبعة الثانية ١٩٧٠م

والحقيقة أننا إذا تدبنا الجوانب الفنية للملحمة في شعر الجهاد في العصر الصليبي، فإننا نقول بكل صراحة إننا لا نبتغي في شعر الجهاد ما نبتغي في الملحمة التي تبرز فيها مواقف رئيسية تتسلخ منها مواقف أخرى فرعية، ويتمتع فيها الأحداث، وتفصل، ويتجلى فيها الحوار القصصى، ويكثر فيها الشخصيات، بل نبتغي ما نجد في القصص القصير من إيجاز في تصوير الأحداث، وصياغة لغتها تتناسب مع جلال الملاحم والحديث عن البطولة والأبطال. هذا إلى ما في أشعار شعراء الجهاد من روح جماعية تشيد بالمسلمين وأماهم، وما ينسجم به قوادهم من حسن بلاء وقوة احتيال.

وتاريخ الجهاد الصليبي الحافل كان جديراً بأن يعمل الشعراء على تسجيله وتصويره، وكان يمكن للشعراء أن ينظموا قصيدته ملحمة عظيمة كالألياذة والشاهنامة، فتجمع تاريخ المسلمين في العصر الصليبي، وعملهم المجادى في السلم والحرب، وتكون هذه الملحمة كتاباً نقرأه، وقراءة لحاسنهم، ولكننا لندى استمر احتلالنا خلفه الشعراء وجدناه على صورة مقطوعات قصيرة، ولم يشذ عن ذلك إلا قلّة من الشعراء، ومع ذلك فقد خرجت قصائد الطويلة تتميز بدقة الوصف وتكرار المعاني، وتقليد الأقباط، وبمراعاة المأثورات، وعدم القدرة على الابتعاد عن تقاليد الشعر العربي الموروثة.

وأحسب أن شعراء العصر الصليبي لو خلتوا إلى حروب العصر فرصفوا وقعاتها، وسكبوا غيالاً لهم الرائعة في هذا الوصف، ولم يكتبوا بأبيات يبتغونها بين شعر المدح والفخر والهجاء، لخلدوا فروسية الأبطال الذين أنبأهم العصر الصليبي، لما دوى عن خوارق بطولاتهم، وروائع شجاعتهم وإقدامهم.

في الحرب والجود بأنفسهم .

وأغلب الظن أن هؤلاء الشعراء كانوا مصوقين لهذا الشعر بدافع من الروح الإسلامية (١) ، فهم يرددون الدفوع عن الإسلام في عصرهم الذي كانت أيامه سلسلة متصلة من المواقف العصبية والمخاطر الجديدة ، وله ل ذلك هو السبب في خلق التشابه والتكرار في شعرهم ، فأكثر ما عثر عنه شعراء الجهاد محدود مشترك بينهم جميعاً ، فهم ينتفون بمحاطة واحدة وينزعون إلى هدف واحد قصروا شعرهم عليه ، وهو دفاعهم عن الدين الإسلامي ، فالمشرب الذي شربوا جميعاً منه واحد ، وعليه فلا عجب في عدم تباين شخصياتهم ، فقد كانوا على قوة المشابهة لدرجة تجعل شعرهم وكأنه صورة متعددة لنقط واحد .

(٣) شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية بين التأثير والتأثير :

الحقيقة أن شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية قد تأثر بشعر الجهاد الذي كان قبله ، كما كان له أثر كبير في شعر الجهاد الذي جاء بعده . فالنائب المبرمج أن شعراء الجهاد في هذا العصر قد أخذوا على آثار الشعراء السابقين أو على كثير من تلك الآثار على أقل تقدير ، يؤكد ذلك أن هناك قصائد تذكرنا بأفكارها ومعانيها بقصائد لابي تمام وأبي فراس والمتنبي . ويمكن التراجع أن سيف الدولة الحمداني قد غزا الروم عام ٣٣٩ هـ فانتصر في بادي الأمر . ثم تحسول النصر إلى هزيمة ، ووقتها وقف المتنبي فأشدد قصيدة يقول فيها (٢) :

(١) انظر الأدب الصوفي في القرن السابع الهجري للدكتور علي صافي حسين .

(٢) ديوان أبي الطيب ص ٢٢٧ طبعة مندية : مصر عام ١٣٢٣ هـ .

قل للمستق إن المسلمين لكم • عاتوا الأمير بخارام بما صنعوا  
 وجدد لهم نياما في دمائكم • كأن قتلكم إياهم لمعدوا  
 حتى تفت الأبادى عن مثالم • من الأعدى وإن مروا بهم نزعوا  
 لانصبوا من أسرتهم كان ذا رفق • فليس يأكل إلا الميتة الضيع  
 فلا على عقب الوادى وقد طلعت • أسد عمر فرادى ليس تجتمع  
 تفقكم بفساها كل سلبية • والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع  
 وإنما عرض الله الجنود لكم • لئلا يكونوا إلا لفسل إذا رجعوا  
 فكل غزو إليكم بمسد ذا قله • وكل غار لسيف الدولة التبع  
 فاللنتي يعلل لمزجة سيف الدولة تعليلًا جيدها ، كما أنه يقلل من انتصار  
 العدو ، لأنه انتصار على قوم ضماى كالموتى ، ولا يأكل من الميتة إلا ضماف  
 الوحوش كالضيع .

وقد تأثر شعراء الجهاد في العصر الصليبي بقصائد المتنبي في الاعتذار عن  
 المنهزمين ، وكان تأثرهم تأثر المبتصر الخفيف ، ذلك لأنهم أنوا بتعليلات  
 جديدة ، وأضافوا إلى المنى أفكاراً جديدة ، فهذا هو أبو الفرج بن سعد  
 الموصل المتوفى عام ٥٨١ هـ ، يتأثر بآيات المتنبي السابقة ، ويشد نور الدين  
 محموداً قصيدة ويمثل فيها لمزجته فيقول :

بنى الأصافر ما نظم بهكم • والمسكر في كل إنسان أخوه قتل  
 وما رجعت بأمرى عاب سعيكم • غير الأراذل والاتباع والسفل  
 سلبت الجرد معراة بلا لجم • والسمير مركودة والبعض في الخلل  
 هل أخذ الخيل قد أردى قوارسها • مثل أخذها في الشكل والطول

أم سالب الزبح مركوذا كساليه • والحرب دائرة من كف معتقل  
جيش أصابتهم عين السكال وما • يظفون العين إلا غدير مكشعل  
لهم بيوم حنين أسيرة وهم • خدير الأتنام وفيهم عاتم الرسل  
سيقتضيك بهضرب عتده أهونه • فييض كالبيض والأدوام كالخلل  
ويهمز صلاح الدين في الزمة عام ٥٧٣ هـ فيقتب ابن سبدان الحلبي ويعمل  
هذه الخروجة مقدمة للانتصارات المتعاقبة ، فيقول :  
قل للفرنجية الخذل رويدكم • بالنار أو تفرج الصعري من الخلل  
ترقبوها من الفوار طالمة • غوارق الأرض تمحو وتختل الأصل  
حسب العدا بأصلاح الدين حسيم  
أن يفرقوك بهرح غير منديل  
وهل يخاف لسان التحل ملتمس  
مرت على أصبعيه لذة العسل  
وينظم المتن قصيدة في انتصار سيف الدولة على الروم عام ٣٤٣ هـ مغلما :  
على قدر أهل العزم تأتي العزائم • وتأتي على قدم الكرام المكارم  
وفيها يقول المتن في وصف جيش العدو أكثرته (١) :  
أنوك يهرون الحديد كأنما • مروا بهياد ماخر قواتم  
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم • ثيابهم من مثلها والعمائم  
محيس يشرق الأرض والغرب زحفه  
وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة . فأيضهم الخلدات إلا التراجم  
وينظم ابن رديك قصيدة إلى نور الدين يصف فيها خروج جيش مصر  
عام ٥٥٣ هـ فيبدو تأثره فيها بقصيدة المتنبي . يقول :  
ألا هكذا في الله تمنى المرثم . وتغنى لدى الحرب الديوف أصراف  
وواجههم جيش الفرنج بمحلة . يهون على الشجعان منها المرثم  
فلقوم في الأستة وأفلخوا . عليهم فلم ينجم من الكفر ناصم  
وما زالت الحرب العوان أشدها . إذا ما تلاقى المسكر للتصادم  
ففي أبيات الشاعرين وصف لشكوة جيش المسدود ، ووصف للديوف  
ولا يخفى تأثر ابن رديك بالمتنبي في المعنى ، هذا إلى جانب تأثره بالوزن والقافية  
كما هو واضح .

على أننا نجد التأثير واضحاً في وصف المدن بالحصانة والثناء ، مما يذكرنا  
بأبيات أبي تمام في فتح همدانية . هذا فضلاً عن تأثر كثير من شعراء العصر  
الصليبي بمن سبقهم من الشعراء في الصياغة والأسلوب والماتى والأفكار (١) .  
وغير غاف أيضاً أن شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية قد أثر في  
الشعراء اللاحقين ، فأبيات الشاعر أحمد شوقي التي غاظ بها مدينة أدرنة حين  
استولى عليها البشار عام ١٩١٢ م والتي منها (٢) :

غيبى سيالك رحمة وعجبة . في الصالحين وعصمة وسلام

(١) يمكنك الوقوف على من يد من ذلك إذا راجعت كلامنا عن الانحصاء  
التقليدي ، في هذا الكتاب .

(٢) الشوقيات ١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، مطابع دار الكتاب العربي في بيروت .

البنى في دين الجيـش دنيـة : • والسلم عهـد والقتال دمام  
واليوم يهتف بالصليب عصاب هم للإله وروحه ظلام  
خطر أصليـك والخـاجر والمـدى كل أداة للأذى وحسام  
أو مازاهم ذبحوا جيرانهم بين البيوت كأنهم أغفـام  
وصية هتكت خيلة طهرها وتناثرت عن نوره الأكـام  
وأخى ثمانين استبح وقاره لم يبق عنه الضعف والاعـام  
وجرح حرب ظاهـى وأدوه لم يعطهم جرح دم وأدام  
ومهاجرين تنكرت أوطنهم خلوا السبيل من القنول ومافوا  
السيف إن ركبوا الفـرادسـيلهم وانقطع إن ظفروا القـرار مقام  
.. مع ما فيها من سمو في المعنى والعبارة والتعبير ، تذكرنا بقول شاعر  
الجهاد (١) :

أحل الكفر بالإسلام ضيـا • يطول عليه الدين التحيـا  
لحق ضائع وحى مباح • وسيف قاطع ودم صيب  
وكم من مسلم أمضى سـليبا • ومصلحة لها حرم سـليب  
وكم من مسجد جعلوه ديرا • حل عـراه نصب الصليب  
أنسى المـلمات بكل نفس • وعيش المسلمين إذا يطيب  
أما لله والإسلام حـق • يدافع عنه شبان وشب ؟



## الختام

لقد حاولت في هذه الدراسة المرجزة أن أبرز شعر الجهاد الذي واكب الحروب الصليبية وعاش أكثر مراحلها ، واستمر في تحريض المسلمين على الجهاد وقتل الفزاة الصليبيين وإذلال الحمية في نفوسهم ، كي يوحّدوا قوامهم ويظهروا بلادهم نهائياً عن المحتلين الصليبيين .

وشعراء الدراسة هم شعراء الجهاد ، وهم طائفة تهمهم وحدة الظروف والأحوال ، وموضوع الدراسة يفصله المختلفة هو : شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية ، من حيث بيان مدى تأثير أحداث الحروب الصليبية بشعراء العصر في شعر الجهاد ، وتصوير هذا الشعر لهذه الظروف والأحوال وتعبيره عنها في قصائد تمدد في جملتها من شعر الحامي الذي يبحث الحمم ويدعو إلى الجهاد والقتال .

أما عن المعالم البارزة في هذه الدراسة فلا شك أنها كانت السبب في اختياري لهذا الموضوع ، وإن كنت لم أذكر أني قد أحطت بجميعها علماً ، وأني سددت منها كل نغمة ، فليس يعتبر الباحث ألا يبلغ جهده درجة الكمال ، وإنما الذي يضره أن يكون قد قصر عن الوصول إلى أهداف وغايات كان يمكنه بلوغها .

وهذه هي أهم المعالم البارزة التي هدى إليها البحث :

١ - إن شعر الجهاد الذي شهد عصر الحروب الصليبية يتسم بأنه وليد مواقف وصراعات حقيقية وقعت بالفعل . فشعراء الجهاد الذين تنفوا بهذا الشعر قد شاركوا في الحروب من جانب ، ودعوا إلى الجهاد وإلى إيقاظ

الأمة الإسلامية من جانب آخر ، وكان من نتائج ذلك ما عرف بعصر الحروب الصليبية ، وهو شعر ملزم مؤثر ، ويظهر في جلته من الشعر الحزبي الذي يشير الهمم ، ويبحث الحية في النفوس ، ويدعو إلى مواصلة الجهاد والقتال ورفع الروح المعنوية للمقاتلين .

٢ - شعر الجهاد يعد تمة طبيعية لمرامات العصر العباسي ، والحروب التي شهدتها العصر ، وما تبعها هذه الحياة الجديدة من أسباب وظروف أصبحت بمثابة مثل هذا اللون من الشعر ، بل كانت عاملاً قوياً في اتساع آفاقه وتعدد مناحيه . ولا شك أن لشعر الجهاد صلة وثيقة بالتاريخ ، حتى أنك لم تكف تجد شاعراً من شعراء العصر لم تكن القصيدة من قصائده تتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ ، وتحمس من قريب أو بعيد .

٣ - لعل الدعوة إلى الجهاد هي لب الشعر في عصر الحروب الصليبية ، وهي التطلع الذي اتخذته الشعراء باباً لكل المعاني والأفكار التي عالجوها في شعرهم ، وقد قام الشعر بدور فعال في الدعوة إلى الجهاد ، وتمثلت هذه الدعوة في مظاهر مختلفة منها : التذكير بحروب المسلمين السابقة الذكر ، وكذلك في مدح القادة العظام ، وفي تثبيت المجاهدين ودعوتهم إلى الاستيصال في القتال ، وفي حث الذين لم يشاركوا على اغتنام الفرصة والمشاركة في الجهاد .

٤ - يعد شعر الجهاد من أهم الأغراض التي يمكن أن نلحس منها المقومات الشخصية لشعراء العصر العباسي ، وهذا الشعر يعد الصدى الأدبي الأول لحروب المسلمين المتواصلة إن نصر أو هزيمة .

٥ - إنه وإن كانت هناك أغراض أخرى لشعر في عصر الحروب الصليبية ، وهي الأغراض العامة التي تتكون في كل عصر : كالوصف والمدح والهجاء ، والإعترافات ، وما إلى ذلك ، فإنه يلاحظ أن هذه الأغراض وإن كانت بعيدة عن الحروب الصليبية والصراع بين المسلمين والصليبيين ، إلا أنها قد تأثرت بالجو العام الذي كانت تعيش فيه البلاد الإسلامية زمن الحروب الصليبية .

٦ - شعر الجهاد يمد مجالا حافلا للأحداث السياسية والعسكرية التي مرت بالامة الإسلامية إبان العصر الصليبي ، ففي هذا الشعر حديث مفصل عن التكتيكات وعن الانتصارات ، ولهذا فهو يمد مرجعاً تاريخياً مهماً لدراسة العصر ومن مجموعه يمكننا أن نربط ملحمة شعرية خالدة تصور هذا العصر بكل دقة وعلامة .

٧ - برزت في شعر الجهاد بعض السمات العامة التي تميزه عن غيره ، ونحن نرى أن هذه السمات إنما هي ناتجة عن الحروب الصليبية . وأما لازمة من لوازم الصراع الذي كان بين المسلمين وأعدائهم .

٨ - والنتيجة المنطقية لكل ما سبق أن نرى ما كان عليه شعراء الجهاد من أصالة وشاعرية صادقة ، فقد صوروا واقعهم الذي يعيشونه ، ومثلوا حياتهم المتميزة ولم يتجاوزوها .

٩ - وبعد فإن لأهل الله أن يكون قد وفقت في بعض ما إليه قصدت ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

### أم المصادر والمراجع

- أثر المدينة الإسلامية في الحضارة العربية ، الدكتور عطاء القاضى ، طبع الأهرام ، ونشر المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية - مصر ١٩٧٣ م .
- أدب الدول المتتابعة عبور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، الدكتور عمر موسى باشا - طبع دار الفكر الحديث ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م .
- الأدب الصوفي في القرن السابع الهجرى ، الدكتور على صافى حدين ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .
- الأدب المستعربى في مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى ، الأستاذ محمود معطى ، نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م .
- الأدب في العصر الأيوبى ، الدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .
- الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى عيسى - الحسنة الفرنسية ، للدكتور عبد الطيف حمزة ، سلسلة الألف كتاب ( ٢٤٢ ) .
- إرشاد الأديب لمعرفة الأدب ، معجم الأدباء ، : لياقوت الحموى . نشر الدكتور فريد الزاين عام ١٩٣٩ م .
- أسامة بن منقذ ، الدكتور أحمد كمال زكى ( سلسلة أعلام العرب ، ٧٩ ، دار الكاتب العربى بمصر ١٩٦٨ م ) .
- أصول النقد الأدبى : أحمد الشايب ، النهضة المصرية للطباعة والتأليف .

- أهلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : محمد راغب العلي :
- الجزء الرابع . للطبعة العلمية بحسب سنة ١٣٤٢ هـ إلى سنة ١٣٤٥ هـ .
- أيام صلاح الدين ، الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ، طبعة المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية .
- بدائع البداه : الأزدي . مطبعة بولاق ١٢٧٨ هـ .
- البداية والنهاية : لابن كثير :
- الجزء الثاني عشر : مكتبة النصر بالرياض ، ومكتبة للمعارف بيروت .
- بقية الوفاء في طبقات القرويين والنهاية : السيوطي . م السعادة ١٩٢٦ م .
- تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية : للدكتور أحمد شلبي :
- الجزء الخامس . مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م .
- تاريخ الحروب الصليبية : تأليف ستيفن راسيان ، ترجمة الدكتور السيد الباز العربي :
- الجزء الثالث . مطبعة التجسوي . بيروت ، الطبعة الأولى ونشر دار الثقافة ١٩٦٧ .
- تاريخ الشعر العربي ، الدكتور محمد عبد العزيز الكسكسراوي :
- الجزء الثالث : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٦٧ م .
- تاريخ العرب ( مطول ) : فيليب حبي وآخرون :
- الجزء الثاني ، مطابع القندور ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م .
- التجديد في الأدب المصري الحديث : الدكتور عبد الوهاب حمودة .
- دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

- ثمرات الأوقاف : لابن حجة الخوى : طبعة مصر ١٣٠٠ هـ .
- الحركة الصليبية للدكتور سميد عبد الفتاح عاشور :  
الجزء الأول ، والجزء الثاني مطبعة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية .
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب : تأليف محمد المروسي الطنوشي .  
نشر دار المکتب الشرقية بترمس ، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ .
- الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ، محمد سيد  
كيلاني . مطبعة دار المکتب العربي ١٩٤٩ م .
- الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي : للدكتور محمد بن علي الحرق  
( التتبع الأدبي للرياض ) كتاب الشهر ، العدد ( ١٥ ) مطابع الفرزدق  
التجارية بالرياض ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .
- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام : للدكتور أحمد  
أحمد بدوي ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .
- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، للدكتور أحمد  
أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر .
- خزينة القصر وجريدة أهل مصر : للمعاد الأصمعياني :
- قسم شعراء مصر ، تحقيق أحمد أمين وزميليه . لجنة التأليف والترجمة  
والنشر ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- وقسم شعراء الشام ، تحقيق الدكتور شكري فيصل . الجزء الأول ،  
الطبعة الخامسة بدمشق ، الطبعة الأولى ، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق  
١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

- غرانة الأدب : تأليف ابن حجة الخوري . طبعة مصر ١٣٩٤ هـ .
- خطط المقرري :
- الأجزاء : ٢ ، ٤ ، ٥ .
- ديوان ابن الحياض : تحقيق خليل مردم . طبعة للطبعة الهاشمية بدمشق ، ونشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .
- ديوان ابن الساطي : تحقيق أنيس المقدسي :
- الجزء الثاني . الطبعة الأمريكية ١٩٣٨ م .
- ديوان ابن سبط التناويزي : تحقيق مرجليوث . مطبعة للتعطف بدمشق .
- ديوان ابن عتيم : تحقيق خليل مردم . مطبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م .
- ديوان ابن مطروح ، طبعة الجواب بالقسم الثانية سنة ١٣٩٨ هـ .
- ديوان ابن التميمي : تحقيق عبد الله فكري ، مطبعة عبد الله فكري ١٣٢٠ هـ .
- ديوان أبي تمام : شرح التبريزي ، تحقيق محمد عزام :
- الجزء الأول . مطبعة بيروت .
- ديوان الأيوبي ( أبو المظفر ) : تحقيق الدكتور عمر الأسعد :
- الجزء الأول . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- الجزء الثاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ديوان أسامة بن منقذ : تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي وسامد عبد الحميد .
- طبعة للطبعة الأميرية بدمشق ، ونشر وزارة المعارف العمومية بدمشق ١٩٥٣ م .
- ديوان البهاء زهير . طبعة مصر ١٣٩٧ هـ .

- ديوان البوصيري : تحقيق الأستاذ محمد سيد كيلاني ، طبع مصطفى البابي الحلبي عام ١٩٧٣ م .
- ديوان القاضي الفاضل : تحقيق وشرح وتقديم الدكتور أحمد أحمد بدوي .
- ديوان المتنبي ( شرح المكي ) نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٨٧ م وطبعة أخرى مندية بمصر عام ١٣٣٣ هـ .
- ذيل تاريخ دمشق : لأبي يعلى القلانسي ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت .
- ذيل الروضتين ، لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، أبي شامة ، الطبعة الأولى ١٩٤٧ م .
- رحمة ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الكشاني ، دار صادر بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- الروضتين : تأليف شهاب الدين المقدسي المعروف بأبي شامة :
- الجزء الأول ، مطبعة وادي النيل ، مصر ١٣٨٧ هـ ومطبعة مصر عام ١٣٨٨ هـ . ودار الجيل بيروت بدون تاريخ .
- الجزء الثاني ، مطبعة وادي النيل ، مصر ١٣٨٧ هـ .
- السلوك لمعرفة دول الملوك : لأحمد بن علي القرظي : تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة .
- الجزء الأول . طبعة القاهرة ١٩٣١ م .
- شذرات الذهب : للحنبل :
- الجزء الرابع . طبعة القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- الشرق الأوسط والحروب الصليبية : تأليف السيد الباز العزبي :



- الجزء الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، نشر النهضة المصرية .
- شعر الحرب في أدب العرب ، الدكتور زكي المحاسني . دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٧٠ .
- الشوقيات ، أحمد شوقي :
- الجزء الأول . دار الكتاب العربي بيروت .
- صلاح الدين بين شعراء عصره وكتابه ، الدكتور أحمد أحمد بدوي ( للمكتبة الثقافية ، ٢٣ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٠ م ) .
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصميد : لجمال الدين ابن جعفر بن ثعلب الأديبي . المطبعة الخيرية بمصر ١٣٢٢ هـ .
- الظاهر بيبرس : للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ( سلسلة أعلام العرب ) رقم ١٤ بدون تاريخ .
- عصر سلاطين المماليك وتناجه العلمي والأدبي ، الدكتور محمود وزق سليم ( المجلد السادس ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٢ م ) .
- الممددة : لابن رشيقي ، تحقيق محي الدين :
- الجزء الثاني ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ) .
- القاطميون في مصر : للدكتور حسن إبراهيم حسن ، المطبعة الأميرية .
- فنون الشعر في مجتمع الحداثيين ، الدكتور مصطفى الحكمة ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية طبعة عام ١٩٧٨ ١٩٥٨ م .
- فترات الوفيات : لابن شاكر :
- الجزء الأول ، محي الدين ، طبعة مصر ١٩٥٢ م .

- الجزء الثاني ، مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ .
- قصة الحضارة : تأليف ول ديواننت ، ترجمة محمد بدوان :
- الجزء الرابع ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، نشر جامعة الدول العربية ١٩٥٧ م .
- الكامل في التاريخ لابن الأثير :
- الجزء الأول دار صادر ودار بيروت ١٩٦٦ م .
- الجزء المأثور : نشر دار صادر ودار بيروت ١٩٦٦ م .
- الجزء الحادي عشر ، الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ .
- لباب الآداب : لأسامة بن منقذ ، طبعة مصر ١٩٣٠ هـ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، طبعة مصر ١٣١٣ هـ .
- مجلة العربي عدد جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .
- مختارات من ديوان حمادة النخعي ، طبعة مطبعة شالون ١٨٩٧ م .
- المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء :
- الجزء الثالث : الطبعة الحسبيلية بمصر ، الطبعة الأولى .
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : لشمس الدين يوسف سيوطي بن الجوزي :
- الجزء الثامن ( قسم ١ ) مطبعة حيدر آباد ، الطبعة الأولى ، ونشر مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٧٠ هـ .
- مصر في المصود الوسيط من الفتح المصري إلى الفتح العثماني : تأليف د / علي إبراهيم حسن ، مطبعة الاعتقاد بمصر ، ونشر مكتبة النهضة المصرية .
- معجم الحقائق وسر الخلائق : لمحمد بن تقي الدين الأيوبي ، تحقيق

الدكتور حسن حبشي ، مطبعة دار الحنسا بـ مصر ، الطبعة الأولى ، ونشر عالم الكتب بدون تاريخ .

• مقدمات العدوان العليبي ، الدكتور محمد كمال توفيق ، الاسكندرية ١٩٦٦ م .

• النجوم الزاهرة : لابن تقيي بردى :

- الجزء الخامس ، طبعة مصر ١٣٣٥ هـ ١٩٥٣ م .

- الجزء السادس ، طبعة مصر ١٣٣٥ هـ ١٩٥٣ م . وطبعة وزارة الثقافة

والارشاد القوي بمصر بدون تاريخ .

- الجزء السابع ، طبعة مصر ١٣٣٥ هـ ١٩٥٣ م .

- الجزء الثامن . . . . .

• النقد الأدبي : أحمد أمين :

- الجزء الأول ، طبعة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة .

• النقد الأدبي : الدكتور محمد غنيمي هلال ، دار النهضة المصرية ، الطبعة

الرابعة ١٩٦٩ م .

• التكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية : لعبارة النقي . طبعة مدينة

شالون ١٨٩٧ م .

• نهاية الأرب : للتوري :

- الجزء التاسع والمثرون ، طبعة دار الكتب المصرية .

• نور الدين محمود : الدكتور حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر

بمصر الطبعة الأولى ١٩٥٩ م .

• وفيات الأعيان : لابن خلكان :

- الجزء الثاني ، المطبعة الليمنية . ١٣١٠ هـ وطبعة محمد الدين ، مصر ١٩٥٢ م

وتحقيق الدكتور إحسان عباس ، طبعة مطبعة الغرب ، بيروت .

- والأجزاء : ٣ ، ٤ ، ٥ . طبعة محمد الدين ، مصر ١٩٥٢ م .

فهرس الموضوعات

٥	الإهداء
٩	اللقدمه
١٨	مدخل تمهيدى
٢٠	١ - أسباب الحروب الصليبية
٢١	أولاً : الأسباب الدينية
٢٢	ثانياً : الأسباب السياسية
٢٣	ثالثاً : الأسباب التجارية
٢٤	رابعاً : أسباب أخرى
٢٥	٢ - حالة الشرق الإسلامى عند بداية الحروب الصليبية
٢٧	أولاً : فى الصنام
٢٢	ثانياً : فى مصر
٣٥	٣ - أثر الغزو الصليبي فى نفوس العرب والمسلمين
٤٠	الفصل الأول : نهضة الشرق عصر الحروب الصليبية
٤٢	أولاً : الأحداث السياسية
٤٩	ثانياً : تشجيع الحكام للشعر والشعراء
٥٨	ثالثاً : العناية بجمع الشعر ودواسته
٦٢	رابعاً : كثرة عدد الشعراء
٦٦	خامساً : أسباب دينية

الفصل الثاني : موضوعات شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية

٦٨ — أولاً : شعر الدعوة إلى الجهاد

٧٠ — ثانياً : تصوير المفاوئد الحربية

٨١ — ثالثاً : مدح أبطال الحروب الصليبية

٩٥ — رابعاً : التأسف والتجسر على ما أصاب للمسلمين

١٢٢ — خامساً : الفخر والحماة

١٢٧ — سادساً : الرثاء

١٣١ — سابعاً : تهديد الأعداء

١٣٩ — ثامناً : الهجاء

١٤٢ —

الفصل الثالث : خصائص شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية

١٤٦ — أولاً : الحاسة المتدفقة وحرارة العاطفة

١٤٩ — ثانياً : بروز روح الجهاد والقوة والمبادئ الإسلامية

١٥٩ — ثالثاً : تسجيل الأحداث الكبرى

١٦٤ — رابعاً : الصدق الفني في نقل التجربة

١٨٠ — خامساً : خصائص عامة

١٩٠ —

الفصل الرابع : أثر الحروب الصليبية على الشعر

١٩٣ — أولاً : أثر الحروب الصليبية على الموضوعات الشعرية

١٩٥ — ١ - تشابه الشعر في أوجاء العالم الإسلامي

١٩٥ — ٢ - ظهور شعر الحق والتحرير

١٩٧ —

٢٠٣	٣ - ظهور الطابع الإسلامي في الشعر
٢١٢	٤ - ظهور فن رثاء المدن وهجاء للتخاذلين
٢١٦	ثانياً : أثر الحروب الصليبية في أساليب الشعر
٢١٦	١ - الألفاظ
٢١٨	٢ - الاجتماعات الفنية
٢٢٠	(أ) انحاء السنتمة والبديع
٢٢٣	(ب) الانحاء التقليدية
	٣ - شعر الجمل - - - - - اذ في عصر الحروب الصليبية
٢٢٥	بين قنائر وتأثير
٢٤٠	الخاتمة - - - - -
٢٤٣	أم المصادر والمراجع
٢٥١	فهرس الموضوعات

تم وقف الحمد

رقم الإيداع في دار الكتب المصرية

١٩٩٠ / ٨٥٣٣

مطبعة ومكتبة الرضا بطننا

عبد الحال بدر اوى محمد

سنة الجهورية ١٤١٦ هـ